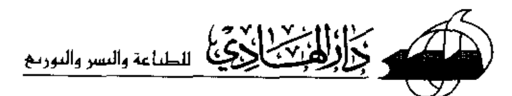
الإعجاز الطبي في القرآن

(دراسة نقدية تحليلية)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م



هاتف ٥٥٠٤٨٧/٠١ـ٠٣/٨٩٦٣٢٩ ـ فاكس ٥٤١١٩٩ـص ب ٢٨٦/٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان
Tel. 03/896329 - 01/550487 - Fax 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail. daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الإعجاز الطبي في القرآن

(دراسة نقدية تحليلية)

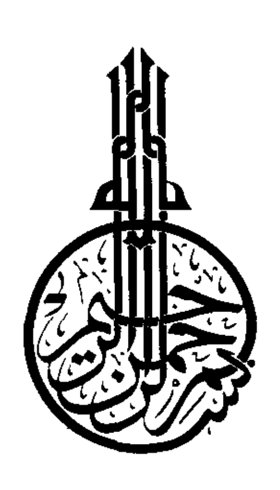
تأليف

مريم شمس

تعريب

زهراء يگانه




بسم الله الرحمن الرحيم

أهدي كتابي إلى

سيـد الواهين

الأنموذج الأعلى في الحب والعرفان بين صفوف المؤمنين

رائد الشهداء المخلصين

الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام

شكر:

حمدي و ثنائي لله الخالق المنان الذي مدّني برأفته الفياضة على مر حياتي..

وأتقدم بالشكر لمؤسس كلية أصول الدين العلامة الفذ السيد مرتضى العسكري والأساتذة الموقرين فيها لاسيما الدكتور مجيد معارف والدكتور كاظم العسكري وكذلك الدكتور علي رضا نيكبخت نصر آبادي أساتذة كلية العلوم الطبية بجامعة طهران لما بذلوه لي بطيب نفس من عون وفير في إعداد وتأليف هذا الكتاب ولكل من لعب دوراً في تعميق معرفتي بالقرآن الكريم.

المؤلفة

المقدمة:

بعث آخر الانبياء والمرسلين سيدنا ونبينا محمد ابن عبدالله ﷺ إلى البشرية حاملاً القرآن الكريم وثيقة لحقانية رسالته ومؤشراً يلوح بصدق ما جاء به. ولما كانت دعوته عالمية موجهة لجميع شعوب العالم على اختلاف مللهم ونحلهم، رفعها مستدلاً في نقاشه مع الناس بالقرآن ومتماً حجته عليهم بالقرآن ومتحدياً معانديهم والملحدين منهم بالقرآن، كان لابد لرسالة هذا الكتاب السماوي أن تتسم بالخلود والعالمية ويشتمل اعجازه على أوجه يستوعبها جميع الناس في كل زمان ومكان، وأن تكون هدايته أزلية عامة أيضاً. علىٰ هذا ذهب البعض إلى ضرورة تمتعه بأسلوب تستجد روعته مع أي تحول وتطور تشهده الحياة الاجتماعية لبني الإنسان ليبهر القلوب ويستحث العقول دوماً للتفكير بحقانيته. وكان هذا الرأي الحافز الذي دفع بعض الفئات لتقصي أوجه من الإعجاز القرآني يتم الحجة على المسلمين في العصر الحديث.

من جهة أخرىٰ ينطوي القرآن الكريم علىٰ عقائد أقيمت الحجة عليها

علىٰ أساس دلائل استوحيت من الآيات الكونية الداعية للتفكير في الآفاق والأنفس. و تفسير هذا الجزء من آيات القرآن التي تهدف لهداية الإنسان علىٰ ضوء الحقائق العلمية صار محل خلاف أصحاب الرأي، وأدّىٰ بالتالي لظهور نوع جديد من تفسير القرآن هو التفسير العلمي. وبمحاذاة التفسير العلمي وبتأثير من الدوافع المذكورة طرح وجه جديد من أوجه اعجاز القرآن ألا وهو الاعجاز العلمي، فكتب الكثير من مفسري القرآن والخبراء في العلوم التجريبية أرائهم حول هذا الموضوع محاولين الكشف عن توافق الآيات ذات الطابع العلمي مع حقائق العلوم التجريبية، فذهبوا إلى شمول الآيات ذات الصلة بخلق الإنسان وبيولوجية جسم الإنسان وقضايا التغذية والصحة والعلاج و... علىٰ نماذج من الإعجاز الطبي للقرآن.

الباب الأول

الأبحاث العامة في تحليل الاعجاز القرآني

ويتضمن:

الفصل الأول: تعريف الاعجاز وخصائصه و...

الفصل الثاني: أوجه إعجاز القرآن

الفصل الثالث: الاعجاز العلمي للقرآن

الفصل الأول

تعريف الإعجاز

لتحديد تعريف دقيق للإعجاز لابد أن نتناول أولاً المفهوم اللغوي والمفهوم الاصطلاحي للإعجاز، ليتسنىٰ لنا من ثم بيان خصائصه وضروراته.

المفهوم اللغوي:

كلمة المعجزة مشتقة من مصدر «الإعجاز»، ومادة كليهما «العجز» بمعنى «الضعف» أي «الوهن» وخلافه «الحزم»، فيقال: «عجّز فلانٌ رأي فلان» عندما ينعته بما لا يوصف حزماً وكأنه ينسبه إلى العجز.

ولفظة «عجز» في (يعجز عن الأمر) تفيد معنى ترك الموضوع لشعور بالعجز عن أدائه.

وكلمة «مَعجَزة» على غرار «مَفعَلة» المشتقة من مادة «عجز»، كما ذكر، تعني استبانة انعدام القدرة على الإتيان بمثل الشيء. وكلمة «التعجيز»

تؤدي معنى إظهار العجز والضعف، فالآية ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾[1] تأتي في سياق بيان ظن الكفار وانكارهم حقيقة النشور والجنة والنار.

إذاً، المعجزة يقصد بها غالباً معجزات الانبياء عليهم السلام وهي ما تظهر عجز الأعداء أثناء التحديات الجارية بين الجانبين[2].

كثرت المعاني التي حددتها المصادر اللغوية المختلفة للفظة «المعجزة»، منها:

١ـ الفوت[3]: فقدان شيء ما، فيقال «أعجزه الشيء» أي فاته ولم يدركه.

٢ـ التأخير في الشيء: يستخدمه البعض تعبيراً عن آخر الشيء وخلفه[4].

٣ـ الضعف: وهو ما يذهب إليه فريق من اللغويين[5]. وكلمة «عاجز» تأتي بهذا المعنى ولهذا تطلق الكلمة على كل من تقدم به العمر فأصابه الوهن والضعف: «العجوز».

٤ـ إثبات عجز الآخرين: يفسر بعض اللغويين عبارة: «أعجز فلانٌ

١ـ سورة الحج، الآية (٥١).

٢ـ راجع: لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة «عجز».

٣ـ مصباح اللغة وأقرب الموارد، المجلد ٢، مادة «عجز».

٤ـ مفردات الراغب الاصفهاني ومقاييس اللغة لابن فارس، حيث يعتبران هذا المعنى أحد المعنيين الأساسيين لهذه اللفظة.

٥ـ يصنفه الراغب الاصفهاني ضمن المعاني الثانوية بينما يضعه صاحب «مقاييس اللغة» في قائمة المعاني الأساسية.

فلاناً»: رأى فيه الضعف ونسبه إليه[١].

٥ـ التسبب في عجز الآخرين[٢]: يؤكد بعض اللغويين بأن العبارة «أعجز فلانٌ فلاناً» إنما تعني «صيره عاجزاً». وبذلك تفيد لفظة «الاعجاز» معنى التعجيز، أي الاتيان بما يعجز الخصم والعدو عن الاتيان بمثله.

ولفظة «الاعجاز» هي مصدر لمادة (عجز) الدالة على تعذر القيام بأمر ما خلافاً ل(قدر) التي تستخدم تعبيراً علىٰ تيسر القيام به[٣].

وقد ذكرت مشتقات مادة «عجز» في حالات عديدة وبأنحاء متنوعة في القرآن الكريم، كما في:

ـ «العجوز»[٤]: بمعنى الوهن والعجز عن الإنجاب.

ـ «عجز»[٥]: بمعنى الضعف واللا اقتدار.

ـ «معاجزين»[٦]: أي ديمومة حالة العجز.

ـ «معجزي الله»[٧]: أي لستم قادرين على جعل الله عاجزاً من..

ـ «معجزين»[٨]: في عبارة «ما أنتم بمعجزين...»: أي فائتين وخارجين عن ملك الله وقدرته.

١ـ أقرب الموارد، المجلد ٢، مادة «عجز».
٢ـ المصدر نفسه.
٣ـ التمهيد في علوم القرآن، المجلد ٤، ص ١٦.
٤ـ سورة هود، الآية (٧٢) وسورة الصافات، الآية (١٣٥).
٥ـ سورة المائدة، الآية (٣١).
٦ـ سورة «سبأ»، الآية (٣٨) وسورة الحج، الآية (٥١).
٧ـ سورة التوبة، الآية (٢).
٨ـ سورة الانعام، الآية (١٣٤) وفصلت، الآية (٣١) والنور، الآية (٥٧) والعنكبوت، الآية (٢٢).

ـ«يُعجز»[1]: أي يصيره عاجزاً.

ـ«الأعجاز»[2]: وهي جذور النخيل يـظهر فـيها الذبـول وعـلامات فقدان العناصر الغذائية بعد استئصالها من التربة. إن الإعـجاز وفي شـتى الأحوال يكون مصحباً بالتأثير والهيمنة والتفوق والتحكم[3].

لم تذكر مفردة «المعجزة» في الأحاديث المروية عن أهل بيت رسـول الله ﷺ بمعناها اللغوي بل الاصطلاحي حيث تفيد معنى «الآية»[4].

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: المعجزة علامة الله لا يعطيها إلّا انبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب[5].

المعجزة ومصطلحاتها القرآنية:

جاءت مصطلحات: «الآية»، و«البينة»، و«البرهان» و«السـلطان» في القـرآن تـعبيراً عـن حـالات وأمـور خـارقة للـعادة كـما في مـعجزات الانبياء عليهم السلام بينما لم تذكر مفردة «المعجزة» فيه بهذا المعنى رغم أنها غدت المصطلح الأكثر شهرة واستخداماً لأداء هذا المعنى[6].

المفهوم الاصطلاحي:

موضوع «المعجزة» بحث يتم تناوله في أربعة من العلوم على أقل تقدير،

١ـ سورة الفاطر، الآية (٤٤).
٢ـ سورة القمر، الآية (٢٠) والحاقة، الآية (٧).
٣ـ التحقيق في علوم القرآن، المجلد ٨، ص (٣٩).
٤ـ دراسة في آلاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ١، ص ٥٨.
٥ـ بحار الأنوار، المجلد ١١، ص ٧١ وكذلك «ميزان الحكمة»، المجلد ٦، ص ٦٦.
٦ـ دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ١، ص ٥٤.

هي: التفسير وعلوم القرآن والأصول والكلام[1].

يصف بعض العلماء الأسبقين، ومنهم الشيخ الطوسي، هـذا المـوضوع ضمن علم الأصول فيقول:

«إعلم أن القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي ﷺ بل هو من أكبر المعجزات وأشهرها، غير أن الكلام في إعجازه، وجهة إعجازه واختلاف الناس فيه لا يليق بهذا الكتاب لأنه يتعلق بالكلام في الأصول»[2].

بينما يلحقه البعض الآخر بعلم الكلام (العقائد)، ومنهم الخواجه نصير الديـن الطـوسي والعـلامة الحـلي (في تجـريد الاعـتقاد) والمـلا فـتح الله الكاشاني[3]. ويبحثه بعض المفسرين ضمن تفسير القرآن، وفي مـوضوع «معجزات الانبياء عليهم السلام»، مثل العلامة الطباطبائي في الميزان وآية الله طيب في «أطيب البيان» و... وألحقه فريق آخر (من أمثال السيوطي في الاتقان ومحمد هادي معرفت في التمهيد) بعلوم القرآن[4].

ويذكر العلامة الحلي في سياق حديثه عن المعجزة شروطاً خمسة، هي:

١ـ ما يعجز الملأ عن الاتيان بمثله أو بما يشابهه.

٢ـ أن تجري بمشيئة الله.

٣ـ تظهر في مرحلة التكليف لا مع اقتراب الساعة واضطراب وضع العالم وخروج الأمور عما هو مألوف.

٤ـ يتبين من دلائلها تعلقها برسالة النبي.

١ـ المصدر نفسه، ص ٥٩.
٢ـ التبيان في تفسير القرآن، المجلد ١، ص ٣.
٣ـ دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ١، ص ٥٩.
٤ـ دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ١، ص ٥٩.

٥ـ أن تخرج عن السنن الرائجة[١].

ويوضح «السيوطي» مفهوم المعجزة في (الاتقان) بقوله:

«اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة.وهي إما حسيّة وإما عقلية، وأكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسيّة لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم»[٢].

فلنعرج على تفسير «الميزان» ونستطلع رأي العلامة الطباطبائي في تفسير «المعجزة». إنه يقول:

«ولا شبهة في دلالة القرآن على ثبوت الآية المعجزة وتحققها بمعنى الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل»[٣].

وجاء تعريف «المعجزة» في «البيان» على النحو التالي:

«وهو في الاصطلاح أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الالهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه»[٤].

ويكتب أحد العلماء المعاصرين بهذا الخصوص:

«الإعجاز يطلق على كل أمر متميز وخارق للعادة (يخرج عن إطار المألوف) لا يتيسر إلّا لأنبياء الله ورسله بينما يعجز عن الاتيان به بنو

١ـ المصدر نفسه: ص ٤٨٩.

٢ـ الاتقان في علوم القرآن، المجلد ٤، ص ٣

٣ـ تفسير الميزان، المجلد ١، ص ٧٢.

٤ـ البيان، ص ٣٣.

الإنسان العاديين مهما بذلوا من قوىٰ»[1].

أما في شرح المواقف فإننا نقرأ عن المعجزة بأنها:

«.. فإن ما يصدق الله به أنبياءه في دعوى النبوة يسمىٰ «معجزة» لاعجاز الناس عن الاتيان بمثله وآية أيضاً لكونه علامة دالة علىٰ تصديقه أياهم والباهر الغالبة من بهر القمر»[2].

وينقل الشهيد محمد باقر الحكيم عن استاذه الشهيد محمد باقر الصدرﷺ القول:

والدليل الذي يبرهن عن صدق النبي في دعواه هو المعجزة، وهي أن يحدث النبي تغييراً في الكون، يتحدى به القوانين الطبيعية التي ثبتت عن طريق الحس والتجربة»[3].

ويذهب الاستاذ مصباح يزدي إلى أن المعجزة: عبارة عن أمر يخرج عن نطاق المألوف ينفذه الشخص المدعي للنبوة بمشيئة الله تعالى فيكون دليلاً على صدق نبوته»[4].

نلخص من جميع هذه التعاريف إلى أنها تشير جميعاً إلى أن:

«المعجزة أمر خارق للعادة ولكن لا يتناقض مع حكم العقل حيث لا يمكن اجتماع النقيضين حتى عن طريق الإعجاز فيما يجوز ظهور الإعجاز خلافاً للمألوف ويشترط كذلك في المعجزة أن تنسجم مع الإدعاء»[5].

---

١ ـ القرآن في القرآن، المجلد ١، ص ٨٩.
٢ ـ المجلد ١، ص ١٦.
٣ ـ علوم القرآن، الشهيد محمد باقر الحكيم، ص ١٢٧.
٤ ـ تعليم العقائد، محمد تقي مصباح يزدي، ص ٢٦٣.
٥ ـ تاريخ وعلوم القرآن، أبو الفضل مير محمدي، ص ٢٣٥.

ويؤكد الدكتور عبد الكريم عبيدات في مقاله «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» المنشور في مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية (العدد ٢٥، ص ١٩) بأنه لابد:.. «أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل، أي ينسب وقوعها إلى الله سبحانه، لأن الله بعث رسله بالدعوة إلى وحدانيته وأيدهم بالمعجزات كدليل صادق على نبوتهم، فلو نسبوا المعجزات لغير الله، وحاشاهم أن يفعلوا ذلك، بطل الاحتجاج بها...».

ثم يردف قائلاً: «إن الناظر في معجزات الأنبياء ﷺ، يجد أنها من جنس ما اشتهر به أقوامهم، ليكون ذلك أبلغ في التحدي، ويكون تأثير المعجزة حاسماً في النفوس ممن تتنزل عليهم، لأن تحدىٰ كل قوم بما يحسنون وعجزهم عن مضاهاة ذلك، دليل على أن ما جاءهم به رسولهم خارج عن قدرتهم، إذ لو قدروا على الاتيان بمثل ما تحداهم به رسولهم لفعلوا، وهم أحوج إلى ذلك»[1].

ويؤكد صاحب تفسير «المنار»:

«أن ما أيد الله تعالى به رسله من الآيات الكونية كان مناسباً لحال زمان كل منهم وأهله وقامت الحجة على من شاهد تلك الآيات في عهده، ثم على من صدق المخبرين من بعده. وقد علم الله تعالى أن سلسلة النقل ستنقطع وأن ثقة بعض المتأخرين به، ولاسيا بعد انقطاع سلسلته ستضعف، وأن دلالتها على الرسالة ستنكر، فجعل الآية الكبرى على إثبات رسالة خاتم النبيين علمية دائمة لا تنقطع»[2].

١ـ مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية، مقالة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد ١٢٥، ص ٢٠.

٢ـ تفسير المنار، الجلد ١، ص ٢١٨

«خصائص الاعجاز»

يكتب أحد الكتّاب المعاصرين في بيان خصائص الاعجاز وما يتضمنه من فوارق واختلافات مع العلوم البشرية الغريبة:

١ ـ يجري الاعجاز في نطاق «ممكن الوجود»: أولىٰ خصائص الاعـجاز المستوحاة من تعريفه أن يتعذر الاتيان به من قبل أحد سوى أنـبياء الله ورسله، ولكنها في ذاتها تعتبر أمراً «ممكن الوجود».

٢ ـ الإعجاز أمر خارج للعادة: يأتي به صاحب الدعوى مستنداً إلى علل خفية دخيلة فيه ويجهلها سواه من بني الإنسان العاديين ويـتعذر عـليهم اتخاذ مثل هذه المبادرة.

٣ ـ انسجام الإعجاز مع قانون «العلة والمعلول»: إن الإعجاز لا يكـون دون «علة» فالمعجزة تخرج عن نطاق «المألوف» ولكنها لا تخرق «قانون العلية» فللإعجاز كأية ظاهرة أخرىٰ بواعث وعلل يستوعبها صـاحب الدعوىٰ.

٤ ـ الإعجاز لا يمثل طفرة: الطفرة تدل على الانتقال من نقطة البداية إلى النهـاية دون اجـتياز المسـافة بـين هـاتين النـقطتين. ولهـذا تـعتبر مـن

المستحيلات لأن إمكانها يبطل فاعلية هذه المسافة ويضاهي بين وجودها وعدمه. إن الإعجاز لا يركن قط إلى «الطفرة» بل يجتاز المراحل الوسطية بين البداية والنهاية، إذ نقرأ في القرآن الكريم بشأن النبي عيسىٰ عليه السلام:

﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾[1].

إن هذه الآية لا تفيد معنى حدوث الطفرة بل التدرج في تحول ذرات التراب والطين بإذن الله إلى الطير علىٰ نحو سريع خارج عن نطاق المألوف.

٥ ـ تماثل مفهومي الاعجاز والكرامة: ليس هنالك ثمة تباين جوهري بين مفهومي الاعجاز والكرامة لأن كلتيهما جانب من جوانب «الولاية» وهما وجهان لحقيقة تستبطنها كلتاهما وهي «الولاية». فالنفس الانسانية إن نالت الكمال يرقىٰ معها الشخص إلى مكانة «ولي الله» وبها يخوله الله بالتأثير تكوينياً في نظام الكون من خلال ممارسات يبادر إليها الأنبياء باعتبارها معجزات ويؤديها «أولياء الله» في نطاق «الكرامات» ومن شأنها أن تصدر عن المعصومين عليهم السلام كذلك بإذن الله، بفارق أن الوحي التشريعي خاص باالانبياء دون غيرهم. إن الإعجاز أمر يخرج عن حدود المألوف، الغاية منه إثبات النبوة والإمامة في سياق التحدي والمواجهة لتعجيز الجانب الآخر، ولهذا يطلق على ما ينفذه النبي لاثبات صدق نبوته أو الإمام لتأكيد احرازه منصب الإمامة «المعجزة» أما ما يصدر عن كليهما من ممارسات خارقة للعادة دون أن يكون الهدف منها إثبات النبوة أو الإمامة فإنها تسمىٰ «الكرامة».

---

١ ـ سورة المائدة، الآية (١١٠).

والكرامة قد تظهر أيضاً -بعيداً عن التناقض العقلي- عند غير الانبياء والائمة. فأولياء الله من شأنهم، إن فازوا بالتتلمذ على يد الأنبياء أو الانتهاج بنهجهم، أن تكون لهم ممارسات خارقة للعادة بإذن الله.

٦- الاعجاز مكرس للانبياء دون غيرهم: في استدلاله فيما يخص ضرورة الوحي والنبوة يؤكد الإمام الصادق عليه السلام على رأفة الباري تعالى وحكمته إزاء بني الإنسان، حيث يقول:

«.. وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجزأ يشاهده خلقه ولا يلمسوه، فيباشرهم ويباشروه ويحاجّهم ويحاجّوه، ثبت أنّ له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين،...»[1].

وعلى هذا، فإن إمكانية الاتيان بالمعجزة لغير الانبياء مما يوفر لهم فرصة تقمص دور الرسل الواقعيين أمر لا يتوافق مع الحكمة الالهية، ولهذا لم يشهد التاريخ ظهور مثيل للمعجزات الالهية في الماضي كما لن يكون ذلك في المستقبل أيضاً.

٧- لا يمكن تحدي الإعجاز: والسر في ذلك يعود إلى استناد المعجزة إلى مصدر لا يمكن تحديه وهو الله القادر الأزلي الفذ. تجري المعجزة على يد أصحاب النفوس المتكاملة وأولياء الله بالنظر لحيازتهم على مكانة أسمى بدرجة كبيرة من مكانة سواهم على صعيد الارتباط بالمناهل الغيبية

١- أصول الكافي، المجلد ١، ص ١٦٨.

السامية والقرب منها بناء على ما جاء في الآية الشريفة:

﴿وإن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم﴾[1].

إذاً، في حال غدا الشخص بنفسه ذخراً إلهياً وتعهد بمسؤولية الحفاظ على خزائن الله يتسلم دون ريب زمام أداء جميع الممارسات بإذن الله.

٨ـ اعجاز الأنبياء يتم بإذن الله: لا تذكر لفظة «المعجزة» في القرآن الكريم قط بل يعبر عنها بلفظة «الآية» حيث دعمت بعض الآيات الإعجازية أصحاب الرسالات الالهية منذ طليعة مهمتهم تزامناً مع نزول الوحي إليهم وبعضها بذلت لهم بناء على طلب الناس أو لإنهاء صراع وتحدي الناس مع الأنبياء فظهرت في إطار ما يسمى «العذاب».

تؤكد مختلف الآيات القرآنية على مبدأ عام وهو أن أياً من الأنبياء والرسل لم يأت بالآية أي «المعجزة» من عنده بل تمت جميعها بإذن الله:

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلّا بإذن الله﴾[2].

يستوحى من هذه الآية المباركة والآيات التي تعالج الموضوع ذاته أن:

أولاً: الانبياء أتوا بالمعجزات ولعبوا دوراً حقيقياً في الاعجاز. وعلى هذا يكون اسناد الاعجاز إلى الانبياء اسناداً حقيقياً، فأداؤه يمثل في الحقيقة فعلاً من أفعالهم.

ثانياً: الإعجاز وفي ذات الوقت الذي يعتبر من صنع الانبياء إلّا أنه ليس من عندهم بل يجري على أيديهم بإذن الله. والإذن يدل على رفع الحجر وإزالة الموانع. وللأنبياء حق الإتيان به، ولكن برعاية الله الذي رفع

١ـ سورة الحجر، الآية (٢١).

٢ـ سورة غافر، الآية (٧٨).

الحجر عن فعلهم في هذا السياق.

٩ـ الاعجاز دليل على صدق النبوة: من القضايا الهـامة التي يـتضمنها موضوع الاعجاز هي العلاقة الثابتة والتقارن الدائم بين المعجزة وصدق ما يذهب إليه حامل المعجزة، فالاعجاز يتم لاثبات صدق الانبياء في ادعائهم النبوة. ولولا المعجزة يتعذر عليهم إثبات ذلك ولَتيسر على كل مـن هبّ ودب أن يدعي الارتباط بعالم الغيب، وبأنه رسول الله بعث ليهدي الناس ويتولى أمر قيادتهم.

إذاً، لابد لمن يدعي النبوة الاتـيان بـعمل مـا ورائي خـارق لاثـبات ارتباطه بخالق الوجود. فباثبات صدق ادعاء الانبياء عن طريق المعجزة يمكن ايلاء الثقة بجميع مضامين رسالتهم وأخذ فـروع الديـن وأحكـامه وتعاليمه الضرورية في الحياة عنهم الى جانب الايمان بأصول الديـن الذي يحملونه، بالاستناد الى حكم العقل والاسترشاد بهدي الرسل أنفسهم عن طريق الاستدلال والتمحيص، فبالاهتداء بهديهم في مجـالات مـن فـروع الدين لا يشق العقل إليها سبيله يمكن تحـديد المـلامح النهـائية في النـظرة الكونية التي يتبناها الإنسان في حياته.

١٠ـ الاعجاز قائم على البرهان: تعتبر المعجزة دليلاً عقلياً وبرهاناً منطقياً على صحة ادعاء النبوة. وهو: كما أشرنا، فعل خارج للعادة يخرج عـن نطاق المألوف بما لا يتيسر الاتيان به لأي انسان عادي لا يـرتبط بـعالم الغيب ولا سبيل أمامه للاستمداد من القدرة الالهية اللامتناهية.

أما سبب رغبة جمهور الناس في الاستناد إلى المعجزة أكثر من البرهان والاستدلال العقلي والفلسفي فإنه يعود لعسر فهم وإدراك البراهين بالنسبة

إليهم، إلّا أن هذا لا يعني أن المعجزة تمثل مؤشراً بديهياً، غير استدلالي، لصحة النبوة بل هنالك تلازم وجودي وعقلي بينهما. ولكن لكونها مدعومة بالعمل وبقضايا مادية عينية (حسية) يسهل أمر استيعابها. وهذا ما يعمق رغبة الناس وأكثر المؤمنين بالأديان الالهية في اثبات الرسالة بالمعجزة[1].

١ ـ القرآن في القرآن، المجلد ١، ص ٨٩ ـ ١٣٥ (مع الاختصار).

«إثبات إعجاز القرآن»

يعتبر المسلمون القرآن الكريم أعظم معجزة من معجزات النبي محمد ﷺ، ويرون أن إبداع أي مأثور في مثل فصاحة القرآن وبلاغته أمر لا يتيسر لأيٍ من أفصح وأقوى الكتّاب والمؤلفين، عرب كانوا أو مبدعين من أصحاب القلم العربي، فالأمر هو كما جاء بوضوح في الآية:

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[1].

يرى آية الله الخوئي ﵀ أن الاستدلال لاثبات صدق مضامين الوحي أمر عقلي يستقل في فهمه العقل ولا ضير عليه من جهل وانكار الآخرين. فلابد للعاقل ـ برأيه ـ أن يستند إلى ضميره ويتأمل في عجز الإنسان عن الاتيان بما جاء به مدعي النبوة، فهل يجد دليلاً على صدق دعوته أم لا؟»[2].

إلّا أن الدليل العام على إعجاز القرآن الشريف هو تحديه لمنكريه

---

١ ـ سورة الاسراء، الآية (٨٨).

٢ ـ انظر «نفحات الإعجاز»، ص ٩.

وتوجيهه دعوة صريحة وجادة إلى الناس، «اعراباً وغير أعراب» للإتيان بمثله إن كانوا في شك من صدقه[1]، كما في الآيات:

أ ـ ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[2].

ب ـ ﴿وإن كنتم في ريب مما نزّلنا علىٰ عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[3].

ج ـ ﴿أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾[4].

إن ظاهر عبارة «مثله» وإن كانت تلوح بأن المراد منها القرآن بأسره إلّا أن كلمتي «حديث» و«كلام» تتحدان بما هو أقل من السورة ويحتمل البعض كفاية سورة واحدة أو عدد من الآيات يماثل حجمها السورة، لتحدي اعجاز القرآن[5].

---

١ ـ تاريخ وعلوم القرآن، ص ٢٠٥.
٢ ـ سورة هود، الآية (١٣).
٣ ـ سورة «البقرة»، الآية (٢٣).
٤ ـ سورة طور، الآيتان (٣٣ و٣٤).
٥ ـ دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ١، ص ٦٩، نقلاً عن الاتقان في علوم القرآن.

«التحدي»

التحدي أي طلب المواجهة ودعوة منكري النبوة إلى الإتيان بمثيل للمعجزة. والتحدي لا يمثل أمراً خاصاً بإعجاز القرآن الكريم بل جميع معجزات سائر الأنبياء أيضاً حيث تتالت دعوات رسل الله ـ على مر التاريخ كل في عهده ـ للمرتابين في حقانية معجزاتهم واعتبارهم لها بأنها ممارسات بشرية عادية لا دخل لله فيها، أن يأتوا بمثل هذه المعجزات إن صدق ريبهم، فالمتحدي هو الله عز وجل والمتحدىٰ به هو القرآن والنبي صاحب المعجزة.

يعلن الله سبحانه وتعالى في آياته بأن القرآن كتاب يعجز بنو الإنسان عن الاتيان بمثله لأنه إلهي المنشأ يستند إلى علم وقدرة وعزة وحكمة وسائر الأسماء الحسنى لله تعالى، ويمثل مظهراً من مظاهر عظمة ذاته المقدسة. وعلى هذا يتطرق الله عز وجل بعد إقامة البرهان في تحديه، إلى بيان أوصاف القرآن الكريم وخصائصه، فيمهد لمناوئي القرآن أن يأتوا بمثله فيكون أسلوبه في إلقاء الحجة عليهم أكثر مصداقية وأقوىٰ برهاناً.

أشكال التحدي في القرآن:

قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[1].

تستند هذه الآية في التحدي إلى المطالبة بمثل القرآن كله. فإضافة إلى كون هذه الآية أسلوباً تعجيزياً يراد به إثبات عجز مناهضي القرآن بل جميع الكائنات الحية عن الاتيان بمثل القرآن فإنها تتضمن أخباراً غيبية مستقبلية حيث جاء فيها: ﴿لا يأتون بمثله﴾. إذاً، الآية تسند تحدي الله سبحانه وتعالى، على المدى البعيد، إلى إعجاز الاخبار الغيبية. وبالفعل مرت القرون على بدء زمان التحدي دون أن تبدو في الأفق أية مؤشرات لنجاح الكفار في الاتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة واحدة منه رغم تكلل محاولاتهم بمظاهر تعاضد وتآزر قوى الكفر.

وفي سورة «هود» المباركة تحدد التحدي بالمطالبة بعشر سور من سور القرآن، فقد جاء فيه:

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[2].

ثم انحسرت دائرة التحدي في سورة «يونس» واكتفى فيها بسورة واحدة حيث قال تعالى:

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله

١ـ سورة الاسراء، الآية (٨٨).

٢ـ سورة هود، الآية (١٣).

إن كنتم صادقين﴾[1].

ومثل هذا جاء في سورة «البقرة» المباركة أيضاً في قوله عز وجل: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله..﴾[2].

إذاً، تفيد هذه الآيات بأن انعدام مثيل للآيات الالهية لا يتحدد بانعدام القدرة على الاتيان بمثل القرآن بأسره بل حتى بمثل أصغر سورة حيث يتعذر ذلك على الجميع[3].

ويرى صاحب تفسير الميزان في خصوص التحدي أن الدعوة للاتيان بسورة واحدة جاءت لاثبات منتهى عجز المعارضين ولبيان اعجاز القرآن وبأنه منزل من عند الله تعالى لا سبيل للشك والريبة إليه، فقد صمد اعجازه رغم القرون التي انقضت على بدء زمان تحديه.

ويخلص العلامة الطباطبائي﵀ إلى أن ضمير مثله في الآية: ﴿أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[4]، قد يعود إلى القرآن الذي أشارت إليه عبارة «مما نزلنا» ـ وأن المراد بذلك هو إثبات عجز الناس إزاء القرآن وأسلوبه الحديث ـ أو أنه يعود إلى النبي (عبدنا) فيغدو معنى الآية عندئذ، بحسب رأيه، إن الناس يعجزون عن الاتيان بمثل القرآن عن طريق شخص يتسم بخصائص النبي أي لم يتلق التعليم أبداً ولم يأخذ مالديه من معارف قيمة وتعابير أخاذه

١ـ سورة يونس، الآية (٣٨).
٢ـ سورة البقرة، الآية (٢٣).
٣ـ انظر القرآن في القرآن، المجلد ١، ص ١٣٠، ومواهب الرحمن في تفسير القرآن، المجلد ١، ص ١٢٦ـ ١٢٧.
٤ـ سورة هود، الآية (١٣).

رصينة عن أحد قط. وبذلك يكون معنى الآية قريباً من مضمون الآيـة: **﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون﴾**[1].

ويـنوه الطـباطبائي أخـيراً إلى أن كـلا المـعنيين قـد ذكـر في بـعض الروايات[2].

هذا ما كان من رأي العلامة المرحوم الطباطبائي‌ﷺ بشأن الضـمير في «مثله» فلنعود إلى بعض المفسرين الآخرين ونطالع رأيهم في هذا الصدد.

يذهب المرحوم الشيخ الطوسي وكذلك المرحوم الطبرسي (رضوان الله عليهما) إلى أن ضمير الهاء في «مثله» يعود إلى لفظة «سـورة» وليس إلى (عبدنا) أي أن الله سبحانه وتعالى يطالب المناوئين بأن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن[3]. ويستدل المـرحوم الشيخ الطوسي على رأيه بأنـه في حال تعلق الضمير في «مثله» بلفظة (عبد) يغدو معنى الآيـة أن إعـجاز القرآن مرده الاتيان به من قبل شخص أمي لا يجـيد القراءة والكتابة بينما يتطبع التحدي الالهي فيما يخص القرآن الكريم بطابع عالمي.

وفي آية من آيات التحدي يقول الله تـعالى: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون..﴾**[4].

إن اعجاز القرآن أمر مستقل لا يتعلق بأمية حامله لأنه يعتبر اعجازاً حتى لولم يكن حامله أمياً. فالقول بأن ضمير الهاء في «مـثله» يـعود إلى

١ـ سورة يونس، الآية (١٦).
٢ـ انظر تفسير الميزان، المجلد ١، ص ٥٨.
٣ـ التبيان، المجلد ١، ص ١٠٤، ومجمع البيان، المجلد ١، ص ٦٢.
٤ـ سورة الاسراء، الآية (٨٨).

لفظة (عبد) يفسح مجالاً للطعن في استقلال وعظمة اعجاز القرآن.

ويؤيد الشيخ الطبرسي كلام الطوسي معللاً ذلك بأن ضمير الهاء في مثله يذكر في أكثر الآيات المماثلة مع كلمتي «سورة» أو «القرآن» لا مع كلمة «عبد»[1].

والزمخشري بدوره يذكر في الكشاف كلا الوجهين من التفسير أيضاً ولكنه عقب الاستشهاد ببقية الآيات المتشابهة يؤكد أن ضمير الهاء في «من مثله» يعود إلى «مما نزلنا»[2]، ورد غيرهم على الاستدلال الثاني بالقول:

«ينسب ضمير الهاء في بقية آيات التحدي إلى القرآن لعدم وجود أي من اللفظتين «عبد» أو «من» فيها فلولا وجودهما في الآية الآنفة لتعذر القول بأن ضمير الهاء يعود إلى شخص النبي أما مع وجود هاتين الكلمتين في هذه الآية لا يصح نفي احتمال دلالة الضمير فيها على شخص النبي ﷺ لعدم دلالة الضمير عليه ﷺ في سائر الآيات. فهذه الآيات تختلف عن غيرها من آيات التحدي[3].

ويحتمل الزملكاني أن يعود ضمير الهاء في هذه الآية إلى الله أي: (إن استطعتم فأتوا بسورة من مثل الله)، ولكنه احتمال ضعيف لأن هذه الآية تماثل الآية ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله..﴾[4] بينما الضمير لا يعود إلى الله

١ـ انظر تفسير مجمع البيان، الجلد ١، ص ٦٢.
٢ـ انظر «الكشاف»، الجلد ١، ص ٩٨.
٣ـ القرآن في القرآن، الجلد ١، ص ١٥٦.
٤ـ سورة هود، الآية (١٣).

فيها[1].

ويؤكد صاحب البيان بعد عرض مراحل التحدي القرآني ومطالبة الكفار بالاتيان بمثل القرآن ثم بعشر من مثل سوره، والاكتفاء في نهاية المطاف بسورة من مثله أصغر سوره ليكفوا الأمة بهذا التحدي السليم شر الحروب الطاحنة وانهدار النفقات الباهضة والدماء العزيزة، يؤكد أن الأعراب وبما تمتعوا به من قوة الفصاحة وبراعة البلاغة أذعنوا لإعجاز القرآن وهم يواجهونه، وتيقنوا من حتمية انهدامهم في تحدي القرآن ولم يبق أمامهم من سبيل سوى الافصاح عن عجزهم إزاء الحق[2].

آفاق التحدي:

يمكننا دراسة آفاق التحدي في القرآن الكريم من جوانب مختلفة، منها:

١ـ نطاق التحدي: في أي نطاق من القرآن يتجلىٰ وجه إعجازه؟ وهل يتحدد اعجاز القرآن في حجم أصغر سورة منه أو لا يتحدد أساساً بنطاق معين؟

هنالك اتجاهان علىٰ هذا الصعيد:

أ ـ الاتجاه المحدود، وهو ما يتبناه الأشاعرة والإمامية. يرد الاشاعرة بالايجاب علىٰ هذا السؤال ويرون أن أعجاز القرآن يتمثل في حجم أصغر سورة منه (أي في سورة الكوثر ذات الثلاث آيات) حيث لا يمكن، بحسب هذا الاتجاه، اعتبار الألفاظ وكذلك الآية الواحدة والآيتين من القرآن معجزة.

---

١ ـ دراسة في الإعجاز العلمي للقرآن، المجلد ١، ص ٧١ نقلاً عن التمهيد، المجلد ٤.
٢ ـ انظر البيان، ص (٩١ ـ ٩٨).

يستدل الأشاعرة علىٰ رأيهم هذا بأن الله هو الذي دعا مدعي حيازة التكافؤ مع مصدر القرآن بأن يأتوا بسورة من مثل سوره: ﴿فأتوا بسورة من مثله...﴾[1]. دليلاً علىٰ صدق ادعائهم. ويتفق رأي المتكلمين الإمامية مع رأي الأشاعرة في أن المعجزة تتحدد في أدنىٰ حجم لها بأقصر سورة من سور القرآن وبأن الإتيان بآية تماثل آياته أمر غير مستحيل. في مقدمة كتاب «البيان في تفسير القرآن» جاء بأن القرآن يعتبر معجزة في بلاغته وأسلوبه لا في كل من كلماته وألفاظه وأن عجز الإنسان عن الاتيان بسورة من مثل سور القرآن لا يتنافىٰ مع تمكنه من الاتيان بآية من مثل آياته أو ما يضاهيها. فهو أمر ممكن لم يدّع أي من المسلمين استحالته. والقرآن بدوره لم يوجه الدعوة إلى معارضيه للاتيان بمثل آية من آياته.

ويلوح الشيخ الطوسي في «تمهيد الأصول» فيما تبناه من رأي في هذا الصدد بمساندته لهذا الرأي مشيراً إلى أن أقصر سور القرآن تتضمن آيات ثلاث، وقد دعا الله معارضيه للاتيان بسورة واحدة من مثل سور القرآن، ومع ذلك حبطت مساعيهم جميعها وباءت بالفشل.

ب ـ الاتجاه اللامحدود (رأي بقية المتكلمين): فيما عدا الأشاعرة والإمامية يرىٰ بقية المتكلمين الاسلاميين أن إعجاز القرآن لا يتحدد بنطاق معين منه. فالقرآن برمته معجزة سواء قليله أو كثيره، وأن الآية ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ لم تحدد أبداً حجم المعجزة بل تنوه فقط إلى أن الله طالب مناوئيه المرتابين في كون القرآن كتاباً سماوياً يمثل معجزة الرسول بأن يأتوا بسورة من مثل سوره. إن إعجاز القرآن يتمثل في بلاغته وبلاغته

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ٢٣.

لا تتجلىٰ خلال ثلاث آيات (سورة الكوثر) بل حتى في آية واحدة أو أقل منها. فكل لفظة من ألفاظ القرآن تحمل معنى متميزاً (منها لفظة القرآن ذاتها)، وتعتبر بحسب هذا الاتجاه معجزة يتعذر علىٰ أي كائن الاتيان بمثلها[1].

٢ـ التحدي وخصائص القرآن: يرىٰ البعض أن التحدي تحدد في مجال فصاحة القرآن وبلاغته وأسلوبه. يقول أحد الكتاب المعاصرين في هذا الخصوص:

«يتعين أن تتجلىٰ مظاهر الاعجاز في جميع سور القرآن الكريم وإن كانت سورة صغيرة لأن الله طالب معارضيه بالإتيان بسورة واحدة مثله. ولهذا لا يمكن القول بأن: وجه إعجاز القرآن هو احتواؤه على أخبار عن المستقبل وحكايات وقصص عن الأسلاف وماشابهها. فهذا ما لا تتناوله جميع السور. إذاً، يتوجب أن يتمحور إعجاز القرآن حول أمر تشهده جميع السور وهو ما لا يتمثل إلّا في فصاحة القرآن وبلاغته وحسن أسلوبه الذي أعجز فصحاء العرب، فقد تعذر عليهم الاتيان حتى بسورة صغيرة مثله. يعتمد هذا الرأي عند بيان مظاهر تحدي القرآن الكريم علىٰ جانب الفصاحة والبلاغة وحسن الأسلوب الذي شمل جميع السور، وهذا ما يستوحىٰ بوضوح من الآية الكريمة: **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾**[2] التي تدعو إلى التمحيص في ألفاظ القرآن وأسلوبه[3].

١ـ انظر «دائرة معارف التشيع»، المجلد ٢، ومدخل الاعجاز، ص ٢٦٥.

٢ـ سورة النساء، الآية (٨٢).

٣ـ تاريخ وعلوم القرآن، ص ٢١٤.

ويقول العلامة الطباطبائي:

«وقد تحدى القرآن بالبلاغة لقوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾[1] وقوله: ﴿أم يقولون افتراه...﴾[2]، وفيها التحدي بالنظم والبلاغة فإن ذلك هو الشأن الظاهر من شؤون العرب المخاطبين بالآيات يومئذ. فالتاريخ لا يرتاب أن العرب العرباء بلغت من البلاغة في الكلام مبلغاً لم يذكره التاريخ لواحدة من الأمم المتقدمة عليهم والمتأخرة عنهم ووطئوا موطئاً لم تطأه أقدام غيرهم في كمال البيان وجزالة النظم ووفاء اللفظ ورعاية المقام وسهولة المنطق»[3].

لا تتضمن هذه الآيات مؤشراً حاسماً يحدد البلاغة باعتبارها الأمر المستهدف من التحدي فإن الكلام وإن كان موجهاً للعرب إلّا أن الاستعانة بغير الله تضفي على قضية التحدي حالة الشمولية في جميع الاتجاهات والأوجه ومنها الوجه البلاغي.

٣ـ المدعون إلى التحدي: تؤكد الآية ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله...﴾[4] وهي من الآيات المكية، حالة الشمولية والعمومية في التحدي القرآني.

ويقول العلامة الطباطبائي في هذا الخصوص:

«فلو كان التحدي ببلاغة بيان القرآن وجزالة أسلوبه فقط لم يتعد

١ـ سورة هود، الآيتان (١٣ و١٤).
٢ـ سورة يونس، الآيتان (٣٨ و٣٩).
٣ـ تفسير «الميزان»، المجلد ١، ص ٦٨.
٤ـ سورة الاسراء، الآية (٨٨).

التحدي قوماً خاصاً وهم العرب العرباء من الجاهليين والمخضرمين، قبل اختلاط اللسان وفساده، وقد قرع بالآية أسماع الإنس والجن.

وكذا غير البلاغة والجزالة من كل صفة خاصة اشتمل عليها القرآن كالمعارف الحقيقية والأخلاق الفاضلة والأحكام التشريعية والأخبار المغيبة ومعارف أخرىٰ لم يكشف البشر حين النزول عن وجهها النقاب إلى غير ذلك...

فالقرآن آية للبليغ في بلاغته وفصاحته، وللحكيم في حكمته، وللعالم في علمه، وللاجتماعي في اجتماعه، وللمقننين في تقنينهم، وللسياسيين في سياستهم، وللحكام في حكومتهم، ولجميع العالمين فيما لا ينالونه جميعاً كالغيب والاختلاف في الحكم والعلم والبيان.

ومن هنا يظهر أن القرآن يدعي عموم إعجازه من جميع الجهات من حيث كونه إعجازاً لكل فرد من الانس والجن من عامة أو خاصة أو عالم أو جاهل أو رجل أو أمراة أو فاضل بارع في فضله أو مفضول إذا كان ذا لب يشعر بالقول، فإن الإنسان مفطور على الشعور بالفضيلة وإدراك الزيادة والنقيصة فيها، فلكل إنسان أن يتأمل ما يعرفه من الفضيلة في نفسه أو في غيره من أهله ثم يقيس ما أدركه منها إلى ما يشتمل عليه القرآن فيقضي بالحق والنصفة[1].

٤ـ زمان التحدي: هل يتسم هذا التحدي زمنياً بطابع أزلي أم يتحدد بعهد رسول الله ﷺ؟

هنالك اتجاهان على هذا الصعيد:

---

١ ـ تفسير الميزان، الجزء الأول، ص ٦١ ذيل الآيات (٢١ ـ ٢٥) من سورة البقرة.

أ ـ نظرية الصرفة[1]: اختص التحدي بحسب هذا الرأي بعهد رسول الله ﷺ أي الفترة بين بعثته ﷺ وحتى وفاته، وقد استغرقت (٢٣) عاماً لم ينجح أحد خلالها في تحقيق التكافؤ مع القرآن والاتيان بنص مثله. يذهب أصحاب هذا الرأي إلى وجود نصوص تماثل القرآن بين كلام وكتابات الاعراب قبل ظهور الاسلام وإلى عدم استبعاد تحقيق التكافؤ مع القرآن بعد رحلة الرسول الكريم ﷺ دون أن يخل ذلك بموضوع اعجاز القرآن في عهد الرسول ﷺ.

ب ـ نظرية أزلية اعجاز القرآن: يرى أصحاب هذا الاتجاه وأكثرهم من المتكلمين الإمامية أن قابلية التكافؤ مع القرآن وابداع مأثور في مثل مستواه أمر لم ينله أحد لا قبل بعثه الرسول ﷺ ولا بعد وفاته. وهكذا يصنفد اعجاز القرآن ويلتزم بأزليته حتى يوم القيامة.

يقول صاحب «البيان»: «.. ولما كانت نبوءات الأنبياء السابقين مختصة بأزمانهم وأجيالهم، كان مقتضى الحكمة أن تكون معاجزهم مقصورة الأمد ومحدودة...

أما الشريعة الخالدة، فيجب أن تكون المعجزة التي تشهد بصدقها خالدة أيضاً، لأن المعجزة إذا كانت محدودة قصيرة الأمد لم يشاهدها البعيد، وقد تنقطع أخبارها المتواترة، فلا يمكن لهذا البعيد أن يحصل له العلم بصدق تلك النبوة، فإذا كلفه الله بالإيمان بما كان من التكليف بالممتنع، والتكليف بالممتنع مستحيل على الله تعالى، فلابد للنبوة الدائمة المستمرة من معجزة دائمة. وهكذا أنزل الله القرآن معجزة خالدة ليكون برهاناً على

---

١ ـ سيأتي الحديث لاحقاً عنها.

صدق الرسالة الخالدة، وليكون حجة على الخلف كما كان حجة على السلف. فتفوّق القرآن على جميع المعجزات التي ثبتت للأنبياء السابقين، وعلى المعجزات الأخرىٰ التي ثبتت لنبينا محمد ﷺ لكون القرآن باقياً خالداً، وكون إعجازه مستمراً يسمع الأجيال ويحتج على القرون»[1].

الاستنتاج: يعلن القرآن الكريم في الآية: ﴿**وادعوا من استطعتم من دون الله...**﴾[2] بأن تحديه هو تحد متواصل يتسم إلى جانب ديمومته بالشمولية لأنه كتاب وجه خطابه إلى الإنسانية جمعاء على مر العهود والأعصار محتفظاً بحالته الاعجازية. ولهذا لابد أن يتطبع تحديه وهو وثيقة حقانيته ودليل إعجازه بالشمولية والاستمرار.

لما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الدليل في أن القرآن لا يندرس ولا يبلىٰ بل يزداد حداثة بنحو مستمر، أجاب عليه السلام بأن القرآن لم يبعث لزمان خاص ولملة معينة. ولهذا يحتفظ بحداثته في كل الأزمنة ولدىٰ جميع الأقوام حتىٰ يوم القيامة[3].

إذاً، لم تتحدد فاعلية إعجاز القرآن بزمان بعثة رسول الله ﷺ كما لم يكرس للناطقين باللغة العربية فقط، إنه دليل هداية ورشاد جميع بني الإنسان بل الجن أيضاً إلى يوم القيامة وهو حجة الله عليهم حتى آنذاك، فدعوته لهم بالتحدي مازالت قائمة للدلالة على صدق نبوة رسول الله ﷺ مدى الدهر.

١ـ البيان، ص ٤٣.
٢ـ سورة يونس، الآية (٣٨).
٣ـ انظر بحار الأنوار، المجلد ٩٢، ص ١٢٧.

الفصل الثاني

أوجه إعجاز القرآن الكريم

تتباين آراء المتكلمين في هذا الشأن فأغلبية المتكلمين الإمامية يميلون إلى الرأي القائل باستناد اعجاز القرآن إلى فصاحته وبلاغته ولكنهم مع ذلك لا ينفون احتمال صحة بقية الآراء. فالخواجة نصير الدين الطوسي، مثلاً، يستعرض في كتابه «تجريد الاعتقاد» أهم الآراء في هذا السياق ثم يبدي رأيه حول هذا الموضوع قائلاً: «واعجاز القرآن قيل لفصاحته وقيل لأسلوبه وفصاحته معاً وقيل للصرفة.. والكل محتمل»

في هذا المجال من البحث نشير بإيجاز إلى بعض الآراء في هذا المضمار:

١ ـ فصاحة القرآن وبلاغته: القرآن معجزة أدبية، فمع ارتقائه أعلىٰ مراتب الفصاحة يتسم بلاغياً بذروة الكمال أيضاً. فلم يظهر قبل الإسلام ولا بعد ظهوره أي نص شعري أو نثري عربي في مثل مستواه[1].

---

١ ـ من العلماء الذين يؤيدون هذا الرأي:
١ ـ السكاكي (مفتاح العلوم)

٢ـ أسلوب القرآن وسياقه: يتميز القرآن بأسلوب خاص يختلف عن الأسلوب السائد بين فصحاء الشعراء والخطباء. فرغم أسلوبه التعبيري الخاص لا يمثل شعراً بل أنه نظام خاص بكلام الله الذي انتقىٰ من بين جميع الحروف والألفاظ في جميع الأحوال أسلوباً أدبياً لا نرقىٰ إليه قط لعدم تمتعنا بالعلم والقدرة المتكاملين الالهيين[1].

٣ـ نزول علوم القرآن الالهية السامية على شخص أمي: أنزل الله تعالىٰ القرآن الكريم على نبينا محمد ﷺ وهو أمي لم يتتلمذ على يد أبداً وتحدىٰ بذلك معارضيه علنياً في آيات عدة: ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا

٢ـ العلامة الطباطبائي (تفسير الميزان، المجلد ١)
٣ـ عبد القاهر الجرجاني (دلائل الاعجاز)
٤ـ قاضي عبد الجبار (شرح الأصول الخمسة)
٥ـ ابن ميثم البحراني، وهو ينسب هذا الرأي إلى أكثرية المعتزلة (التمهيد، المجلد ٤، ص ٢٨٠
٦ـ فخر الدين الرازي (نقلاً عن التمهيد)
٧ـ الشيخ محمد عبدة (نقلاً عن التمهيد)
٨ – محمد حسين آل كاشف الغطاء (نقلاً عن المصدر نفسه)
٩ـ ابو الفضل مير محمدي (تاريخ وعلوم القرآن، ص ٢٤٥)
١٠ـ الشيخ المفيد (نقلاً عن بحار الانوار، المجلد ٩٢، ص ١٢٧)
١١ـ الجوادي الآملي (القرآن في القرآن، ص ١٣٤)
١ـ من المؤيدين لهذا الرأي:
أـ القطب الراوندي (نقلاً عن التمهيد، المجلد ٤، ص ٦٤)
ب ـ الزملكاني (نقلاً عن التمهيد، ص ٧٥)
ج ـ عبد الله شبّر (المصدر نفسه، ص ١٠٠)
د ـ محمد حسين آل كاشف الغطاء (المصدر نفسه، ص ١٣٢)
هـ ـ محمد جواد البلاغي (عن التمهيد، ص ١٣٣)
و ـ أبو الفضل مير محمدي (تاريخ وعلوم القرآن، ص ٢٤٥)
ز ـ الدكتور غسان حمدون (إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى، ص ٢٩)
ح ـ الباقلاني (اعجاز القرآن نقلاً عن نظرية الاعجاز القرآني للدكتور احمد سيد محمد عمار)

أدريكم به فقد لبثت...﴾[1]، أفليس بمعجزة أن يبعث رسول الله ﷺ وهو شخص أمي لم يسبق له التعلم، حاملاً كتاباً زاخراً بعلوم عقلية وحقائق علمية فلسفية تدهش العقول وتكشف عجز الآخرين عن الإتيان بمثله[2].

٤ـ **حقائق القرآن وقوانينه ليست عرضة للاختلال:** يعرض القرآن الكريم للناس ما يلزمهم في مختلف المجالات من حقائق وقوانين لا يسري إليها الاختلال والبطلان قط. وهو ما لا يتيسر أساساً لبني الإنسان حيث يتعذر على أي شخص وضع قوانين حية خالدة في مختلف الشؤون الجزئية والعامة، تكون مصونة حتى النهاية إزاء ما يخل بها ويدخل عليها النقائص[3].

٥ـ **الأسلوب الاستدلالي والبرهان السديد للقرآن:** يميط القرآن اللثام عن خفايا حقائق وعلوم ذلك العهد بأسلوب علمي ودرجة من الرصانة وكأن رسول الله ﷺ ثابر سنين مديدة على اكتساب العلوم بينما كان ﷺ أمياً يحيا في عصر خيّم فيه ظلام الجهل والضلال[4].

٦ـ **الأخبار الغيبية:** كشف القرآن الكريم في بعض آياته عن وقائع وقضايا مستقبلية حدثت جميعها بالفعل بعد فترة قصيرة، دون أي تناقض، مما لا يبقي مجالاً للشك بأن هذه الأحداث لا سبيل للتنبؤ بها سوى عن طريق الوحي[5].

١ـ سورة يونس، الآية (١٦).
٢ـ البيان في تفسير القرآن، ص(٤٥ـ٤٦) والتمهيد، المجلد ٤، ص ١٣٥ وتفسير الميزان، المجلد ١، ص ٥٨.
٣ـ البيان في تفسير القرآن، ص ٦٧، والتمهيد، المجلد ٤، ص ١٣٥.
٤ـ التمهيد، المجلد ٤، ص ١٣٣.
٥ـ من أصحاب هذه الاتجاه:

٧ـ تناسق التعبير القرآني وانسجام الآيات: القرآن كتاب أنزل تدريجياً على قلب النبي الكريم ﷺ في أحوال وظروف مختلفة علىٰ مدى (٢٣) عاماً، بعض آياته في مكة المكرمة وبعضها في المدينة المنورة، في الليل والنهار، في السفر والحضر والحرب والسلم وعند التعرض للظروف القاسية أو نيل الفتوحات والانتصارات، وفي الأمن واللا أمن لتستعرض أموراً في منتهى التنوع وقضايا في غاية الاختلاف من العلوم الالهية والأخلاق الفاضلة، وتحديد التعاليم الدينية في جميع المجالات والشؤون، ومع ذلك لا يلاحظ أي مؤشر على انعدام الانسجام والتنسيق في وضع الآيات أو ترتيبها أو على تنافر وتعارض موضوعاته مع بعض بل يوضح بعضها مفهوم البعض الآخر، وهذه الآية تفسر آية غيرها، ولو كان من إبداع بني الإنسان فإنه ولكون جميع الكائنات على وجه الأرض ومنها الإنسان تجتاز مرحلة النقص وصولاً إلى الكمال ونيل القدرة فإن كل ما يتعلق به ـ حتى انتاجاته الفكرية ـ تخضع للتحول والتكامل تبعاً له مما يتسبب في ظهور تناقض في نصوص يكتبها على مر سنين، بداياتها مع نهاياتها. والقرآن نفسه يشير في آياته إلى مثل هذا الانسجام والنظم والتنسيق[1]، كما في الآية: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً

أ ـ القطب الراوندي (نقلاً عن التمهيد، المجلد ٤، ص ٦٤)
ب ـ عبدالله شبّر (عن المصدر السابق، ص ١٠٠)
ج ـ محمد حسن آل كاشف الغطاء (المصدر نفسه، ص ١٣٢)
د ـ العلامة الطباطبائي (تفسير الميزان، المجلد ١، ص ٧٥)
هـ ـ آية الله الخوئي (البيان، ص ٦٨)
١ ـ من المؤيدين لهذا الرأي:
أ ـ العلامة الطباطبائي (تفسير الميزان، المجلد ١، ص ٧٥)

كثيراً﴾[1].

٨ـ ايجاد النهضة الاجتماعية: يرىٰ فريق من أصحاب الرأي أن إثارة الحيوية وايجاد نهضة اجتماعية عظيمة يعتبر من أوجه إعجاز القران الكريم، وقد أدىٰ بدوره إلى حدوث تغيير هائل وجاد في حياة الإنسان غير مرتقب ضمن مسيرة الحياة الطبيعية المألوفة فعلى سبيل المثال شهد الأعراب مع بزوغ فجر الاسلام وظهور القرآن تحولاً في الحياة من طابعها البدوي البعيد عن المدينة إلى حياة تسودها ثقافة ومدنية جديدتين[2].

٩ـ الصرفة: يرىٰ المؤيدون لنظرية الصرفة أن السر في إعجاز القرآن لا يكمن في القرآن نفسه بل في صرف الله الناس عن الاتيان بمثله. وفي هذه النظرية أوجه ثلاثه حول نمط الصرف:

أ - أن تتم بكبح دوافعها.

ب ـ أن تتم باستلاب العلوم اللازمة للإتيان بمثل القرآن.

ج - أن تتم قسراً (جبرياً).

يبدو أن أوّل من سجل هذا الرأي واستدل عليه هو «نظّام المعتزلي». وأيده من الأشاعرة المتكلم والأصولي الشافعي أبو اسحاق الاسفرايني[3]. ومن المتكلمين الإمامية لهذا الرأي السيد مرتضى والشيخ المفيد كما وافقه

ب ـ آية الله الخوئي (البيان، ص ٥٥)

ج ـ التمهيد، المجلد ٤، ص ١٣٣.

١ ـ سورة النساء، الآية (٨١).

٢ ـ دراسة حول الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ١، ص ٧٥.

٣ ـ شرح المواقف، المجلد ٣، ص ١٢.

عدد من المعاصرين كذلك[1].

يذهب هذا الرأي حول إعجاز القرآن إلى تمتع الناس بإمكانية الاتيان بكلام مثل القرآن إلّا أن الله عز وجل يسلبهم هذه الإمكانية فيصد أفكارهم وعقولهم عن اتخاذ مثل هذا الإجراء متى ما عزموا عليه بسلب معارضيه القدرة اللازمة لذلك. فيصبح مثله مثل من يهم برفع صخرة ضخمة إلّا أنه يسلب القدرة على ذلك عندما تنشط ارادته لإنجاز هذه المهمة. وقد طرحت أبحاث عديدة للرد على هذا الاتجاه وأقصائه من قبل أغلبية أصحاب الرأي في علوم القرآن[2].

١٠ - **القرآن وأسرار الكون (الاعجاز العلمي)**: من الأوجه الأخرىٰ لاعجاز القرآن الكريم هو الاعجاز العلمي حيث يتضمن هذا الكتاب السماوي آيات عديدة حول القضايا المتعلقة بقوانين الخلق وعالم الطبيعة والأجرام السماوية وما شابهها. كل هذه الأمور تطرق إليها القرآن في عهد أسدل فيها الجهل ستاره على هذه الحقائق وكان من المتعذر التنبه إليها إلّا عن طريق الوحي والأخبار الغيبية وبياناً لهذه الحقيقة يقول الله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾[3] وكذلك الآية: ﴿ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾[4] وغيرها من الآيات التي تتبنىٰ أسلوب التحدي العلمي. وبالإمعان في آيات القرآن نجد أنها تتناول جميع المواضيع، بسيطها

---

١ ـ انظر: التمهيد، المجلد ٤، ص ٢٤ واوائل المقالات في المذاهب والمختارات للشيخ المفيد، ص ٧٠.

٢ ـ يذكر آية الله العظمى الخوئي (ره) في البيان وكذلك آية الله «معرفت» في «التمهيد»، المجلد ٤، أسماء معارضي هذا الرأي.

٣ ـ سورة النحل، الآية (٨٩).

٤ ـ سورة الانعام، الآية (٥٤).

ومعقدها، ولكنها رغم بيان الحقيقة تلتزم جانب الاحتياط فتكشف بوضوح عما يمكن إدراكه وفهمه من قبل أبناء ذلك العهد وتركن إلى الايجاز والايماء فيما تعذر فهمه وادراكه عليهم ليفوض فهم هذه القضايا وإدراكها بشكل تام للأجيال المستقبلية التي تحظى بمعدات ووسائل متطورة وكل ما ييسر لها تحقيق انجازات واكتشافات وتطور علمي هائل[1].

---

١ ـ تفسير الميزان، المجلد ١، ص ٦٢، والبيان، ص ٧٠.

الفصل الثالث

الاعجـاز العلمـــي للقـرآن

الاعجاز العلمي للقرآن موضوع يقصد به شمول القرآن علوماً ومعارف لم يلم بها أي شخص من الأعراب أو حتى رسول الله ﷺ أو علماء ما قبل ظهور الإسلام حتى كشف العلم الحديث عن بعض أسرارها وأماط اللثام عن خباياها فصارت منجزاتها أدلة وقرائن واضحة لا لبس فيها على الاعجاز القرآني وعلى أنه ليس انتاجاً بشرياً بل هو من عند الله العالم الخبير بخفايا السماوات والأرضين، أتىٰ به رسوله محمد ﷺ رغم أميته ليكون خير مؤشر علىٰ صدق نبوته. إن الأسبقية العلمية هي أوضح دليل على الاعجاز العلمي للقرآن[1]. وكون الاعجاز العلمي موضوع تابع للتفسير العلمي، يتعين علينا أن نحدد بادئاً تعريف التفسير العلمي للقرآن.

التفسير العلمي، بحسب رأي الأخصائيين في علوم القرآن، هو تواؤم

---

١ ـ انظر: الدعوة والدعاة، ص ١٧٦، وعلي في التزام الحق، ص ١٢٨، ومجلة الشريعة الاسلامية، العدد ٣٥، ص ٢٦.

وتوافق القرآن الكريم مع العلوم التجريبية. والعلوم التجريبية هي العلوم التي تتبع أسلوب الاختبار والتجربة لاثبات صحة أو سقم النظريات والنواميس الفاعلة في الطبيعة[1].

وبهذا يعرف التفسير العلمي بانه تفسير آيات القرآن بالاستناد إلى العلوم التجريبية.

يتبنى المفسر بهذا الأسلوب فكرة اعتبار القرآن مجموعة من الايحاءات الخاطفة والموجزة، حول أسرار الطبيعة، يكشف عنها العلم الحديث ولاسيما مع ما نشهده حالياً من تطور علمي سريع يقدم لنا يومياً الكثير من المعطيات العلمية الحديثة[2].

ولكن القضية التي تحظىٰ بالأهمية هي هل هنالك ثمة تعارض بين الحقائق القرآنية والثوابت العلمية؟ إن التعارض بين أي شيئين يدل علىٰ وجود تنافر وتناقض بينهما أي أن أحدهما يدل على الاثبات والآخر على النفي. وبهذا تنعدم إمكانية ضمها إلى بعض أما إذا لم يكن هنالك أي تنافر بينهما وتوفرت إمكانية انضمامهما إلى بعض فإنه يعد مؤشراً دالاً على عدم وجود أي تعارض بينهما رغم اختلافهما. وعلى هذا نرىٰ أن القرآن لا يتبنىٰ أي رأي معارض للحقائق العلمية الثابتة والرصينة القائمة على اليقين بل أنه يساندها ويعززها أيضاً أما عن تعارض القرآن في بعض الأحيان مع العلم فإنه يتحدد بالآراء والنظريات التي لم يتم التحقيق علمياً من صحتها لتغدو ثوابت علمية راسخة بل مازالت في بداية طريقها، وقد ينكشف

١ ـ انظر: المفسر والمفسرون، الذهبي، المجلد ٢، ص ٥١١، وكذلك دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ١، ص ٢٢.

٢ ـ التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفت، ص ٤٤٣.

خطأها أو تتعرض للتعديل. فكم هي كثيرة مثل هذه الآراء والنظريات التي افترضت صحتها في برهة تاريخية ما وأثبت التقدم العلمي بطلانها بعد ذلك. إذاً، ينبغي التنبه للفارق بين الفرضيات والنظريات العلمية وبين الحقائق الثابتة أي الثوابت العلمية، وان نحترز عن محاولة إثبات كل اكتشاف واختراع يستجد بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم والبحث عن الآراء والنظريات العلمية والحياتية في ثناياها، فنجد التفسير العلمي للقرآن عندئذ يحتوي على كل شيء سوى القرآن نفسه[1].

---

١ ـ انظر «التفسير العلمي للقرآن في الميزان»، ص ٨٣، و«نظرية الاعجاز وأثرها في النقد العربي القديم»، ص ١١١.

«الاعجاز العلمي ودوره في العصر الحديث»

يتفق جميع القائلين بالإعجاز العلمي للقرآن على أن مثل هذا الموضوع يلعب في العصر الحديث دوراً هاماً على أصعدة مختلفة، منها:

١ ـ الهداية إلى الايمان بوحدانية الله: يرىٰ مؤيدو هذا الرأي أن ثلة كبيرة من الناس تحتاج في العصر الحديث إلى حيازة القناعة العلمية لنيل الإيمان بسبب انبهارهم بالتطور العلمي السريع الذي هز أركان إيمانهم كنتيجة حتمية لتصورهم بأن العقل قادر على إدراك كل شيء. وعلى هذا يحسن تقوية دعائم إيمانهم الحقيقي بالله عن طريق الاكتشافات والمنجزات العلمية، فما العلم إلّا أداة لتعميق الإيمان بالله عز وجل ليس إلّا. قال تعالىٰ: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[1].

وفي هذا الخصوص يقول أحد الباحثين أن:

«إن الانسان المعاصر اليوم بأمس الحاجة إلى يقين ديني يعيد إليه وحدته الضائعة، وسعادته المفقودة، وأمنه المسلوب. ومادامت القناعة المبنية على الحقائق العلمية هي اليوم من أكثر القناعات فاعلية للتحقق من

---

١ ـ سورة فصلت، الآية(٥٣).

هذا اليقين، ومادام القرآن يمنحنا هذا القدر الكبير المعجز من هذه الحقائق، التي راحت تتكشف عقداً بعد عقد، وقرناً بعد قرن، فلماذا لا نتحرك على ضوء هذه المعادلة العظيمة، لإنتقاذ الإنسان المعاصر من ورطته بفقدان اليقين؟»[1].

إن هذا الوجه الإعجازي أعجز الكفر، بحسب هذه النظرية وقصم ظهره وسد الطريق بوجه التشكيك في الدين إلّا لمن يكون قد فقد عقله، فقد أتى القرآن حتى على ذكر حقائق لم يتوصل إليها بنو الإنسان إلّا في القوانين التاسع عشر والعشرين فكل ذي عقل يدرك لا محالة أن خالق هذه الحقائق هو منزّل القرآن ذاته حتى راح بعض الباحثين يؤكدون بشدة أنه: «لا سبيل إلى معرفة الله عن طريق التأمل في ذاته، فإن الوسائل معدودة وإنما طريق التعرف على الله يبدأ من التأمل في خلقه وعن طريق التفكير السليم في الحياة والأحياء واستخلاص المعارف القيمة الخارجة من الأرض، أو النازلة من السماء وعلى ضوئها يمكن أن ندرك طرفاً من عظمة الخالق الأعلىٰ وما ينبغي أن يوصف به من كمال. وكلما زادت معرفتنا بمادة الوجود وسره وانكشف لنا آياته وخباياه أحسسنا أن عظمة المبدع الماجد فوق ما يطيقه وعينا المحدود وأن التحية التي تقدم لهذا الإله الجليل هي الاعتراف بأن مظاهر وجوده بهرت كما بهر السنا المتألق عيون الناظرين.

«إن درساً في الكيمياء أو الأحياء هو صلاة خاشعة، وأن سياحة في

---

١ ـ مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، ص ١١.

علم الأفلاك هي تسبيح وتحميد وهي صلة حسنة بالله»[1].

٢ ـ الإدلاء بالمفهوم الدقيق للآيات القرآنية ذات الصلة ببعض القضايا العلمية: يرى أصحاب هذا الاتجاه بأن الكشف عن أي من مظاهر الاعجاز العلمي في القرآن إضافة إلى دوره في ترسيخ دعائم الايمان بالله في الروح الإنسانية فإنه يمتاز بفاعلية أخرىٰ على صعيد تفسير القرآن تفسيراً علمياً بما يترتب عليه تقريب مفهومه الحقيقي أكثر إلى الأذهان.

يقول الرافعي في هذا الشأن:

«.. ولقد كانت معاني هذه الآيات الشريفة (أي الآيات العلمية) منظوراً إليها من جهة العقائد فحسب، ولم يكن أحد يستطيع أن يذهب في تأويلها مذهباً يصدر فيه عن علم. ولكن هذه الحالة تغيرت الآن، لأن الحكماء الذين نبغوا في العصرين الأخيرين قد أبانوا بمباحثهم العلمية، وما كشفوه من الغوامض الدقيقة عن قدرة الله بأحلىٰ بيان، حتى أصبحت نظريات علم التكوين صالحة لتفسير آيات الله تفسيراً بديعاً، مع أنها هي في حالتها الراهنة لم تبلغ بعد حد الكمال»[2].

يستند القائلون بهذا الرأي إلى تعذر تفسير الآيات ذات الصلة بالشؤون العلمية تفسيراً دقيقاً في العصر الماضي بسبب نقص الاطلاع اللغوي الكافي لفهم مثل هذه النصوص القرآنية. فاستيعابها يستلزم الإلمام التام بالمعارف العلمية المتنوعة. وعلى هذا يتعين توفر مثل هذه المعرفة لدى الباحث في موضوع تفسير القرآن ليتسنىٰ له التوصل إلى المفهوم

---

١ ـ نظرات في القرآن، ص ١٣٤.

٢ ـ اعجاز القرآن للرافعي، ص ١٤٨.

الدقيق لكلام الوحي. وعلى هذا نواجه ظهور حالة التعارض في تفسير بعض الآيات القرآنية بين ما كان يتفق عليه جمهور المفسرين من رأي، وما توصل إليه العلم الحديث من ثوابت نتيجة عدم إلمامهم بشكل واف بها في عصورهم.

كان قدامى المفسرين يفسرون الآية: ﴿يخرج منها اللؤلؤ والمرجان﴾[1] بأن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من المياه المالحة دون العذبة، فيقول الطبري، مثلاً: «لا يخرج من الأنهار الحلوة حلية»[2]. ابن كثير يقول بدوره: «والحلية إنما هي المالح دون العذب»[3]، رغم وجود آية أخرى تدل على إمكانية استخراج اللؤلؤ والمرجان (الحلي) من المياه العذبة والمالحة على حد سواء، وهي: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج، ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها﴾[4].

ثم أثبت العلم تواجد اللؤلؤ والمرجان في المياه العذبة كما هي في المياه المالحة[5].

وينوه الشيخ محمد الشنقيطي إلى إمكانية استخراج اللؤلؤ والمرجان من المياه العذبة أيضاً معتبراً ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير وعلماء عظام غيره في تفسير الآية ﴿يخرج منه اللؤلؤ والمرجان﴾ بأنها تستخرج من المياه

---

١ ـ سورة الرحمن، الآية (٢٢).
٢ ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، المجلد ٨، ص ٣٦.
٣ ـ تفسير القرآن العظيم، المجلد ٤، ص ٢٧٢.
٤ ـ سورة فاطر، الآية (١٢).
٥ ـ اسرار الكون في القرآن، ص ٣٨٠، وكذلك أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن، المجلد ٢، ص ٢١٠.

المالحة دون العذبة، خطأ محضاً لا يجوز القول به لأنه يخالف النص الصريح لكلام الله تعالىٰ. ويعتضد الشنقيطي في رأيه هذا بذكر العبارة: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج...﴾ والتي ذيلها الباري تعالى بقوله الصريح: يستخرجون حلية، والمراد بالحلية هو «اللؤلؤ والمرجان» وتحديد مصدرهما بالمياه المالحة، بحسب رأيه، أمر يناقض نص هذه الآية بصراحة ووضوح(١).

نستوحي مما سلف ذكره أن تفسير القرآن بنحو يتوافق مع الثوابت العلمية المسجلة يؤكد علىٰ صدور كلا الوحي والعلم من مصدر واحد مما يرسخ الايمان في النفوس ويضيء القلوب بنور اليقين حتى تقر بوحدانية الله في خضم تصارع التيارات الفكرية والفلسفية المادية التي لا تثمر سوى الشك والارتياب والضلال وانفصال العلم عن الدين.

٣ـ اصلاح اتجاه العلوم التجريبية: ترتكز النهضة العلمية الحالية على قاعدة الفصل بل العداء بين الدين والعلم نتيجة ترسخ فكرة تنافر الدين مع العلم لدى الناس. وقد يتم تحليل هذا الاتجاه الذي انطلق أساساً من الغرب بناء على عداء الكنيسة مع العلم والعلماء إلّا أنه موقف يتباين تماماً مع الحالة الاسلامية، إذ لم يتخذ الإسلام قط موقفاً عدائياً إزاء العلم بل يقف منه دوماً موقف الداعم المعتضد. وهذا ما يتجلىٰ خلال أول آية نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق...﴾.

تهيمن على العلوم في عصرنا الحالي غالباً نزعة علمانية خطيرة لابد من اصلاحها ليتعاضد العلم والدين وتنال الإنسانية سعادتها في ظل تعزز

١ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المجلد ٢، ص ٢١٠.

الايمان بالله بالاستناد إلى المدركات العقلية وقطع دابر الكفر وتعجيزه عن إثارة الشبهات.

تمكن المسلمون في العصر الحديث من اصلاح هذا الاتجاه العلمي السائد في العالم بالكشف عن الجوانب العلمية في القرآن الكريم وأسبقية نزول الوحي بهذه المضامين العلمية زمنياً على كشف العلوم العصرية، أي أنهم أثبتوا أن إشارة القرآن الكريم وحياً إلى هذه الحقائق قبل اكتشافها عن طريق العلوم التجريبية. عسىٰ أن تحث هذه الأمور المسلمين لتوسيع دائره مدركاتهم عن أسرار الكون والوجود بدوافع عقائدية إيمانية.

«التفسير العلمي والتزاماته»

أكدنا مسبقاً ان الاعجاز العلمي هو موضوع تابع للتفسير العلمي الذي يعتمد نظرية انسجام وتوافق القرآن الكريم مع العلوم التجريبية. وعلى هذا فإن أية محاولة لشرح وتفسير الحقائق القرآنية تفسيراً علمياً لابد لها الالتزام بأطر نذكر بعضها فيما يلي:

١ـ تجنب فرض العلوم على الآيات أو اخضاع الآيات دون مسوغ للعلوم أو بالعكس.

٢ـ عدم الاستناد في تفسير الآيات إلى الاحتمالات على حساب إقصاء الحقائق إلّا في حالة توفر مؤشرات واضحة تحتم الانصراف عن حقيقة الإفراط واللجوء إلى الاحتمالات فالنأي عن هذه القاعدة الأساسية يوقعنا في شراك الكثير من الأخطاء في علم التفسير.

٣ـ أن يستند التفسير إلى المصادر الخمسة لتفسير القرآن أي تفسير القرآن إما بالقرآن أو بالحديث أو بأقوال الصحابة أو أقوال التابعين أو بالاستناد إلى ألفاظ العرب[١].

١ـ يعتبر علماء السنة أقوال الصحابة والتابعين سنداً يمكن اعتماده في التفسير.

٤ـأن ينسجم التفسير مع سياق الآيات ولا يتنافىٰ معها.

٥ـأن لا يتعارض التفسير العلمي مع معجزات القرآن وأخباره الغيبية لأن المعجزات أمور خارقة للعادة دون أن تتنافىٰ مع حكم العقل بل مكّن الله أنبياءه منها إثباتاً لصدق نبوتهم.

٦ـأن يتم تفسير الآيات الكونية على أساس الثوابت العلمية المسجلة لا الفرضيات والنظريات الخاضعة للتدارس والاختبار المتواصل.

٧ـأن يحترز المفسر من الابتعاد عن المعاني الأصلية للآيات عند تفسيرها إثباتاً لنظريات لم يتم التوثق من صحتها.

٨ـأن يتضمن التفسير كل المدلولات ويرعى جميع قواعد اللغة العربية لتفادي ظهور أي تناقض فيه[١]. فمن التفاسير التي تتنافىٰ مع الأخبار الغيبية ذهاب بعض المفسرين في تفسيرهم العلمي للآية: ﴿ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون﴾[٢].

إلى أن المقصود من هذه الآية الفاصل الزمني بين نفختي الصور فحددوها بألف سنة[٣].

١ـبإيجاز عن:

ـالاسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية، ص ١٥٠

ـاعجاز القرآن وأسماء الله الحسنىٰ، ص(١٨ـ١٩)

ـالاسلام في عصر العلم، ص ٢٢٣

٢ـسورة السجدة، الآية (٥).

٣ـانظر «اتقان البرهان في علوم القرآن»، المجلد ١، ص ١٢٦.

«تاريخ التفسير العلمي في المجتمع الاسلامي»

نشأة التفسير العلمي وعواملها: لنشأة التفسير العلمي ارتباط تام مع اندماج العلوم ذات الصلة بعالم الوجود مع التفسير. فقد وجه القرآن الكريم خطابه في زمن البعثة النبوية الشريفة، ولأول مرة، إلى شخص أمي لا يجيد القراءة والكتابة فتيسر لهم وبسهولة استيعاب نداءه الهادي واعجازه بفعل فطرتهم وتفاعلهم معه، فكانوا في غنى عن الاصطلاحات اللغوية والنظريات العلمية لفهم القرآن. إنهم أدركوا إعجاز القرآن بفصاحتهم العربية وذوقهم البلاغي الغريزي ونالوا حظهم من هداه بفاعلية عقولهم النبيلة وذكائهم واستعدادهم الفطري. وكان للغتهم العربية الفصحىٰ التي لم تمتزج حتى آنذاك باللغات الأجنبية الدور الأكبر في إدراك اعجاز القرآن.

كانوا كلما ضاقت بهم السبل للاستنارة بهدي القرآن وتبلورت لديهم الحاجة إلى الاستمداد تمعنوا في كتاب الوجود والآيات الكونية وفي الآفاق والأنفس والعجائب والبدائع التي خلقها الله تعالىٰ في ما يحيط بهم وفي باطنهم، قبل أن يصغوا إلى ما يأتيهم عن رسول الله ﷺ لقد رفع الاسلام

بقيمه ومبادئه المستوى العقلي للأعراب لاسيا أنه دعاهم إلى اتخاذ التفكير والتمحيص في عالم الوجود وظواهره وسيلة للإيمان به: ﴿إن في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس... لآيات لقوم يعقلون﴾[1]. ولكن مع اعتلاء راية الاسلام واتساع رقعة البلاد الإسلامية رويداً رويداً إثر الفتوحات المتتالية وضمها تحت مظلتها أمماً أخرىٰ لا تجيد اللغة العربية بل تنعم هي الأخرىٰ بثقافات علمية وفلسفية وفنية خاصة بها، اختلط المسلمون بشعوب تلك البلاد دون أن يتسبب التباين الثقافي في إيجاد التصدع والانشقاق بينهم.

ولكن كان لهذا الاختلاف والتباين بين المسلمين الاوائل والشعوب المنضمة لاحقاً إلى صفوف الأمة الإسلامية مردوداته على صعيدين:

١ ـ فساد اللغة العربية وتسرب الأخطاء اللغوية إليها مما تطلب وضع قواعد تحفظ هذه اللغة من الخطأ في النطق وتساعد بالتالي علىٰ فهم كتاب الله والسيرة النبوية و... فهماً صحيحاً.

٢ ـ رفد البلاد الإسلامية بالعلوم المختلفة وانتشارها بين المسلمين. وقد كان القرآن الكريم من جهته منسجماً مع تلك العلوم التي كانت تسهل بدورها فهم القرآن، لأن الإسلام لا يناوئ العلم بل هو صديق العلم وحليفه[2].

هكذا توغلت الفلسفة اليونانية والعلوم الأخرىٰ في أفكار المسلمين وبدأت مرحلة التبادل الثقافي بين المسلمين واتباع الأديان وأصحاب

---

١ ـ سورة البقرة، الآية (١٦٤).

٢ ـ انظر مناهل العرفان، المجلد ١، ص (٥٦٥ ـ ٥٦٦).

الحضارات الأخرىٰ في الامبراطوريات: الإيرانـية والرومـانية واليـونانية حتى وصلت نشاطات الترجمة من اللغات الأخرىٰ ذروتها في عهد هارون الرشيد والمأمون، حيث ترجمت جميع مؤلفات افلاطون وارسطو وغيرها من كتب ذلك العهد إلى اللغة العربية. فبعد اختيار بغداد عـاصمة للـبلاد الاسلامية من قبل المنصور نشطت النهضات العلمية في أقصى البقاع تأسياً ببغداد ومنها بخارىٰ تلك المدينة التي نشأ فيها ابن سينا. وقد ثبت تاريخياً أن العالم الاسلامي شهد في العصر العباسي الفترة الأكثر ازدهاراً بالعلوم والفنون. وقد تأتت مثل هذه النهضة الفكرية جراء النشـاط الدؤوب في حركة الترجمة من اللغات الأجنبية[1].

هكذا بادر المسلمون إلى ترجمة أغلبية تـؤلفات الفـلاسفة اليـونانيين خلال فترة يسيرة بعد تأسيس بغداد ولم يقفوا عند علوم اليونان بل طالت نهضتهم العلوم الفارسية والهندية أيضاً.

لم يكتف المسلمون في هذا المضمار بالترجمة فقط بـل سـلكوا مـناكب الاختراع والابداع، فبترجمة المؤلفات إلى لغتهم الأم وتحليل مضامينها آلىٰ بهم الأمر لتذييلها بشروح وتعليقات قيمة، فسددوا بذلك خدمة عـظمىٰ للثقافة العالمية باحيائها وإنقاذها من الفناء[2].

وبمطالعة المؤلفات العلمية والثقافية استوحىٰ المسلمون منها تـعارض نظرياتها مع الدين، فبذلوا جهودهم لدحضهـا، وعلى رأسهـم الغـزالي في كتابه المعروف «تهافت الفلاسفة» والفخر الرازي الذي تناول في تفسيره

ـ تاريخ الحضارة الاسلامية، المجلد ٢، ص ١٥٣.

١ ـ انظر موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية، المجلد ٣، ص ٢٥١.

٢ ـ المصدر السابق، ص ١٥٢.

«مفاتيح الغيب» نظريات الفلاسفة المتعارضة مع الدين والقرآن الكريم. إلّا أنه فسر الآيات الكونية ذات الصلة بعالم الوجود بحسب نظريات علماء اليونان في علم الفلك فراح، مثلاً، عند تفسير الآية: ﴿فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم﴾[1] إلى أن السماوات السبع المذكورة في القرآن هي أفلاك السيارات السبع (القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، المشتري وزحل) التي قررتها هيئة بطليموس اليونانية. ثم بعد اكتشاف الفلك الثامن، من النجوم الثابتة، والتاسع المحيط بها جميعاً، وهو مصدر حركتها عندهم، عاد الفخر الرازي إلى القول بأن النص القرآني الدال على وجود سبع سماوات لا يقتضي بالضرورة عدم وجود أفلاك غيرها[2].

كما ظهر بين الفلاسفة المسلمين من حاول التوفيق بين الفلسفة والقرآن، وعلىٰ رأسهم الشيخ الرئيس ابن سينا، فنجده يفسر كلمة العرش بأنه الفلك التاسع الذي هو فلك الأفلاك[3].

وللتغلب على هذه الحالة سلك العلماء المسلمون الطريقين التالين:

أ ـ دحض ما جاء في هذه العلوم في سياق توعية الناس وإرشادهم، فالكثير من الأسس الفكرية اليونانية الفلسفية والعلمية كانت معرضة للطعن والاشكال من جهة وتناهض الدين الاسلامي من جهة أخرىٰ، مما أدىٰ كما ذكر إلى تأليف كتب مثل تهافت الفلاسفة ومفاتيح الغيب.

ب ـ تبين تواؤم آيات القرآن مع العلوم التجريبية اليونانية لاثبات حقانية القرآن وصحة ما يتضمنه من موضوعات علمية مثلما فسر الفخر الرازي

---

١ ـ سورة البقرة، الآية (٢٩).
٢ ـ انظر مفاتيح الغيب، المجلد ١، ص ٢٦٠.
٣ ـ التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ٩٦، نقلاً عن رسائل ابن سينا.

عبارة «سبع سماوات» بأنها السيارات السبع التي أقرها علم النجوم اليوناني لاحقاً. إن هذا النمط من التفسير الذي سماه العلامة الطباطبائي «التطبيق»[1] ترسخ بين المسلمين على مدى القرون حيث كان علماء كل من السنة والشيعة يتّبعونه في تفسير الآيات.

فالعلامة المجلسي مثلاً يذهب في سياق تفسير هذه الآية الشريفة بأن السماوات السبع هي بدل أو تفسير لكلمة «السماء» وأن الفلكين الثامن والتاسع هما بحسب الاصطلاح الديني «الكرسي» و«العرش»[2].

والعامل الثاني يتمثل في أن القرآن الكريم وجه العقل البشري إلى التفكير في ملكوت السماوات والأرض ليكشف حقائق الوجود ويرفع الحجب عن أسراره وعجائبه ويفسر آيات في الأنفس والآفاق تحقيقاً لقول الحق سبحانه: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**﴾[3].

ونجد القرآن يوجه المسلمين بتعبيره البليغ إلى التفكير والتمحيص في كل ما يحيط به، أحياناً بنظرات حسية بسيطة تتيسر لجميع الناس على اختلاف كفاءاتهم ومستوياتهم العلمية، كما في الآية: ﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت**﴾[4]. وأحياناً أخرى بنظرات تأملية متعمقة، مثل الآية: ﴿**وفي**

١ ـ تفسير الميزان، المجلد ١، ص ٤.
٢ ـ انظر بحار الأنوار، المجلد ٥٧، ص ٥.
٣ ـ سورة فصلت، الآية (٥٢).
٤ ـ سورة الغاشية، الآيات (١٧ ـ ٢٠).

الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم، أفلا تبصرون﴾[1].

وإذا كان القرآن هكذا يدعو إلى النظر والتأمل، فمن الطبيعي أن يسعىٰ بعض العلماء إلى الكشف عن أسرار الموجودات ومن ثم تسخير نتائج تحرياتهم في خدمة الدين والقرآن.

يقول أحد الباحثين في هذا المجال:

«كلما تعمق المسلمون في العلوم والفلسفة نظروا إلى القرآن من خلالها. فإذا أتت آية في الرعد والبرق شرحوها بكل ما وصل إليه علمهم في الظواهر الجوية وإذا أتت آية في النجوم والسماء طبقوا ما علموا من علم الهيئة وهكذا»[2].

والعامل الآخر الفاعل في هذا المجال هو الايمان بأن القرآن يجمع كل متطلبات سعادة بني الإنسان. ولهذا تنسجم مضامينه وتتواءم مع أحوال جميع بني الإنسان في أي عصر وزمان.

والآن نستطلع ما جاء في كتاب النبأ العظيم (ص ١١) في هذا الصدد:

«... وهكذا تجد كتاباً مفتوحاً مع الزمان يأخذ كل منه ما يُسّر له، بل ترى محيطاً مترامي الأطراف لا تحدّه عقول الأفراد ولا الأجيال.

ألم تر كيف وَسِع الفرق الإسلامية على اختلاف منازعها في الأصول والفروع؟ وكيف وسع الآراء العلمية على اختلاف وسائلها في القديم والحديث؟ وهو على لينه للعقول والأفهام صلب متين، لا يتناقض ولا يتبدل. يحتج به كل فريق لرأيه، ويدّعيه لنفسه، وهو في سموه فوق الجميع

---

١ ـ سورة الذاريات، الايتان (٢٠ و٢١).

٢ ـ ضحى الاسلام، المجلد ١، ص ٣٦٩.

يطلّ على معاركهم حوله، وكأن لسان حاله يقول لهؤلاء وهـؤلاء: ﴿كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدىٰ سبيلا﴾[1].

وإضافة إلى هذه العوامل هنالك عوامل أخرىٰ فاعلة في نشأة التفسير العلمي وحظوته بدرجة أكبر من التأييد مثل الاهتمام بإزالة الارتياب حول وجود عداء ما بين الدين والعلم.

---

١ ـ سورة الاسراء، الآية (٨٤).

التفسير العلمي من وجهة نظر المؤيدين والمعارضين

لما كانت رسالة القرآن عامة موجهة لجميع الناس في مختلف الأزمة والأمكنة، كان لابد أن يتمتع بأسلوب بياني شيق يجذب القلوب إلى تقبلها واعتناقها ويدعو العقول إلى تحري حقانيتها، ويعرض أصول الإسلام خالصة بعيدة عما ألصق بها من الشوائب والخرافات. ومن جهة أخرى اشتمل القرآن الكريم على عقائد أقيمت على براهين تتعلق بآيات الله ذات الصلة بعالم الوجود وبالآفاق والأنفس. ورد في القرآن الكريم حول أسرار الكون (٨٠٠) آية اختلف العلماء في نمط تفسيرها. ومرد هذا الاختلاف يعود إلى المراحل التي مرت بها حركة التفسير منذ ترجمة الكتب العلمية والفلسفية من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية.

وعلى هذا برز الاستفسار التالي: هل يمكن للنص القرآني أن يشتمل على المعارف كلها ومنها العلوم التجريبية مثلاً. أم أن القرآن كتاب هداية وتوجيه، وما يتضمنه من إشارات علمية إنما جاءت من باب التدبر والاتعاظ؟

وإزاء هذا التساؤل انشطر العلماء إلى من يؤيد الرأي الأول ويفسر

العبارات القرآنية بالاستناد إلى العلوم الحديثة باعتبار أن القرآن يشمل كل شيء. وتمادى بعضهم في هذا السياق حتى بلغ بهم الأمر أن يعدوا القرآن اعجازاً علمياً يضم كل الاختراعات والاكتشافات المستحدثة، بينما رفض الفريق الثاني هذا الاتجاه وميّز بين الحقائق الدينية التي اشتمل عليها القرآن وبين الثوابت العلمية المختلفة من نتاج العقول البشرية القاصرة[1].

وفي هذا المجال من البحث نستعرض أهم هذه الآراء بدءاً بأدلة المؤيدين وانتهاء بأدلة المعارضين:

١ ـ أدلة المؤيدين:

يستند مؤيدو الاتجاه العلمي في التفسير في رأيهم بشأن هذه الاتجاه التفسيري إلى ما يلي:

أولاً: إشارة الآية: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[2] على احتواء القرآن الكريم على كل شيء، وأن لفظة الكتاب في هذه الآية يقصد بها القرآن الكريم، لكونها اسم مفرد معرف بالألف واللام الدالين دوماً على المعهود السابق. وكان المعهود السابق من الكتاب لدى المسلمين آنذاك هو القرآن[3].

أما المعارضين لهذا الرأي فإنهم يحددون المقصود من كلمة «الكتاب» بأنه «اللوح المحفوظ» كما في قوله تعالى في هذا السياق: ﴿وما من دابة في

١ ـ انظر «القرآن العظيم وهدايته وإعجازه في أقوال المفسرين»، ص ١٥٣ و«الإسلام في عصر العلم»، ص ٢٦٧ و«اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث»، ص ٢٧١.
٢ ـ سورة الانعام، الآية (٣٨).
٣ ـ مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ٤١.

الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾[1].

ثانيا: بعض ما ورد في مؤلفات القدماء من الدلالات على احتواء القرآن على جميع العلوم مثل عبدالله ابن مسعود، في قوله: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، وكذلك قول أبي الدرداء: «لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً»[2]، وما ينقله ابن جرير عن ابن مسعود: «انزل في هذا القرآن كل علم وبيّن لنا فيه كل شيء ولكن علمنا يقصر عما بيّن لنا في القرآن»[3]

ثالثاً: البراهين العقلية، ومنها:

أ ـ القرآن الكريم، وهو حجة الله البالغة على عباده جميعاً، فلم يكن خطابه موجهاً إلى الأعراب فقط فيدرك فصحاؤهم، ومن شاكلهم، اعجازه البلاغي، بل إلى الإنسانية جمعاء على اختلاف لغاتهم، وأعاجمهم أكثر عدداً من أعرابهم، وعلى هذا يتحتم أن يتعمم إعجازه للناس جميعاً بمن فيهم القاصرين عن استيعاب أسرار اللغة العربية لتلزمه الحجة إن هو تنكر للإسلام[4].

ب ـ إن الإعجاز العلمي أظهر الأدلة على أن القرآن تنزيل من رب العالمين وخاصة بعد أن فسدت السليقة العربية وفقدت المعايير البلاغية قيمتها التي كانت عند العرب وقت نزول القرآن[5].

---

١ ـ سورة هود، الآية (٦).
٢ ـ البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٥٤.
٣ ـ تفسير روح المعاني، ج ٢، ص ٤٧١.
٤ ـ انظر: «الإسلام في عصر العلم، ص ٢٢٢ و«البيان القرآني»، ص (٢٨٢ ـ ٢٨٣).
٥ ـ نظرية الاعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، ص ١١٤.

ج ـ ان التفسير العلمي هو الذي يقينا من التحليلات الواهية لبعض الظواهر كما فيما ذكرته بعض كتب التفاسير بالمأثور وغيره. بأن الرعد اسم لملك يسوق السحاب، والصوت المسموع منه صوت زجره السحاب أو صوت تسبيحه، وأن البرق أثر المخراق[1] الذي يزجر به السحاب.

لا يحسن بأي مفسر في عصر النهضة العلمية أن يعتزل التفسير العلمي ويكتفي من القضايا بما تيسر منها للمفسرين في صدر الإسلام. فمثل هذا الأسلوب يفسح المجال أمام أعداء الإسلام للتصيد في الماء العكر والقول بأن القرآن يناهض العلم أو يمثل حائلاً يعيق تطوره[2].

أدلة المعارضين:

لا يستصوب هذا الفريق محاولة تفسير الآيات القرآنية تفسيراً علمياً أو اعتبار هذا النمط من التفاسير وجه من أوجه إعجاز القرآن مستدلين على رأيهم ببراهين، هي:

أ ـ يتعين أن نكتفي من العبارات القرآنية بما فهمه منها العرب الخلص ولا نتعد حدود ما كانوا يستوعبونه من علوم ومعارف لأن البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال.

ب ـ إن كتاب الله كتاب هداية وتوجيه أنزله الله على نبيه ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور لا ليتحدث عن أسرار البرق والرعد والمطر

---

١ ـ المخراق: المنديل يلف ليضرب به.

٢ ـ انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ١٠٨، و«التفسير العلمي للآيات الكونية»، ص ٤٣٧، و«الاعجاز العلمي في القرآن الكريم»، ص ٢٠، و«علم التفسير»، ص ١٣٠، و«هاؤوم اقرؤوا كتابيه»، ص ٤٩.

والرياح. إن مهمة القرآن دينية عقائدية وليست علمية[١].

ج ـ لا تتسم النظريات العلمية حول الخلق بطابع ثابت وراسخ فنجد بعض هذه النظريات يتم اثباتها حتى تغدو من البديهيات المسلم بها في برهة من الزمن ولكنها تفند بعد حين بالتوصل إلى نظريات أخرىٰ تتباين مع النظرية الأولىٰ بشكل عام فتقلبها رأساً علىٰ عقب ونكون بذلك قد جعلنا القرآن عرضة للتفاسير المتناقضة المشوشة فصرنا نعتبر آية ما دليل على إثبات صحة الرأي يوماً ودليل على بطلان الرأي يوماً آخر[٢].

د ـ إذ لم يوجد هذا التناقض بين الآيات الكونية الموجودة في القرآن وبين ما يكتشفه العلم في حاضرة ومستقبله، بل وجد التوافق والانسجام، فليس ذلك دليلاً على الاعجاز المرتبط بالتحدي بل هو دليل على أنه منزل من عند الله تعالىٰ، وليس كل ما نزل من عند الله معجزاً، فالتوراة والانجيل وغيرها من الكتب السماوية التي نزلت من عند الله لم توصف بالاعجاز، كما وصف القرآن[٣].

هـ ـ التفسير العلمي يحمل أصحابه على تأويل القرآن تأويلاً متكلفاً يتنافىٰ مع الاعجاز ولا يستسيغه الذوق السليم ولاثبات اعجاز جديد للقرآن يفرض العلم فرضاً على آيات القرآن وتبتدع أمور من صميم القرآن لتنسب إلى العلم[٤].

---

١ ـ نظرية الاعجاز القرآني، ص ١١٥.
٢ ـ الفلسفة القرآنية، ص ١٨١.
٣ ـ نظرية الإعجاز القرآني، ص ١١٥.
٤ ـ انظر: تفسير القرآن الكريم للشيخ محمود شلتوت، ص ٣١؛ ونظرية الإعجاز القرآني، ص ١١٦.

و- إن جعل القرآن الكريم معجزاً لأن آياته تشير إلى أصل العلوم له خطر على إعجاز القرآن لأن العرب الذين تحداهم القرآن أميون وقد تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا. وقد سجل القرآن عجزهم.

وإذا قلنا: إن بعض الآيات القرآنية تحدي أصول العلوم الحديثة فمعنى هذا أن القرآن الكريم تحدىٰ أناساً عاجزين ليس لهم حظ من العلوم بالمعنى الدقيق، ومن ثم يكون التحدي باطلاً من أساسه وهذا مخالف للقرآن نفسه ولا يقول به أحد[1].

ز- إن الآيات الكونية لا تشمل سور القرآن كلها ولا آياته جميعها، ومعلوم أن التحدي وقع بأيّ سورة من سور القرآن فكل سورة من سوره فيها اعجاز لا يبلغه أحد ولن يصل إليه، فلو كان القرآن معجزاً بسبب الإشارات العلمية المتفرقة في ثنايا بعض آياته، فكانت السور والآيات التي تخلو من مثل هذه الإشارات بعيدة عن الاعجاز، ولم يقل بذلك أحد حتى القائلين بالإعجاز العلمي[2].

---

١ ـ التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص ١١٢.

٢ ـ نظرية الاعجاز القرآني، ص ١١٦.

«الرأي الوسط»

بعد النظر في وجهة نظر الفريقين نجد أن الذين ينادون بإبعاد القرآن عن التفسير العملي مصيبون كل الإصابة إذا كان هذا التفسير قائماً على الظن والوهم أو التعسف في التأويل. أما إذا كان مستنداً إلى الصريح من القول معتمداً على اليقين الثابت من العلم، فليس هنالك ما يمنع من الاستفادة بنور العلم في إيضاح حقائق القرآن.

فإذا كان القرآن كتاب هداية وإرشاد فإن تفسير آياته الكونية بحقائق العلم لا تحول دون هذه الهداية بل تؤكدها وتدعو إليها الجاحدين.

أما قول المعارضين بأن القرآن نزل على أمة أمية لم تألف تبني الرأي العلمي بالمعنى الدقيق فيمكن أن يرد عليه بأن القرآن لم ينزل لجيل واحد بل نزل لجميع الأجيال ليأخذ كل جيل من هديه ما يتوصل إليه بتفكيره وبحثه العلمي فيما يتعلق بالأمور الكونية.

إن تفسير القرآن بالاستناد إلى العلوم الدالة على السنن الكونية ما هو إلّا فهم الآية في ظل المعطيات العلمية وليس معنى هذا أن الآية لا تفهم إلّا بهذا النحو. فإن ظهر خطأ النظرية ظهر خطأ فهم الآية على ذلك الوجه لا

خطأ الآية نفسها[1].

يقول معارضو الإعجاز العلمي بأننا مادمنا لا نجد الآيات الكونية في جميع سور القرآن فإن ذلك يفقد بعض الآيات مصداقيتها الاعجازية بحسب ما يتبناه التفسير العلمي..

وللرد على هذا الاستشكال نقول أن إعجاز القرآن مشهود في جميع سوره ولكن هذا لا يعني أن كل منها يتضمن بالضرورة جميع أوجه الإعجاز. فحتى الاعجاز البياني، وهو النمط الوحيد الذي نال تأييدهم، فإنه يختلف في وتيرته من سورة لأخرىٰ فالسور المكية مثلاً تختلف عن المدنية من وجهة النظر البلاغية الأدبية حيث ترق الأولىٰ على الأخيرة من ناحية الموازين الأدبية، والنثر، والسجع، واللحن و...

ويقول بعضهم الآخر بأن الحجة تمت بلاغياً علىٰ جميع شعوب العالم من خلال الأعراب الذين بذلوا كل ما كان بوسعهم من بلاغة وذكاء في تحديهم للقرآن دون جدوى مثلما تمت الحجة في الأمم السابقة بالاستناد إلى ما برعوا فيها كما في اعتماد السحر في معجزات النبي موسىٰ عليه السلام والطبابة في معجزة النبي عيسى عليه السلام.

إذاً، دعم الله تعالىٰ رسالة كل من أنبياءه بمعجزات في ذات السياق الذي تفوق فيه قومهم.

وللرد على هذا الرأي نشير إلى كون معجزات بقية الأنبياء مرحلية خاصة بزمان معين ومحدد تبعاً للطابع المرحلي في رسالاتهم مما أنهىٰ فاعليتها جميعاً وأقصاها عن عالم الوجود بعد فترة قصيرة، فغدت سلسلة من الأحداث والوقائع التاريخية التي تنتقل من الأسلاف إلى الأجيال

١ـ انظر التفسير العلمي للقرآن في الميزان.

التالية، لا غير. ولكن الدين الاسلامي امتاز عن سائر الأديان بأنه، أولاً، يخاطب شعوب العالم عامة، كما أنه، ثانياً، جاء يحمل رسالة خالدة قائمة إلى يوم القيامة وهو أتم الأديان وآخرها مما يتطلب اتيانه بمعجزة تصمد إزاء محاججة معارضيه أبد الدهر لا في زمن البعثة فقط أي عهد تمتع الأعراب بذروة الفصاحة والبلاغة بل بضرب من النبوغ فيها.

دار حول موضوع الاعجاز العلمي نقاش وجدل كلامي كثير بين المؤيدين لهذه النظرية ومعارضيها يخرج دراسته بشكل واف عن إطار بحثنا الحاضر[1].

نلخص مما ذكر إلى:

١ـ خروج الذين ينسبون جميع النظريات العلمية، سواء الصحيح منها أو الخاطئ، إلى القرآن عن جادة الصواب، وكذلك من ينبذ الاستناد إلى الثوابت العلمية عند شرح الحقائق القرآنية. بل يحسن انتهاج أسلوب يبعد عن الإفراط والتفريط معاً، فمادام القرآن هو كتاب الله وعالم الوجود من صنع الله، يتحتم انسجام الآيات القرآنية مع الثوابت العلمية.

٢ـ لا يهدف القرآن في تناوله الحقائق العلمية إلى خوض بحث علمي بل إلى تحقيق هدف أسمىٰ وهو توعية الأذهان إزاء حقيقة الالوهية الحقة لخالق عالم الوجود بما فيه من إبداع واتقان، ولهذا اكتفى بإشارات سريعة إلى حقائق الخلق غايتها تحقيق العبرة والاتعاظ.

١ـ انظر: «العلم والايمان في بناء المجتمعات»، ص ١٢٤، و«مصادر المعرفة في الفكر الديني و الفلسفي»، ص ١٧٠، و«اعجاز القرآن» للرافعي، ص ١١، و«مدخل إلى الدراسات القرآنية»، ص ٢٢٢، و«التحرير والتنوير»، ص ٣٨، و«التفسير والمفسرون» للذهبي، المجلد ٣، ص ١٧٥، و«مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان، ص ٣٧١ و...

الباب الثاني

تحليل ودراسة نظرية الاعجاز الطبي في القرآن

يمثل الاعجاز الطبي فرع من فروع الاعجاز العلمي مثلما يصنف علم الطب ضمن قائمة فروع العلوم التجريبية. ولنا أن نوضح المعنى من الاعجاز الطبي من وجهة نظر معينة بأنه شمول بعض آيات القرآن الكريم على موضوعات وإرشادات طبية لم يتوصل إليها أحد بشكل تجريبي في عهد نزول القرآن وهو عصر سيادة ظلام الجهل والظلم. فمثل هذه النداءات القرآنية وما أردفها به النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من تعليمات إسلامية حثت المسلمين لاكتساب العلوم ولاسيما الطبية منها.

فالقرآن الكريم هو أعظم نداء إلهي تلقته الإنسانية، هدفه الأساس هداية بني الإنسان. فكما تخترق اشعاعاته باطن الانسان فإن سناه يعم وينير عالمه الخارجي ومجتمعه أيضاً. فجاء نزوله في عهد الجاهلية كبارقة وضاءه أيقظت الأعراب وغيرها من الشعوب التي اعتنقت الاسلام فتمخضت نهضتهم خلال فترة وجيزة عن مثل هذه الحضارة العريقة التي لم يشهد التاريخ مثيلاً لها. وكان تطور العلوم الطبية من انجازات وثمار هذه الحضارة العظيمة.

الفصل الأول:

دور الإشارات القرآنية ذات الصلة في تقدم العلوم الطبية لدى المسلمين

يعتبر علم الطب من العلوم التي أبدع فيها المسلمون وسجلوا له، تزامناً مع تنامي حضارتهم، ذروة ازدهاره حتىٰ غدا هذا العلم من أبرز مظاهر الحضارة الإسلامية اللامعة.

فمن مفاخر الحضارة الاسلامية ومنجزاتها الأبدية هو علم الطب الذي ارتقى به بعد ظهور الاسلام أطباء نابغون إلى أعلىٰ مراتبه في ذلك العصر، فكانوا وهم من رواده الحقيقيين كالسراج المنير والنبع الفياض، عم خيرهم حتىٰ ما بعد القرن السابع عشر الميلادي حيث ترجم في القرن الحادي عشر كتابان في حقل الطب من اللغة العربية إلى اللاتينية، وهما «زاد المسافر» لابن الجزار و«المالكي» لعلي ابن عباس، فنفحت ترجمتهما الروح في العالم الغربي رغم أن مترجمها نسبها إلى نفسه إجحافاً. علىٰ أية حال، رفد العالم الإسلامي الإنسانية بأطباء منهم ابن الجزار وعلي ابن

عباس، ومن أشهرهم ابن سينا والرازي الذي يعتبره المسلمون أحد دعائم علم الطب. فللرازي (١٣١) مؤلفاً اختص قرابة نصفها بعلم الطب إضافة إلى ما فقد منها بمرور الزمن، ولكن أهمها ما نجا من التلف والضياع، ومنها كتاب «المنصوري» و«الحاوي» و«رسالة في الجدري والحصبة». واشتهر ابن سينا باعتباره طبيباً وفيلسوفاً ظهر نبوغه في الطب منذ أوان طفولته. ومن مؤلفاته الطبية كتاب «القانون» الذي يعد موسوعة طبية عظيمة الشهرة. ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرن التاسع عشر وحاز مكانة علمية هامة على الصعيد العالمي ثم ترجم بعد ذلك إلى الكثير من اللغات الأخرىٰ فكان المصدر العلمي الموثوق به في حقل الطب فيما يناهز ستة قرون. واستند إليه النظام التعليمي في جامعات فرنسا وايطاليا والمانيا[١].

هنالك آراء متنوعة حول منشأ علم الطب، منها:

١ـ إن سحرة اليمن هم الذين وضعوا الحجر الأساس في علم الطب فكانوا يضعون مرضاهم في الأزقة وعلىٰ قارعة الطريق ليلتقوا بمن يمرون بهم ممن أصيبوا بهذا المرض ونالوا الشفاء منه فيطلعون علىٰ سبب شفائهم. وكانوا بعدئذ يكتبون الحصيلة في ألواح يعلقونها على الأعمدة[٢].

٢ـ لا يمكن تحديد بلاد معينة أو قوم خاص أبتدعوا هذا الفن فقد يكون اندرس عند قوم وغابت ملامحه تماماً حتى عاد الظهور لدى قوم غيرهم نسوه وأغفلوا عنه بعد حين، ثم أبرزه غيرهم فنسبت اختراعات

١ـ انظر: «رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكراً ومادة»، ص(٢٠١ـ٢٠٣) و«الموجز في تاريخ العلوم عند العرب»، ص(٩١ـ١٠٠).
٢ـ عيون الأنباء، ص ١٢.

واكتشافات الأقوام الماضية إليهم[1].

٣ـ أول من دوّن علم الطب هو بقراط الحكيم ثم الفيلسوف والحكيم اليوناني «جالينوس»[2].

٤ـ يمثل الوحي منشأ صناعة الطب. يقول الشيخ المفيد: «الطب صحيح والعلم به ثابت وطريقه الوحي، وإنما أخذه العلماء به عن الأنبياء وذلك أنه لا طريق إلى علم حقيقة الداء إلّا بالسمع ولا سبيل إلى معرفة الداء إلّا بالتوفيق، فثبت أن طريق ذلك هو السمع عن العالم بالخفيات تعالى»[3].

إلّا أنه يجدر الذكر أن الطب بدأ رحلته التاريخية مع ظهور الانسان على وجه الكرة الأرضية حيث اختبر الانسان معاناة المرض منذ ذلك الزمن ولكنه كشف بإيحاء من الله أموراً يسرت له معالجتها كما نشأت الكثير من الأساليب العلاجية عن طريق ارشادات الانبياء الموجهة إلى الناس، وهذا ما أكده، كما لاحظنا، الشيخ المفيد. إضافة إلى ما استبانه بنو الإنسان من قضايا عينية محسوسة محدودة استوحوها من عالم الطبيعة بالاختبار أو الصدفة أو التفكير والتمحيص.

وعن مراحل تطور علم الطب يذكر أن الحارث بن كلدة كان عند بزوغ فجر الاسلام طبيب القوم. وقد اشتد اهتمامه بعلم الصحة وكان ينصح بإجراء الحجامة وبالحقن وبعدم الاستحمام بعد تناول الطعام. وبعد انتشار الاسلام في الاندلس ظهر أطباء وجراحون حاذقون ونال حتى العلماء الغربيين في حقل الطب الشهرة عن طريق مدارس العرب في اسبانيا

١ـ طب الإمام الصادق (ع)، ص ٧.
٢ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة، المجلد ١، ص ٣٠٣.
٣ـ بحار الأنوار، المجلد ٦٢، ص ٧٥.

وسبيسيل وعن طريق ترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية، فصارت الكتب العربية المترجمة أساس علم الطب في الجامعات الأوربية. واحتل العلماء العرب مكانة مرموقة في عالم الطب حتى أواسط القرن السادس عشر[١].

أما عن الطب قبل ظهور الاسلام فإننا نلخص من مراجعة تاريخ الشعوب والامم غير ذات حضارة إلى وجود علاقة وثيقة بين السحر والطب لديهم فيعالج الناس مرضاهم بالسحر ويبادر السحرة والكهان إلى معالجة المرضى بالرقي والتعويذات والدعاء والتضرع إلى الآلهة، أي أن الطب كان آنذاك حكراً على الكهنة بشكل عام[٢].

وقيل أنهم كانوا إضافة إلى التعويذات والطلسم والأذكار التي تبعد الجن والأرواح الشريرة، بحسب رأيهم، يلجأون في عهد الجاهلية إلى بعض النباتات أو العسل كل على انفراد أو ممزوجة مع مواد أخرىٰ لعلاج الأمراض أو تعاطي مستحضرات خاصة والحجامة والفصد والوخز وبتر الأعضاء بطريقة الكي (استعمال الحديد المسخن). ويذهب البعض إلى أنهم عالجوا الجروح الملتهبة والدمامل بالمعقمات وتصدوا للأمراض المعدية بأساليب الوقاية الصحية. فكانوا يضمدون جروحهم بالحبال[٣].

وفي خضم تدارس التاريخ العلمي للعرب قبل الاسلام نجد من أكد أن علم الطب كان يقضي أطواره البدائية عند ظهور الإسلام، وكان العرب أضعف من سائر الشعوب الأخرى في هذا المجال نظراً لافتقادهم حكومة

---

١ ـ انظر: «اثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوربية، ص (١٣٢ ـ ١٣٤) و«دور العرب في تكوين الفكر الاوربي»، ص (٢١ ـ ٢٣)، وكذلك مجلة علم الفكر، المجلد العاشر، مقالة الطب العربي.

٢ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، المجلد ٨، ص ٣٨٠.

٣ ـ تاريخ طب در ايران (تاريخ الطب في ايران)، المجلد ٢، ص ١١٨.

مركزية ينالون السكينة والاستقرار في ظلها فتتوفر لديهم فرصة التنافس. وبذل المساعي التحقيقية فيما لو استثنينا حارث بن كلدة الذي نال شهرته في الطب لتتلمذه على يد جندي شابوريان.

يرىٰ أصحاب هـذا الرأي أن حياة العرب لـم تسـتوعب أي مـؤشر إيجابي يجعلنا ننسب إليهم دوراً في تطور علـم الطب آنـذاك وليـس لهـم آثـار ومؤلفات في التاريخ والعلـم يمكـننا الاسـتدلال بهـا فـي هـذا المضمار[1].

إلّا أن المسلمين مضوا يطلبون العلم حثيثاً بعد ظهور الاسلام في ظل تعليمات الآيات الإلهية خاصة في مجال الطب الذي يحظىٰ باهتمام بـالغ في الدين الاسلامي. فكان رسول الله ﷺ، وكما وصف «طبيب دوار بطبه»[2] فكان طبيباً حاذقاً يتجول بطبه بين النـاس ليـعالج مـرضاهم ويـوجههم بكلامه الوضاء للوقاية من الأمراض قبل الابتلاء بها والاضطرار لعلاجها، فيقول مثلاً: «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء»[3].

عنى الإسلام بتوجيه الناس نحو الوقاية الصـحية تـقادياً للـوقوع في شراك المرض أساساً.

إننا بنظرة خاطفـة إلى كتاب «توحيد مفضل»[4] وتأمل قصير في بعض المناظرات الطبيـة للإمام الصادق عليه السلام مـع أطباء زمانه، يمكننا التـنبـه إلى

---

١ ـ انظر: الآداب الطبية في الإسلام، ص ٢٨.

٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

٣ ـ نهج الفصاحة، ص ٢٥.

٤ ـ يتضمن هذا الكتاب سلسلة محاضرات الإمام الصادق (ع) مع تلميذه مفضل بن عمر حول إثبات التوحيد.

مدى العلوم والمعارف المتكاملة التي أحرزها الإمام عليه السلام في حقل الطب. ولم يكن الأطباء يدركونها حتى قرون تلته وكان مصدرها جميعاً الوحي الإلهي.

فبالتمحيص في مثل هذه الأحاديث التي تتناول موضوعات عديدة بشكل علمي دقيق والأهم من ذلك وجود آيات قرآنية تحث الإنسان نحو توغل مختلف مجالات العلوم الطبية، يمكن الالتفات إلى سر الرغبة العامة للمسلمين على هذا الصعيد وتقدمهم السريع في حقل الطب.

تدارس أحد الباحثين في المؤتمر الدولي حول مسيرة الطب في تاريخ الاسلام وايران المنعقد بطهران عام (١٩٩٢)، خلال بحث دقيق قدمه تحت عنوان «من غار حراء إلى أكسفورد»، بواعث النزعة العلمية لدى المسلمين والوسائل التي خولتهم لإحراز مثل هذا التقدم في العلوم الطبية، وكيف توصلت أوربا لعلوم المسلمين الطبية مؤكداً أن الآيات القرآنية وتعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله هي كواكب منيرة أضاءت درب المسلمين ودفعتهم نحو تقصي العلوم وتحصيلها[١].

فمن الآيات التي انبثقت منها الفروع المختلفة من العلوم الطبية أو على الأقل حفزت المسلمين لاكتساب العلوم، هي: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾[٢].

توجه هذه الآية دعوة إلى المسلمين للتفكير والتمحيص في منشأ خلق الإنسان ومراحل خلقه، أو الآية ﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾[٣]،

١ـ الوثيقة الطبية للحضارة الاسلامية، ص ٨٤.
٢ـ سورة الطارق، الآية (٥).
٣ـ سورة الانسان، الآية (٢).

أو الآية ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾[1] التي تحثه لمعرفة الطعام والأغذية، وآيات كثيرة غيرها جديرة بالدراسة والمطالعة.

فعلى سبيل المثال يعتبر بعض الباحثين القرآن منشأ الطب الشرعي ففي قصة النبي يوسف ﷺ وما حدث له مع زوجة عزيز مصر يبرهن القرآن الكريم على براءته ﷺ بأدلة منها قميص النبي يوسف ﷺ ومواضع تمزقه أو فيما يخص ادعاء إخوته بشأن فتك الذئاب به حيث تذكر الآية: ﴿وجاؤوا على قميصه بدم كذب﴾[2] التي تتدارس احتمال كذب النبأ. وعلىٰ هذا، فإن الطب الشرعي هو علم الحقيقة والبحث عن المجهول، ويشتمل في العصر الحالي على فروع اختصاصية أخرىٰ في فروع الطب المختلفة[3].

إن الطب الشرعي علم يربط بين الطب والقانون والعدل. وقد حث القرآن الكريم الناس للاستناد إلى الأدلة الواضحة والكشف عن الحقائق ونبذ الشبهات: ﴿يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[4].

وعلى أية حال يمكن القول بأن القرآن الكريم قد تناول كلا الموضوعين المرض والأمور ذات الصلة بتحسن الحالات المرضية وتماثلها للشفاء إلى جانب ما يحتويه من آيات خاصة بالكشف عن علاقة عالم الغيب بعالم الطبيعة: ﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ

١ـ سورة عبس، الآية (٢٤).
٢ـ سورة يوسف، الآية (١٨).
٣ـ انظر: «الطب الشرعي»، ص ٨١ و«القرآن والطب الحديث»، ص (٢٨١ـ ٢٨٣).
٤ـ سورة الحجرات، الآية (٦).

أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الاكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتىٰ بإذني واذ كففت بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلّا سحر مبين﴾[١].

١ ـ سورة المائدة، الآية (١١٠).

الفصل الثاني:

«الارتباط التاريخي بين التفسير العلمي والاعجاز الطبي»

يفسح التفسير العلمي المجال أمام المفسر ليفسر آيات القرآن وفق ثوابت العلوم التجريبية. وهذا النمط من التفسير يمهد بدوره لاثبات الاعجاز العلمي للقرآن كوجه من أوجه اعجازه. ولإثبات الاعجاز الطبي للقرآن باعتبار الطب فرع من فروع العلوم التجريبية، يكون لزاماً أن نلجأ إلى هذا النوع من التفسير.

وبالنظر للارتباط الوثيق غير القابل للفصل بين الاعجاز الطبي من جهة والاعجاز العلمي والتفسير العلمي من جهة أخرىٰ فإنه من المتعذر تحديد تاريخ خاص به، فرغم عودة تاريخ التفسير العلمي إلى ما قبل الف عام إلّا أنه شهد ازدهاراً خلال القرنين الاخيرين تزامناً مع تبلور فكرة الاعجاز العلمي والاهتمام بالجانب الطبي في مدلول الآيات التي يتم تفسيرها تفسيراً علمياً. فأين ما تناول المفسرون الآيات بالتفسير العلمي بحثوا خلاله موضوعات ذات صلة بالإعجاز الطبي. ولهذا لا يمكن فصل

تاريخ هذين الموضوعين إلّا بشق الأنفس. فمع التدرج الذي شهده جلاء حقيقة بعض القضايا الطبية للإنسان خلال مراحل تقدم العلوم والفنون (ومنها ما يتعلق بعلم الجنين) إلّا أنه تم تأليف كتب تحت عنوان الاعجاز الطبي تطرقت إلى قضايا تفتقد لأية صلة مباشرة مع القضايا الطبية.

وعلى هذا لا حيلة لنا ونحن نهم بدراسة أشهر المؤيدين والمعارضين لنظرية الاعجاز الطبي إلّا أن نتناول آراء المؤيدين والمعارضين للتفسير العلمي ونعرضها من ثم للنقد والتحليل.

«تحليل آراء أشهر مؤيدي التفسير العلمي من القدماء»

من أشهر مؤيدي التفسير العلمي بين العلماء القدماء: ابن سينا، والغزالي، وفخر الدين الرازي، وابن أبي الفضل المرسي، والزركشي والسيوطي.

إن جميع هؤلاء العلماء مع اجتماع آرائهم حول احتواء القرآن على جميع علوم الأولين والآخرين إلّا أنهم يختلفون مع بعض فيما يتعلق بأسلوبهم في التوفيق بين العلوم والقرآن.

ينسب فريق من الباحثين أول وثيقة مدونة دالة على نشأة التفسير العلمي إلى مؤلفات ابن سينا، فيرون أنه مع تمرسه في الفلسفة والطب إلّا أنه نال حظه من العلوم الطبيعية مثل الفلك والهيئة و... أيضاً، ففسر في بعض الحالات الآيات القرآنية بالاستناد إلى العلوم الطبيعية لإيمانه بأن القرآن يتضمن إشارات يرقى استيعابها على مستوى فهم الإنسان ولا يتمكن منه إلّا شرائح خاصة من الناس.

فسر ابن سينا كلمة «العرش» في الآية: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾[1] بأنها تعني فلك الأفلاك أي الفلك التاسع بحسب الهيئة

١ـ سورة الحاقة، الآية (١٧).

اليونانية، والملائكة الثماني حملة العرش بأنها الأفلاك الثمانية: (القمر، الشمس، الزهرة، عطارد، الزحل، المشتري، ومريخ وفلك الثوابت)[1].

أما الغزالي فإنه يقسم العلوم القرآنية إلى علم قريب المأخذ وعلم بعيد المأخذ، أي أن جميع العلوم، ما ذكرها ومالم يذكرها، لا تخرج عن نطاق القرآن. وبهذا يغدو رأيه بعيد كل البعد عن الواقع ولا يمكن له الخروج من دائرة النظريات.

وطبّق فخر الدين الرازي ذلك عملياً في تفسيره، على علوم زمانه، ورغم كونه استند غالباً إلى تطبيق القرآن مع علوم الفلك الهيئة، حاول إضافة إلى ذلك أن يبين تفوق الحكمة القرآنية على بقية المناهج الفلسفية.

ويبين أبو الفضل المرسي طريقة العلماء في استنباط جميع العلوم من القرآن الكريم، ويضيف إليها علوماً أخرىٰ باعتبارها علوم الأولين مثل الطب والجدل.

ويكتفي الزركشي بنقل أقوال من سبقه من العلماء في هذا المجال إلى جانب عرض عدد قليل من الأمثلة.

ولم يختلف أسلوب السيوطي كثيراً عن أسلوب الزركشي حيث مال إلى نقل أقوال من تقدمه مع ذكر بعض الأمثلة القليلة[2].

الغزالي والتفسير العلمي:

يذهب الكتاب في هذا المجال إلى أن الامام أبا حامد الغزالي (المتوفي

---

١ ـ مدخل إلى التفسير العلمي، ص (٢٩٣ ـ ٢٩٤).
٢ ـ انظر: «التفسير العلمي للقرآن في الميزان»، ص (١٤٥ ـ ١٤٦).

عام ٥٠٥ هق) بذل في زمانه جهداً وفيراً في سبيل تأييد هذا الاتجاه المتبلور قبل زمانه أي منذ ترجمة المؤلفات في العلوم المختلفة إلى اللغة العربية. ولنا أن نقول بثقة أن بذور هذه الظاهرة انبثت في عصر صحابة رسول الله ﷺ. واستند الغزالي إلى عبدالله بن مسعود في قوله: «من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن».

كان الغزالي يرىٰ أن لكل لفظة في القرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً، وأن جميع العلوم تدخل في أفعال الله وصفاته وقد جاء وصف ذات الله وصفاته وأفعاله في القرآن. ولهذا فإن هذه العلوم لا نهاية لها.

فمن أفعال الله وهو بحر الأفعال شفاء المرضى، كما في قوله تعالى على لسان نبيه ابراهيم ﷺ: ﴿واذا مرضت فهو يشفين﴾[1]. وهذا الفعل الواحد لا يستوعب مضمونه إلّا من نال كمال العلم في الطب، فلا معنى لعلم الطب في رأيه دون الإلمام التام بالحالات المرضية وأعراضها وطريقة معالجتها وأسبابها[2].

فخر الدين الرازي والتفسير العلمي:

أعقب الغزالي فخر الدين الرازي (المتوفى عام ٦٠٦ هق) فلجأ في تفسيره «مفاتيح الغيب» إلى تطبيق كل ما استجد في المجتمع الاسلامي، في زمانه، من تيار أو ثقافة فكرية على الآيات القرآنية مستدلاً بذلك على وحدانية الله عز وجل وقدرته وارادته وعلمه الواسع. فبعد أن قام الغزالي

---

١ ـ سورة الشعراء، الآية (٨٠).

٢ ـ انظر: جواهر القرآن، الفصل الخامس، ص ٢٥.

وأسلافه بوضع الحجر الأساس لنظرية التفسير العلمي أردفه الرازي بتطبيقها عملياً ومثلاً في تفسيره للآية: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾[1] يعارض كلاماً يروى عن أبي صالح عن ابن عباس، قال فيه: «إذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثاً وأعلاه دماً وأوسطه لبناً، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك هو قوله: (من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) لا يشوبه الدم ولا الفرث».

يقف الرازي موقفاً معارضاً بشدة إزاء هذه الرواية لأنه كان قد أبصر بما توصل إليه العلم في زمانه حول الحليب وطريقة تكونه من الغذاء والدم داخل الجسم سواء جسم انثىٰ الانسان أو الحيوان. فلا يتردد في رد هذه الرواية لأنه يرىٰ أن الدليل الحسي لا يثبت ذلك فإن هذه الحيوانات تذبح ولا يعثر في كرشها على شيء من الدم أو اللبن. فيقول:

«بل الحق أن الحيوان إذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف إلى معدته إن كان إنساناً وإلى كرشه إن كان من الأنعام وغيرها، فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه فما كان منه صافياً انجذب إلى الكبد، وما كان كثيفاً نزل إلى الأمعاء، ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها ويصير دماً، وذلك هو الهضم الثاني، ويكون ذلك الدم مخلوطاً بالصفراء والسوداء وزيادة المائية. أما الصفراء فتذهب إلى المرارة والسوداء إلى الطحال، والماء إلى الكلية ومنها إلى المثانة. وأما ذلك الدم فإنه يدخل إلى الأوردة وهي

---

١ ـ سورة النحل، الآية (٦٦).

العروق الثابتة على الكبد. وهنا يحصل الهضم الثالث. وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة، فينصب الدم في تلك العروق إلى الضرع. والضرع لحم غددي رخو أبيض (ويقصد الغدد اللبنية) فيقلب الله تعالى الدم عند انصبابه إلى ذلك اللحم الغددي الرخو الأبيض من صورة الدم إلى صورة اللبن...

«فهذا هو القول الصحيح في كيفية تولد اللبن»[1]

وعند تفسيره الآية: ﴿وأوحىٰ ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾[2].

يتحدث بإسهاب عن بيوت النحل ودقتها والعجائب الكامنة في خلق النحل، وكيف أن هذه البيوت تقام بطريقة هندسية عجيبة ومحيرة للعقول، ونمط اهتداء النحل إلى مكونات العسل المتوفرة في رحيق الازهار والنباتات وعن قضايا أخرىٰ[3].

أبو الفضل المرسي والتفسير العلمي:

يذهب المرسي (المتوفي عام ٦٥٥ هق) بدوره في تفسيره إلى أن القرآن يجمع علوم الأولين والآخرين كافة بين دفتيه وأن علمه الحقيقي لا يستوعبه إلّا الله عز وجل، وهو الناطق به، ورسول الله ﷺ، وهو المبعوث به إلى بني الانسان ثم انتقل علمه إلى الصحابة والأعلام من أمثال ابن

١ـ مفاتيح الغيب، المجلد ٥، ص (٣٣٦ـ٣٣٧) بتصرف.
٢ـ سورة النحل، الآيتان (٦٨ و٦٩).
٣ـ مفاتيح الغيب، المجلد ٥، ص ٣٣٩.

مسعود وابن عباس الذي أفرط في ادعاء تضمن القرآن لكل شيء حتى راح يقول: «لوضاع لي عقال بعير (لجام الجمل) لوجدته في كتاب الله تعالى». ثم ورثهم التابعون.

يردف المرسي بأن العزائم ترهلت بعد ذلك وقصرت الهمم ووهن أهل العلم و تهاونوا في الحفاظ على ما ورثوه من الصحابة والتابعين من علوم القرآن وسائر فنونه، فتشتت علومه واختصت كل طائفة بفن من فنونه.

ويبين المرسي الفنون التي أخذتها الشعوب الاسلامية من القرآن، قائلاً: وقد احتوى عل علوم أخر من علوم الاوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك.

أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة. وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿كان بين ذلك قواماً﴾[1].

ثم يتناول المرسي كل من هذه العلوم على انفراد مستشهداً لكل منها بعدد من الآيات. فمثلاً يقول في الهندسة:

وأما الهندسة ففي قوله: ﴿وانطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾[2]، فإن فيه قاعدة هندسية وهي أن الشكل المثلث لا ظل له...

يذكر أن هذه الآية تتحدث في مظاهر الأمر عن الظل فجاء سياقها على هذا النحو لأنها خاصة بعقاب المنكرين، وهو ظل ليس كظل المؤمنين

١ـ سورة الفرقان، الآية (٦٧).

٢ـ سورة المرسلات، الآية (٣٠).

الذي يجزيهم به الله: ﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾[1] ولكنه ظل يؤمر المكذبون، بحقيقة جهنم في الدنيا، بالانطلاق إليه في الآخرة وهو ظل لا ظليل[2].

الزركشي والتفسير العلمي:

هو بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (المتوفى عام ٧٩٤ هق)، من العلماء القائلين بأن القرآن يجمع جميع العلوم. ينقل الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» أقوال بعض الصحابة في هذا الصدد وقد خص فصل منه بحاجة المفسر إلى فهم العلوم والتبحر فيها.

يرى الزركشي بأن القرآن يجمع علوم الأولين والآخرين وليس هنالك من شيء يتعذر استخراج علمه من القرآن فاستنبط البعض مثلاً عمر النبي ﷺ البالغ (٦٣) عاماً من الآية: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾[3] لأن هذه الآية تقع في رأس ثلاث وستين سورة من القرآن وتعقبها سورة التغابن ليبين التغابن في فقدان رسول الله ﷺ[4].

يزخر تفسير الزركشي بنماذج من أمثال هذه الاستنباطات، ولكننا نعلق على هذه الاستنباطات بأن القرآن أسمىٰ من هذه الحسابات الفلكية، إنه دليل الهداية وكتاب تعاليم ينال المسلمون السعادة بتطبيقها ويتخبطون متاهات الشقاء عند الخروج عليها ولم يبحث القرآن قط في جزئيات المسائل على هذا النحو.

---

١ ـ سورة النساء، الآية (٥٧).
٢ ـ انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص(١٥٧ ـ ١٦١).
٣ ـ سورة المنافقون، الآية (١١).
٤ ـ انظر البرهان في علوم القرآن، الجلد ٢، ص(١٥٢ ـ ١٥٥).

السيوطي والتفسير العلمي:

جلال الدين السيوطي (المتوفى عام ٩١١ هق) هو الآخر ممن تبنوا نظرية احتواء القرآن على جميع العلوم باعتباره وجه من وجوه إعجازه. يذكر السيوطي في كتابه «معترك الأقران» آيات قرآنية وأحاديث شريفة وأقوال عن العلماء تدل على تضمن القرآن لجميع العلوم، فينقل عن ابن مسعود، مثلاً، قوله «أنزل في القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن»، كما يذكر ما رواه ابن سراقة في كتاب الاعجاز عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال يوماً: «ما من شيء في العالم إلّا وهو في كتاب الله تعالى».

ولما سئل: فأين ذكرت الخانات[1] فيه؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾[2].

ثم يورد عن ابن سراقة قول: من بعض وجوه اعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من اعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب والموافقة والتأليف والمناسبة والتصنيف والمضاعفة ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه ﷺ صادق في قوله، وأن القرآن ليس من عنده إذ لم يكن ممن خالط الفلاسفة ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة[3].

١ـ الخانات: اسم فارسي معرب وهي بيوت على الطريق يؤوىٰ إليها للاستراحة.

٢ـ سورة النور، الآية (٢٩).

٣ـ انظر التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص (١٦٣ ـ ١٦٥).

تحليل آراء أشهر المؤيدين للتفسير العلمي في العصر الحديث

ينقسم المبادرون في العصر الحديث لتفسير النص القرآني تفسيراً علمياً إلى فريقين:

١ـ الاعتداليون.

٢ـ الافراطيون.

نستعرض بادئاً في هذا المجال من البحث آراء إفراطيي المفسرين العلميين لنعرج من ثم على آراء الاعتداليين منهم.

الشيخ محمد عبده والتفسير العلمي:

يعتبر الشيخ محمد عبده (١٨٤٨ـ١٩٠٥ م) من أبرز طلائع النهضة الحديثة في التفسير العلمي للقرآن وهو يعد صاحب مدرسة التطور الحديث في التفسير وغيره من الاتجاهات الفكرية الدينية والاجتماعية. وتفسيره لجزء «عمّ» من القرآن نال إعجاب وتأييد ثلة كبيرة من المتثقفين.

ومن آثار الشيخ محمد عبده تفسيره المطول لسورة العصر وآيات أخرىٰ أمعن أعداء الاسلام في إثارة الشبهات والأباطيل حولها.

يستوحىٰ من تفسير الشيخ محمد عبده للآيات القرآنية إلحاحه المؤكد

على عدم وقوع الأحداث المذكورة في تلك الآيات على النحو البادي منها للقارئ بل أنه يحاول تأويل هذه الآيات ظناً منه بأنه هذه التأويلات تضفي طابعاً ثقافياً على القرآن وأنها تمثل إشارات للرقي والتطور.

يؤكد الشيخ محمد عبده عند تفسير سورة الفيل بان الجيش المهاجم أبيد بسبب انتشار مرض الجدري والحصبة في صفوف مقاتليه مستنداً بذلك على ما ينقله عن عكرمة بأن أول ما رئيت الحصبة والجدري ببلاد العرب في ذلك العام (عام الفيل) حيث يعلل الشيخ عبده إصابة المهاجمين بهذين المرضين قائلاً: إن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطيور مما يرسله الله مع الريح. فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جيش البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه، وأن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعتبر من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن «الميكروب» لا يخرج عنها[1].

ونقداً لهذا التفسير نقول:

إن حديث الجدري والحصبة ما كان ينبغي له أن يعول عليه في تفسير سورة بدأها الله بصيغة التعجب والتعظيم بما أنزله بهؤلاء الطغاة تمهيداً لمبعث نبيه محمد ﷺ.

---

١ ـ راجع تفسير جزء «عم»، ص ١٥٨.

ثم أن الكثير من أهل السير قالوا: إن الحصبة والجدري أول ما رئيتا في العرب بعد الفيل.. منذ خلق الله العالم[١].

ثانياً: لم يستخدم الناطقين باللغة العربية التي نزل بها القـرآن، ولفـظة «الطير» على ما يسمىٰ «الميكروب» وأن العرب الذين وجه إليهم الخطاب التعجيبي في مستهل السورة لا يعلمون شيئاً عن هذا الحيوان.

ثالثاً: هو تحميل لآيات القرآن فوق طاقة أساليب اللغة العربية وفوق طاقة أفهام من نزل القرآن لتعجيبهم من شأن هذه الحادثة المبدعة إرهاصاً لمقدم بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين[٢].

رابعاً: ما هو الوباء الذي يصيب في أرض واحدة طائفة من الناس من جنس معين ويستثنى بقية سكان البلد. والمعهود في الأمـراض السـارية انتشارها مع الهواء بين سكان المنطقة دون تفريق[٣].

كما أن الجدري والحصبة لا ينشأ عنهما سقوط أعضاء الجسم أو انشقاق الصدر وانبثاق القلب منه، مع أن هذه الصورة هي التي يوحي بها النص القرآني ايحاء مباشراً وقريباً[٤] حيث جاء فيه: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾.

الشيخ طنطاوي جوهري والتفسير العلمي:

كان الشيخ طنطاوي جوهري المصري (المتوفى عام ١٣٥٨ هق) يميل ميلاً شديداً إلى إرشاد الناس والأخذ بأيديهم نحو الإيمـان الراسـخ بـالله

١ـ انظر: الكامل في التاريخ، المجلد ١، ص ١٩٩.

٢ـ القرآن العظيم، هدايته واعجازه في أقوال المفسرين، ص ٢٤١.

٣ـ التفسير العلمي للقرآن في الميزان نقلاً عن التيارات الفكرية الحـديثة وأثـرها في التـفسير، ابراهيم عبد الحميد الكيلاني.

٤ـ في ظلال القرآن، المجلد ٦، ص ٣٩٧٨.

تعالىٰ عن طريق التـفكير في خـلق السماوات والأرض وفي آثـار النـعم والرأفة والرحمة الالهية[1]. وكان يـرى أنـه لا يمكـن تـفسير القـرآن إلّا بالاستمداد من العلم الحديث[2]. فألّف تفسيره «الجواهر في تفسير القرآن الكريم في شرح الآيات القرآنية الممتزجة بعجائب عالم الخلق[3]».

تراءى للطنطاوي أنه بتأليف هذا التفسير إنما يشرح صدور الناس و يهديهم إلى الله ويزيح الحجب عن بصيرة المسلمين ليدركوا أسرار الكون.

يؤكد طنطاوي في تفسيره بأن القرآن يتضمن (٧٥٠) آيـة دالة عـلى قضايا في العلوم التجريبية بينما لا تزيد الآيات الصريحة في علم الفقة على (١٥٠) آية.

إنه يستصرخ المسلمين باستمرار للتأمل والتـفكير في آيـات القـرآن الدالة على العلوم ذات الصلة بعالم الوجود ويحثهم لتطبيق مضامين الآيات ويؤاخذ الغافلين عنها سواء من معاصريه أو من السابقين.

تبدأ طريقة الطنطاوي في تفسير الآيات بتقديم تفسير لفـظي مـوجز لكل آية ثم سرعان ما يترك هذا التفسير الذي يسميه التـفسير اللـفظي ويتوغل عالم الأبحاث العلمية التي يسميها «اللطائف أو الجواهر». فيورد مجموعة آراء العلماء الشرقيين والغربيين في العصر الحديث بهدف المسلمين وغيرهم إلى أن القرآن قد أخذ قصب السبق في الإشارة إلى هذه الأبحاث، وأتىٰ بها قبل اكتشافها من قبل العلماء. ويتضمن تفسيره أشكالاً كثيرة من النباتات والحيوانات والمناظر الطبيعية زيادة في إيضاح المواضيع للـقارئ

١ـ اتجاه التفسير في العصر الحديث، ص ٥٥.
٢ـ الفكر الديني في مواجهة العصر، ص ٤٢٤.
٣ـ الفكر الديني في مواجهة العصر، ص ٤٢٤.

وتتجلىٰ الحقيقة أمامه كأنها أمر مشهود ومحسوس. فذهب في تحقيق ذلك حتى بلغ قمة المغالاة والإفراط.

ومن الاشكالات الأخرىٰ الواردة في تفسيره أنه شرح بعض الحقائق الدينية بأسلوب افلاطون في رسالته «الجمهورية» أو اخـوان الصـف في رسائله، والحال أن تأييده لها ومساندته لرأيهـا يعتبر بحـد ذاتـه مـوقفاً يؤاخذ عليه بـالنظر لتـعارض هـذا الرأي ومـناهضته لأفكـار أسـلافه الأشاعرة.

إن الشيخ طنطاوي جوهري يستند في تفسيره للآيـات القـرآنـية إلى نظريات علمية جديدة غير مؤكدة. ولم يمـض زمان يذكر عـلى التـوصل إليهما، وهو تكلف خاطئ يرتكبه حتى يبعده أحياناً عن الهدف المنشود من الآية.

يفسر الشيخ الآية: **﴿وإذ قال موسىٰ لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزواً، قال أعوذ بالله أكون من الجاهلين﴾**[1]، بشيء من الانخداع بدعوى علم تحضير الأرواح ودعاته فيظهر من كلامه ودفاعه عنه وتأكيده على استنباط هذا العلم من القرآن إيمانه به حتى يعقد بحثاً لعجائب القرآن ومضمون بعض الآيات التي تشير كما يـدعي إلى عـلم تحـضير الأرواح الظاهر حديثاً. ومما استجره إلى مثل هذا البحث قضية إحياء الله لقتيل بني اسرائيل عندما أمر الله بمسحه بلحم البقرة التي أمروا بذبحها. فـيقول بأن هذه الآيات كانت تتلى دوماً على المسلمين وهم يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأميركا أولاً ثم بسائر بلدان أوربا ثانياً.

---

١ ـ سورة البقرة، الآيات (٦٦ ـ ٧٢).

هكذا يستنبط طنطاوي علم تحضير الأرواح من الآية المذكورة ثم يعرض نبذة طويلة عن نشأة هذا العلم وطريقة انتشاره بين الناس وفوائده فيملأ الصفحات تلو الصفحات من تفسيره بهذه القضايا. ثم يقول:

«ولما كانت السورة التي نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزيز بعد موته وكذلك حماره ومسألة الطير وابراهيم الخليل ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الطاعون فماتوا ثم أحياهم الله، وعلم الله أننا عاجزون عن ذلك جعل قبل ذكر تلك الثلاثة في السورة ما يرمز إلى استحضار الأرواح في مسألة البقرة. كأنه يقول: إذا قرأتم ما جاء عن بني اسرائيل في أحياء الموتىٰ في هذه السورة من أواخرها فلا تيأسوا من ذلك فإني قد بدأت بذكر استحضار الأرواح فاستحضروها بطرقها المعروفة: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[1]. ولكن ليكن محضر الأرواح ذا قلب نقي خالص على قدم الانبياء والمرسلين كالعزيز وابراهيم وموسىٰ. فهؤلاء لعلو نفوسهم اريتهم بالمعاينة ليطمئنوا وأنا أمرت نبيكم أن يقتدي بهم فقلت: «فبهداهم اقتده»[2].

فاقتدوا بهم في تعلم ما تطمئنون وتوقنون، ولكن قبل ذلك اقتدوا بالانبياء في طهارة القلوب وزوال الرجس من النفوس، فإن هذه الأمور إنما تعرف بالتجربة والعمل لا بالقياس العقلي ولا بالنظر والحدس الفكري»[3].

يتحدث طنطاوي عن تحضير الارواح وأخذ علمه من القرآن متناسياً

---

١ ـ سورة النحل، الآية (٤٣).

٢ ـ سورة الأنعام، الآية (٩٠).

٣ ـ تفسير الجواهر، المجلد ١، ص (٨٤ـ٨٩).

غرابة هذا الأمر أساساً مع واقع القرآن وعن أهدافه السامية. يا ترىٰ كيف أجاز لنفسه أن يستخرج هذا العلم عن الآية المذكورة ولم يتوثق المسلمين بعد من حقيقة هذا العلم؟ وكيف ينقل عن القرآن ما يتنافىٰ مع واقعه وأهدافه؟ فالواقع القرآني يؤكد بأن روح الانسان أمر محفوف بأسرار بديعة خص الله تعالى ذاته بها. فالروح تغادر الجسم عند وفاة الانسان وتلتحق ببارئها ليعرضها لحساب ما صدر منها فيحلها المكانة اللائقة بها، عندئذ لا يكون لأي كائن سلطان عليها ولا علم بها، فإن كانت عرفت ربها وجهدت لإرضائه تأمن عذابه وتنعم ببرزخ هانئ وإن كفرت به ولم تتورع في الدنيا عن الظلم والطغيان تنال ما وعدها به في معتقل البرزخ حتى يوم النشور. قال الله تعالىٰ: ﴿فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام علىٰ أصحاب اليمين، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾[1].

علىٰ أية حال، لم يرد في القرآن أو السنة قط ما يوحي بإمكانية مخاطبة الأموات عن طريق تحضير الأرواح.

قيل في وصف تفسير الجواهر عموماً أنه: موسوعة ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الفخر الرازي، فقيل: فيه كل شيء إلّا التفسير. بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولىٰ به[2].

يستند معارضو التفسير العلمي إلى أمثال هذه التفاسير مما يولد لديهم

١ـ سورة الواقعة، الآيات (٨٨ ـ ٩٤).

٢ـ اتجاهات التفسير في العصر الحديث، عبد المجيد المحتسب، ص ٢٧٧.

مواقف مناوئة بشدة لأي تفسير علمي حتى وإن التزم حالة الاعتدال.

عبد الرحمن الكواكبي والتفسير العلمي:

يذكر عبد الرحمن الكواكبي في كتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»، الذي طبع يحمل اسم (الرحالة .ك) رمزاً للمؤلف ويتألف من مجموعة مقالاته التي نشرها في عدد من الصحف المصرية (١٣١٨هق)، بأن القرآن يتضمن نظريات علمية تؤيد اعجازه.

يصف الكواكبي القرآن الكريم في كتابه هذا، بأنه «شمس العلوم وكنز الحكم». ويحلل بسبب امتناع العلماء عن تفسير قسمي الآلاء والأخلاق في القرآن وبيان ما يشتمل عليه من العلوم المختلفة بأنه توجس الخيفة من مخالفة بعض الأسلاف القاصرين في العلم فيبادرون بدافع جهلهم إلى تكفير أصحاب مثل هذه المحاولات ومن ثم قتلهم عقاباً على ذلك.

أكد الكواكبي في فصل من كتابه يحمل عنوان «الاستبداد والدين» أن القرآن يشجع في تعاليمه على مواجهة الاستبداد وعلى العمل لإحياء العدل والمساواة.

يرى الكواكبي أن هذا الجانب من إعجاز القرآن، وهو أهم مسألة في الدين الاسلامي، لم ينل الاهتمام اللائق به حتى الآن لاكتفاء القدماء بالاعجاز البياني إعجازاً للقرآن.

يستند الكواكبي إلى الآية: ﴿ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين﴾[1] مستنهضاً العلماء لتوخي الدقة واطلاق العنان لأفكارهم في تقصي علوم

---

١ ـ سورة الانعام، الآية (٥٩).

القرآن بهدف التوصل إلى إعجازه العلمي في آلاف من الآيات فقد اكتشف العلماء الاوربيون والاميركيون في القرون الأخيرة علوماً ذكرت جميعاً في القرآن الكريم. إنهم اكتشفوا أن جميع الكائنات تخضع لحركة دائمية متواصلة بينما أشار القرآن في الآية: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾[1] إلى هذه الحقيقة بجلاء. واكتشفوا بعد تحقيقات وأبحاث كثيرة قوانين اللقاح العامة في عالم النباتات، وقد ذكرها تعالىٰ في الآية: ﴿فأخرجنا ازواجاً من نبات شتى﴾[2] أو الآية: ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾[3]، وهكذا الميكروب وجرثومة مرض الجدري وأمراض أخرىٰ. وقد أشار إليها عز وجل، برأيه، في الآية: ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ التي أعقبتها الآية: ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ أي من طين مجفف. ثم يواصل حديثه عن الاختراعات العلمية التي سبق القرآن كاشفيها بالإشارة إليها قبل قرون مديدة مبرهناً علىٰ قوله ببيان الآيات القرآنية.

بلغ تأثر الشيخ عبد الرحمن الكواكبي بطابع هذا النوع من التفسير حد المغالاة والافراط فراح يشير إلى كل من النظريات العلمية مبرهناً عليها بنص قرآني وهو يدعي أن هذا الأمر هو وجه من الوجوه الدالة على الاعجاز العلمي للقرآن. محاولاً بالطبع شأنه شأن الكثيرين ممن توغلوا هذا المجال من الأبحاث والدراسات التوفيق بين الآيات القرآنية والعلوم التجريبية رغم أن أغلب ما استشهد به من الآيات لا ينطبق ولا يمت بأدنىٰ صلة إلى مدعاه من قريب أو بعيد كاستدلاله علىٰ أن القمر منشق

١ـ سورة يس، الآية (٤).
٢ـ سورة طه، الآية (٥٣).
٣ـ سورة الرعد، الآية (٣).

من الأرض بالإفادة من الآية: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾[1][2].

الدكتور عبد العزيز اسماعيل والتفسير العلمي:

«الإسلام والطب الحديث» هو عنوان مجموعة مقالات كتبها الدكتور عبد العزيز اسماعيل في مجلة الأزهر (نور الإسلام) ثم جمعها في كتاب يحمل هذا العنوان.

يجهد المؤلف في كتاباته أن يوفق بين بعض الآيات القرآنية والاكتشافات العلمية الحديثة. إنه يذعن في مقدمة كتابه بأن القرآن ليس كتاب طب أو هندسة أو نجوم إلّا أنه يشير أحياناً إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم لأن جميع هذه الآيات نزلت من لدن واضع تلك السنن وهو دليل على أن جميع ما جاء به القرآن حقاً لا لبس فيه رغم أن المسلمين لم يتنبهوا عند نزولها إلى مفهوم هذه الإشارات إلّا إجمالاً أو تأويلاً لعدم تبحرهم في تلك العلوم.

ثم يستعرض الدكتور عبد العزيز اسماعيل عدداً كبيراً من الآيات لم يكن بالامكان استيعاب معانيها الحقيقية بحسب رأيه إلّا بتدارس العلوم الحديثة، مثل الآية: ﴿وإن من شيء إلّا يسبح بحمده﴾[3] التي أكد أن العرب آنذاك لم يفهموا معناها إلّا تأويلاً بأنها تعني خضوع جميع الأشياء وحتى الجمادات منها لعظمة الله. ولكن علماء الطبيعة أثبتوا اليوم وجود حركة دائمية ومتواصلة في ذرات جميع الأشياء لا يمكن تحسسها أو رؤيتها بالعين

---

١ ـ سورة القمر، الآية (١).
٢ ـ انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص (١٨٨ ـ ١٩٢).
٣ ـ سورة الاسراء، الآية (٤٤).

المجردة.

من البديهي أنه لم يستند في ما عرضه إلى أي دليل يحمله علىٰ مثل هذا التفسير، فالنصوص القرآنية لابد أن تؤخذ على ظاهر مدلولها وظاهر هذه الآية يقول أن جميع المخلوقات تسبح خالقها، اختياراً وتسخيراً، وهو موضوع لا لبس فيه، فقد قال تعالىٰ: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً، يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد﴾[1] أو الآية: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾[2].

إذاً، اسناد التسبيح إلى الأشياء غير الناطقة يفيد معنى تنزيهها لله عز وجل بأسلوب يجهله الإنسان وهو معنى قوله تعالىٰ: ﴿لا تفقهون تسبيحهم﴾[3].

نظرة إجمالية في كتاب التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن:

انتهج الاستاذ حنفي أحمد في كتابه «التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن» طريقة الشيخ طنطاوي جوهري في تفسير القرآن حيث لجأ إلى تحديد مجموعة الآيات التي يدور حديثها جميعاً حول محور واحد وبعد تنضيدها يبادر إلى استنباط أسس وقواعد علمية عامة من تلك الآيات. فبعد صفحات من الحديث عن المدلول اللغوي لعبارة «الطير الأبابيل» في سورة الفيل وعن سياق الآية يحاول استنباط موضوع جديد منها ويلخص من ذلك إلى أن المعنى المقصود من لفظة «الطير» هو «الحجارة»

---

١ ـ سورة سبأ، الآية (١٠).

٢ ـ سورة (ص)، الآية (١٨).

٣ ـ انظر التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص (١٩٢ ـ ١٩٧).

لأنه يرىٰ أن الحجارة تضاهي الطير في كثرتها ولكنها تتجاوزه في سرعة اندفاعها وإصابتها الهدف وإلحاق الضرر به وتدميره.

يؤكد مؤلف هذا الكتاب بأن الاحجار التي أبادت قوم لوط وأصحاب الفيل هي في الواقع من نوع واحد. إنه يتبع نهج الشيخ محمد عبده في تفسيره لآيات أخرىٰ حتى يظهر التكلف واضحاً في تفسيره[1].

الاستاذ عبد الرزاق نوفل والتفسير العلمي:

للأستاذ عبد الرزاق نوفل مؤلفات كثيرة تعالج موضوع التفسير العلمي وقد عقد فصلاً من كتابه «الله والعلم الحديث» تحت عنوان «الاعجاز العلمي في القرآن» جهد فيه لربط بعض الآيات القرآنية بالعلوم الحديثة، ثم ألف كتاب «الاسلام والعلم الحديث» بهدف إفادة المسلمين وغيرهم من الراغبين في معرفة حقائق الدين الاسلامي.

وفي كتابه «القرآن والعلم الحديث» طرح فكرة أساسية عند منتهجي التفسير العلمي وهي صلاحية القرآن في كل زمان ومكان بدليل احتوائه بحسب رأيه علىٰ إشارات إلى كل ما يستجد من العلوم.

وعبد الرزاق نوفل بدوره يرىٰ أن القرآن اعجاز علمي وأن الجانب العلمي من اعجازه استهدف غير الناطقين باللغة العربية. إنه يحاول استبانة الفرق بين النظريات العلمية والحقائق العلمية والتأكيد على أن الآيات القرآنية لابد أن تفسر بحسب الحقائق والثوابت العلمية غير المتعرضة للتغيير والتحول أو الطعن فيها ثم يؤخذ عبد الرزاق نوفل على مفسرين

---

١ ـ انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان، ص(١٩٨ ـ ٢٠٣).

فسروا بعض الآيات تفسيراً علمياً يتناقض مع سياق الآيات القرآنية كما في محاولاتهم عند تفسير الآيات: ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر، هل في ذلك قسم لذي حجر﴾[1]، لربطها بعملية تحنيط المصريين القدامىٰ لأجساد الفراعنة التي كانت تتم فجراً بعد عشرة ليال من الوفاة أو ادعائهم عند تفسير الآيات: ﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين﴾[2]، بأنها تشير إلى «بوذا» حيث بات تحت شجرة من فصيلة التين، وكلمة «الزيتون» بأنها تشير إلى رسالة النبي عيسى ﷺ و«طور سينين» إلى نبوة النبي موسىٰ ﷺ و«هذا البلد الأمين» بأنه ترميز لنبوة محمد ﷺ، بينما لم يكن «بوذا» مبعوثاً من قبل الله ولم ينزل عليه الوحي قط.

وفي تفسير الآية: ﴿وإذ قلتم يا موسىٰ لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، قال أتستبدلون الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير﴾[3] يطرح عبد الرزاق نوفل موضوع «البروتين النباتي والحيواني» فيقول: «إنها تقرر أن البقول والعدس والبصل أدنىٰ وأقل خيراً مما كان يأكله قوم موسىٰ وهو المن والسلوى وهما نوع من الحلوىٰ وطير يرجح أن يكون المعروف بالسمان. ولم يعرف مقدار ما في هذه الآية من علم إلّا بعد أن تقدمت العلوم في التغذية والصحة الغذائية. فلم يصل العلم إلّا أخيراً إلى أن الأفضلية ليست في مقدار ما تحويه المواد الغذائية بل في نوع ما تحويه من مكونات

---

١ ـ سورة الفجر، الآيات (١ ـ ٥).
٢ ـ سورة التين، الآيات (١ ـ ٣).
٣ ـ سورة البقرة، الآية (٦١).

التغذية... وأن البروتينات أو المواد الزلالية الموجودة في الحيوان تفضل علىٰ تلك الموجودة في البقول تفضيلاً كبيراً.

وتحت عنوان «وحدة الخلق» تناول بالتفسير العلمي قوله تعالىٰ: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً﴾[1]، فقال:

«إن النفس الواحدة هي البروتون وأن زوجها هو الالكترون وهما العنصران اللذان تتألف منهما الذرة... وأن كل ما خلقه الله إنما خلقه من نفس واحدة وجعل منها زوجها، أليست هي هذه البروتونات والالكترونات.

إنه يرىٰ أن القرآن الكريم قرر هذه الحقيقة في الآية (١٨٩) من سورة الاعراف فسبب سكون النفس الواحدة هو زوجها. ثم يردف: هذا ما قرره العلم بالنسبة لسكون البروتون والالكترون باختلافهما وتساويهما في الكهرباء؟

إنه على أية حال نمط آخر من التفسير العلمي اعترى صاحبه فيه المغالاة والإفراط والخروج عن جادة الصواب.

---

١ ـ سورة الاعراف، الآية (١٨٩).

آراء أشهر الاعتداليين القائلين بالتفسير العلمي في العصر الحديث

الشيخ محمد بخيت المطيعي والتفسير العلمي:

يكتب الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابه «تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية» وفي موضوع منه تحت عنوان «دوران الأرض وأخذه من القرآن»:

قال تعالىٰ: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً﴾[2].

وقال: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً»[3].

و﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾[4]

و﴿كل في فلك يسبحون﴾[5].

و﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن

---

١ ـ سورة البقرة، الآية (٢٢).

٢ ـ سورة النمل، الآية (٦١).

٣ـ سورة طه، الآية (٥٣).

٤ ـ سورة الملك، الآية (١٥).

٥ ـ سورة الانبياء، الآية (٣٣) وسورة يس، الآية (٣٩).

كل شيء﴾[1].

كل هذه الآيات تدل بظاهرها على أن الأرض متحركة ودائرة، كما هو قول (فيثاغورس) قديماً وقول علماء الهيئة اليوم، وذلك أنه ثبت بالمشاهدة الصحيحة أن الأرض على شكل كرة مفرطحة نحو قطبيها منتفخة عند خط الاستواء. وقد أطبق المحققون من المفسرين وجميع علماء الكلام وفلاسفة الاسلام أن الأرض كرة وعدوا إنكار ذلك مكابرة. فمن أقام الدليل على خلاف ذلك فقد أراد التشكيك في اليقينيات وكابر نفسه وأنكر حسه، فلا يعول عليه ولا يلتفت إليه، فكان انتفاخها نحو خط الاستواء وتفرطحها نحو القطبين دليلاً حسياً يدل على أن الأرض كانت سائلة في مبدأ خلقها وأنها متحركة بحركة رحوية ودائرة على محورها. وذلك لأن الكرة إذا كانت صلبة كالتي من العاج ـ مثلاً ـ لا يتغير شكلها ولو دارت على محورها قروناً كثيرة، وأما إذا كانت سائلة أو عجينة انتفخت نحو وسطها وتفرطحت نحو قطبيها، وبذلك جمدت قشرتها أيضاً وبردت.

ولو كانت ساكنة لبقيت جرماً غازياً سائلاً فلا تصلح لأن تكون فراشاً ولا مهداً ولا ذلولاً، فثبت بذلك حركتها على محورها التي بها يتعاقب الليل والنهار. وأما حركتها حول الشمس فسببها أن الشمس أكبر جرماً من الأرض أضعافاً مضاعفة، وكلما كان الجرم أكبر كان أكثر وأقوى جاذبية من الأصغر، فالشمس هي التي تجذب الأرض إليها من كل الجوانب، لما تقرر على وجه ما ذكر في علم رفع الأثقال بالتجربة العملية الصحيحة.

وبذلك تبين أن هذه الآيات بظاهرها تدل على أن الأرض ليست

---

١ ـ سورة النمل، الآية (٨٨).

منقادة إلى حركة رحوبة بها تدور على محورها ويتكون منها تعاقب الليل والنهار فقط بل تتحرك أيضاً حركة أخرىٰ حول الشمس تتكون منها السنة وفصولها...»[1].

الشيخ عبد الحميد بن باديس والتفسير العلمي:

يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس أن النهضة الاسلامية استلهمت دوافعها من القرآن وأن اصلاح الفرد هو أساس اصلاح المجتمع، وصلاح الفرد يقوم على أساس صحة عقائده وسمو أخلاقه وطباعه، وأن الإنسان بحاجة إلى عوامل أساسية ثلاثة هي: الفكر والارادة والعمل. والفكر يستند إلى العقل والارادة إلى الأخلاق، وأما العمل فإنه يعتمد على الجسم[2].

ثم ضم دروسه التي ألقاها لتلاميذه في التفسير إلى بعض في كتاب «تفسير ابن باديس» أو «مجالس التذكير في كلام الحكيم الخبير».

الشيخ محمد مصطفى المراغي والتفسير العلمي:

يركز الشيخ محمد مصطفى المراغي اهتمامه في تفسيره على آيات يثبت للناس من خلال تفسيرها أن القرآن لا يعرقل تطور العلم بل يطلق العنان للعقل للتأمل في عظمة القوانين الالهية المتحكمة بالكون وعالم الوجود لأنه لا يتعارض مع قواعده ونظرياته الصائبة.

يذهب الشيخ المراغي عند تفسير الآية: ﴿وألق في الأرض رواسي أن تميد

---

١ ـ تنبيه العقول الإنسانية، ص ٧٩.

٢ ـ تفسير ابن باديس.

بكم﴾[1] إلى أن الجبال خلقت في الأرض للحيلولة دون تزلزلها واضطرابها. ثم يردف رأيه هذا بالقول:

«إن الأرض بعد انفصالها عن الشمس وعكوفها على الدوران حولها على بعد منها وصلت بعض موادها إلى حالة السيولة بعد أن كانت مواد ملتهبة، وتكونت عليها قشرة صلبة بعد تتابع انخفاض الحرارة أحاطت بما في جوفها من المواد المنصرمة ثم تتابعت البرودة على القشرة فتجعدت وحدث من التجعد نتوءات وأغوار، فالجبال الأولىٰ نتوء القشرة الصلبة التي غلفت الأرض، وهناك جبال جدت من اشتداد الضغط في الرواسب التي في قاع البحر، وجبال النارية جدت من خروج الحمم النارية من وسط الأرض وتداخلها في الطبقات حتى صارت كأوتاد مغروزة فيها، والجبال كلها تتحمل الضغوط الرسوبية على جدرانها وتوزعها وتغير اتجاهها وتكسر حدتها...

فالجبال أولاً حبسته النار في جوف الأرض وصيرت الأرض بعد ذلك صالحة للحياة[2].

الدكتور محمد عبدالله دراز والتفسير العلمي:

نستوحي من مطالعة كتاب «مدخل إلى القرآن الكريم» من تأليف المرحوم الشيخ محمد عبدالله دراز أنه ليس هنالك برأيه أي عائق يحول دون التفسير العلمي للقرآن إن تم تجنب المغالاة فيه. وفي خاتمة كتابه يذكر أدلة ثلاثة لكون القرآن الكريم منزل من قبل الله تعالى وهي تضمنه ل:

١ـ سورة لقمان، الآية (١٠).

٢ـ الدروس الدينية، ص ٦٤.

١ـ الحقائق الدينية والأخلاقية والتاريخية.

٢ـ الحقائق العلمية.

٣ـ تنبؤات مستقبلية.

ويكتب الشيخ دراز في موضوع «الحقائق العلمية»:

«إن القرآن في دعوته إلى الإيمان والفضيلة لا يسوق الدروس من التعاليم الدينية والأحداث الجارية وحدها، وإنما يستخدم في هذا الشأن الحقائق الكونية الدائمة ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة لا بغرض دراستها وفهمها في ذاتها فحسب وإنما لأنها تذكر بالخالق الحكيم القدير[1].

وحيد الدين خان والتفسير العلمي:

خصّ وحيد الدين خان باباً من كتابه «الإسلام يتحدىٰ» بالحديث عن القرآن وأوجه الاعجاز فيه.

في فصل من الكتاب يحمل عنوان (القرآن والكشوف الحديثة) يتطرق المؤلف إلى صدق القرآن وحقانيته بالقول:

«إنه على الرغم من نزول القرآن قبل قرون كثيرة من عصر العلوم الحديثة لم يتمكن أحد من إثبات أية أخطاء علمية فيه ولو أنه كان كلاماً بشرياً لكان هذا ضرباً من المستحيل»[2].

يجدر الذكر أن وحيد الدين خان هو كاتب هندي ألف كتابه باللغة الباكستانية الاردية، وقد ترجم إلى اللغة العربية أيضاً وقد اعتمدناه مصدراً

---

١ ـ مدخل إلى القرآن الكريم، ص ١٧٦.

٢ ـ الاسلام يتحدىٰ، ص ١٣٨.

في بعض الأبحاث التالية من الكتاب.

مصطفى صادق الرافعي والتفسير العلمي:

في موضوع «القرآن والعلوم» من كتابه (اعجاز القرآن والبلاغة النبوية) يتدارس الاستاذ مصطفى صادق الرافعي العلاقة بين القرآن والعلوم، فيستدل من خلاله أن للقرآن طابعاً اجتماعياً على صعيد التأثير في العقل الانساني، لاسيما أنه يعتبر معجزه تاريخ العرب، فقد أوجد بآثاره الارشادية التوجيهية معجزة عظيمة لم يسبق لها مثيل في التاريخ العلمي لتلك البلاد.

ينقل الرافعي في كتابه بعض ما نقله السيوطي في الاتقان والاكليل وكذلك أبو الفضل المرسي حول اشتمال القرآن الكريم على جميع العلوم، ويعلق على استخراج علم المواقيت من القرآن فيقول:

قال بعض المتأخرين: إن الميقات مشار إليه في القرآن بقوله تعالىٰ: ﴿رفيع الدرجات﴾[1].قال: فإن عدد (رفيع) بحساب الجمل (٣٦٠) وهي عدد درج الليل والنهار...

ثم يردف:

وإذا اطلق حساب الجمل في كلمات القرآن كشف منه كل عجائب العصور وتواريخها وأسرارها، ولولا أن هذا الخارج عن غرض الكتاب (ويقصد كتابه اعجاز القرآن) لجئنا منه بأشياء كثيرة من القديم والحديث[2].

١ـ سورة غافر، الآية (١٤).
٢ـ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١١٤.

الدكتور محمد أحمد الغمراوي والتفسير العلمي:

يرى الدكتور محمد أحمد الغمراوي أن في القرآن اعجازاً علمياً يحبط جميع محاولات الكفار والملحدين للاستهداء إلى موضع واحد للتشكيك فيه، فالآيات القرآنية المشتملة على اعجاز علمي لا يتجاوز عددها برأي الدكتور الغمراوي (٨٠٠) آية تدل دلالة محسوسة على أنه منزل من قبل الله ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن الاعجاز القرآني لا يقتصر على العرب وفصحائهم بل جميع أبناء الإنسانية في أي بقعة من بقاع العالم فهم جميعاً مخاطبوه المدعون للتسليم له بعض النظر عن لون بشرتهم ولغتهم وعرقهم.

يستعرض الدكتور الغمراوي في كتابه «الإسلام في عصر العلم» نماذج من الآيات النازلة قبل (١٤) قرناً واكتشافات العلم الحديث أو على أقل تقديراثبات عدم وجود أي تعارض بين مفهوم هذه الآيات مع الكثير من المعطيات العلمية الحديثة.

الدكتور محمد جمال الدين الفندي:

للدكتور محمد جمال الدين الفندي في الكثير من مؤلفاته تعليقات علمية على بعض الآيات القرآنية. يرى الدكتور الفندي أنه من البديهي أن يمهد كتاب سماوي في مثل مكانة القرآن الكريم السبيل أمام الانسان في عصر النضج العقلي للإنسان والتطور العلمي فيخاطب العقول الموهوبة ويوجه النواظر المتبصرة للتأمل في خلق السماوات والأرض.

يؤكد الدكتور الفندي في كتابه «القرآن والعلم بإن في القرآن العديد من الآيات العلمية التي تم فهمها وأمكن التعليق عليها وإظهار جوانب

الاعجاز فيها، الأمر الذي دعاه إلى تأليف كتابه هذا ليبرهن بالحجة والدليل القاطع على أن خالق الكون هو نفسه الذي أنزل هذا القرآن الكريم، وأن القرآن يتفق مع جلال الصنع[1].

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والتفسير العلمي:

في المقدمة الرابعة من مقدمات تفسيره العلمي «التحرير والتنوير» وفي موضوع «فيما يحق أن يكون غرض المفسر» يقول الشيخ محمد طاهر بن عاشور بعد بيان وشرح الأهداف الأصلية للقرآن بأن غرض المفسر هو بيان ما توصل إليه أو ما أراده الله تعالى من بيان كتابه، بأفضل أسلوب يدلي بالمعنى. فلا يأبى المفسر، برأي ابن عاشور، عن الإفادة من أية لفظة توضح المراد من مقاصد القرآن أو ما يتوقف عليه فهمه على أتم وجه أو يخدم المقصد تفصيلاً وتفريعاً مع إقامة الحجة خافياً ليرد بها على ذلك إن كان به خفاء أو لاحتمال مواجهة الصد من قبل معاند أو جاهل.

---

١ ـ القرآن والعلم، ص ١٦.

«مؤيدو التفسير العلمي من الشخصيات الايرانية المعاصرة»

المهندس مهدي بازرگان:

يعتبر مهدي بازركان من رواد حركة التفسير العلمي للقرآن في ايران وقد ألف كتباً عديدة في هذا المجال، منها «باد وباران در قرآن» (الرياح والأمطار في القرآن) و«مطهرات در اسلام» و... يعرض فيها تفسير مجموعة من الآيات القرآنية بعد التوفيق بينها وبين المستحدثات العلمية[1].

وفي كتابه «المطهرات في الاسلام» يوضح بازركان الحكمة من التيمم والخفايا العلمية الكامنة فيه عند تفسير الآية: ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾[2]. مشيراً إلى نشاط الحيوانات المجهرية المتواجدة في التربة وإلى قدرة التراب على امتصاص الذرات المجهرية بالنظر للسطح الهائل الذي تمتاز به ذرات الغبار. فيؤكد أن التراب لا يتسم بالقذارة في حد ذاته ليمثل عاملاً مرضياً بل أنه يلعب دوراً في الفتك بالجراثيم الضارة ذات الفاعلية في تحلل المواد العضوية. وقد يكون

---

١ ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، ص ٣١٣.
٢ ـ سورة المائدة، الآية (٦).

في مسح الوجه واليدين شيء من الفائدة خاصة ونحن نواجه التأكيد على جفاف وغبارية المواد التي يمكن استعمالها للتيمم إلى جانب نعومتها ونظافتها أساساً[1].

يد الله نيازمند الشيرازي:

وهو من طلائع حركة التفسير العلمي للقرآن في ايران. قام بنشر سلسلة من المقالات تحمل عنوان «اعجاز القرآن من وجهة نظر العلوم الحديثة» في صحيفة «نهج الاسلام». ثم ضم هذه المقالات إلى بعض في كتاب صدر بهذا العنوان.

يتضمن هذا الكتاب فصول أربعة تتعلق مضامين ثلاثة منها بموضوع بحثنا وهي:

الفصل الأول: اعجاز القرآن فيزيولوجياً، ويشتمل على بعض الاكتشافات العلمية فيما يخص الحليب وحاستي السمع والبصر وحيض النساء.

الفصل الثاني: اعجاز القرآن والعلوم الطبيعية، ويبحث في مسيرة تكون الأمطار، والرعد، والبرق، والخلق وتكامل الحيوانات.

الفصل الثالث: وفيه عرض التنبؤات الغيبية القرآنية[2].

الدكتور رضا باكنجاد:

للدكتور رضا باكنجاد، المستشهد في حادثة انفجار مركز حزب

---

١ ـ المطهرات في الاسلام، ص ٧١.

٢ ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، ص ٣١٦.

«جمهوري اسلامي» في طهران بتاريخ (١٩٨١/٦/٢٨)، مؤلفات كثيرة منها سلسلة «أول جامعة علمية وآخر نبي مرسل» ذات الثلاثة والثلاثين مجلد. حاول الشهيد الدكتور من خلالها الكشف عن الاسرار العلمية في القرآن والروايات والأحكام الإسلامية بالاستناد إلى العلوم الحديثة، لاسيا علم الطب وهو صاحب الاختصاص فيه».

يشير الدكتور باكنجاد في أحد مجلدات هذه السلسلة إلى فيزيولوجية حاسة البصر بايجاز ثم يعرج على معجزة أخرىٰ من معجزات القرآن من خلال تفسير الآية: ﴿فالق الاصباح وجعل الليل سكناً﴾[1] مؤكداً أن الله سبحانه وتعالىٰ حدد في هذه الآية الليل باعتباره فرصة لنيل الهدوء والسكينة من قبل الانسان ليتسنى للجسم تعويض كل ما فقده خلال النهار ومنها المواد الكيميائية المتفاعلة مع الضوء من جهة واستعادة القوى لعملية النمو التي كشف العلم مؤخراً دور حاسة البصر فيها وفي مواصلة الحياة، من جهة أخرىٰ.

يقول الدكتور باكنجاد: إننا ونحن نقف وقفة إجلال لعظمة القرآن الكريم ننوه إلى الجانب الاعجازي في هذه الآية الشريفة التي حددت الليل قبل خمسة عشر قرناً موعداً للسكينة والهدوء، والنهار رأي إبان إشراقة الشمس أواناً للنماء والحركة[2].

الشيخ أحمد اهتمام:

للشيخ أحمد اهتمام وهو من علماء مدينة اصفهان، مؤلفات فقهية

---

١ ـ سورة الانعام، الآية (٩٦).
٢ ـ أول جامعة علمية وآخر نبي مرسل، المجلد ١٦، ص ١٤.

وأصولية، منها كتاب «فلسفة الأحكام» الذي حاول فيه المؤلف استبانة الحكمة والالهية والحقائق العلمية التي تستبطنها الأحكام والتعاليم الاسلامية. يستند الشيخ احمد اهتمام إلى العلوم الحديثة خلال حديثه عن تحريم لحم الخنزير والشراب في القرآن ويحلل طهاره الماء بالإشارة إلى وجود المخمرات[1] والاوكسجين في الماء ودورهما في إبادة الجراثيم.

وحول معنى الآيات: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق،...»[2]، يقول بان القدماء كانوا يرون أن العلق هو الدم المنعقد إلّا ان العلم أثبت في القرن الأخير أن العلقة تتكون من حيوان منوي ذكري تلاقح مع بويضة من البويضات الانثوية، وأنها انطلاقة خلق الإنسان وقد أفصح القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً عن هذه الحقيقة»[3].

آية الله محمود طالقاني:

هو أحد العلماء الثوريين المعاصرين. وظف الطالقاني القضايا العلمية في تفسيره «پرتوى از قرآن» (قبس من القرآن) لبيان مقصود ومفهوم العبارات القرآنية[4].

يعسوب الدين رستجار جويباري:

هو أحد المفسرين المعاصرين. في تفسيره «البصائر» يتناول الجويباري كل سورة بعرض عشرين مبحثاً مختلفاً في مجال فضل السورة، الهدف منها،

١ـ Ferment: احياء دقيقة تجزي النباتات والمواد العضوية وتمنع فسادها.

٢ـ سورة العلق.

٣ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، ص ٣٢٠.

٤ـ المصدر السابق.

القراءة، اللغة، النحو و...، ومن هذه المباحث الوجه الاعجازي للسورة أو لآيات منها، فيبدي الاهتمام من خلاله بالقضايا العلمية في القرآن أيضاً. إنه يرىٰ أن علوم الطبيعة والفلسفة والرياضيات الآخذة بالتنامي منذ القرن العاشر الميلادي إنما نشأت من القرآن[1].

محمد تقي شريعت:

يشير محمد تقي شريعت صاحب «تفسير نوين» (التفسير الحديث) ـ الذي اختص بتفسير الجزء الثلاثين من القرآن ـ إلى الاعجاز العلمي للقرآن وآياته العلمية فيرىٰ أن الإعجاز العلمي هو أحد وجوه اعجاز القرآن ويعتبر مثلاً الآية: ﴿نار الله الموقدة﴾[2] إشارة إلى أشعة «رونتجن» كما أثبت أحد الاطباء المصريين[3].

آية الله ناصر مكارم الشيرازي:

وهو من أعلام المفسرين والفقهاء الشيعة المؤيدين للتفسير العلمي للقرآن في العصر الحديث (ولكن بنهجه المعتدل) وفي نمط خاص منه، وهذا ما يتجلىٰ من خلال لجوئه في حالات عديدة لاثبات الاعجاز العلمي للقرآن في تفسيره: «الأمثل في تفسير كلام الله المنزل»، ولكنه يعارض التفسير العلمي المستند إلى التفسير بالرأي. يتطرق آية الله مكارم الشيرازي في كتابه «القرآن وخاتم الانبياء ﷺ» إلى الاعجاز القرآني من

---

١ ـ المصدر السابق، ص ٣٢٢ (نقلاً عن تفسير البصائر، الجلد ١، ص ٩٨).
٢ ـ سورة الهمزة، الآية (٧).
٣ ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، ص ٣٢٣ (نقلاً عن التفسير الحديث، ص ٦٤).

وجهة نظر العلوم الحديثة فيستعرض قضايا حول قانون الجاذبية، تسخير الشمس والقمر، الحياة في الكواكب الأخرىٰ و... يتدارسها من وجهة نظر القرآن والعلم[1].

آية الله محمد هادي معرفت:

هو أحد أساتذة الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة بإيران. تعددت مؤلفاته في حقل اختصاصه في العلوم القرآنية ومنها: «التمهيد في علوم القرآن» و«صيانة القرآن من التحريف».

يرىٰ آية الله معرفت أن الشريعة ليست درس العلوم الطبيعية، وأن القرآن بحد ذاته لا يعتبر كتاباً علمياً ولكنه يتضمن إلى جانب موضوعاته الأساسية إشارات سريعة لبعض أسرار الوجود، بنحو إجمالي وايمائي، ولهذا يتعذر إدراكها إلّا على الراسخين في العلم لأن القرآن لا يهدف إلى بيان موضوعات علمية إلّا أنه في الوقت ذاته ينبع من العلم الالهي اللامتناهي.

يحاول هذا العالم المعاصر من خلال استناده إلى الآية: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[2] وإلى أقوال المفسرين ونظرية داروين، أن يبرهن أن المقصود من التعبير القرآني الدال على نشأة الحياة من الماء هو ما أثبتته النظريات العلمية الحديثة بأن نشأة الحياة كانت من البحار والمياه (بدء بالكائنات المجهرية). ويستند إلى نظريات العالم الانجليزي «لومتر» في

---

١ ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، ص ٣٢٣، نقلاً عن القرآن وخاتم المرسلين، ص (١٤٧ ـ ٢٠٠).

٢ ـ سورة الأنبياء، الآية (٣٠).

تفسير الآية: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون﴾[1]. وبهذا يرى أن التوسيع يعني اتساع العالم من جهات ست[2].

آية الله سبحاني:

هو الآخر من اساتذة الحوزة العلمية بقم القائلين بالتفسير العلمي للقرآن باعتدال حيث يرى ان الاطلاع على الاتجاهات الفلسفية والعلمية، وهو مدعاة ازدهار الأفكار والعقول والتوصل إلى انطباعات قيمة عن القرآن يعتبر من متطلبات تفسير القرآن بمعناه الواقعي، فيقول: من ظواهر القرآن غير المتعرضة للإنكار خلق الإنسان من الطين وانعدام حلقات الربط بين الحالتين، ومع ذلك فإن هذه الظواهر لا تفتقد المرونة إزاء التأويل والتفسير فيما لو تكتسب فرضية التكامل (النشوء والارتقاء) طابعاً علمياً ويغدو مؤكداً وفق أدلة حاسمة وواضحة أن الانسان صار إلى وضعه الفعلي وأصبح بعد تحولات جوهرية وتغييرات نوعية كائناً ذا نفس ناطقة يمشي على رجلين، شرط أن يبلغ التوثق من صحة هذه الفرضية ما يجعلها في قائمة القضايا المؤكدة والثوابت الواضحة غير المتعرضة للطعن والنقض. فقول الله عز وجل بانه خلق الانسان من طين لا يتنافىٰ أبداً مع تحوله من الطين إلى الانسان خلال مراحل لم يشر إليها أو يصرح بها الله. والسكوت لا يدل قط على انعدام الوسائط في هذا السياق[3]. وفي كتاب «منشور

---

١ ـ سورة الذاريات، الآية (٤٧).

٢ ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، ص ٣٤٠، نقلاً عن كتاب الاعجاز العلمي للقرآن، الباب الثاني، ص ٧٥.

٣ ـ المصدر السابق، ص ٣٤٢ نقلاً عن كتاب الداروينية أو نظرية التكامل، ص ٢١.

جاويد» (الوثيقة الخالدة) وهو أول تفسير موضوعي للقرآن صدر باللغة الفارسية، يستعرض سبحاني النظريات العلمية والايديولوجيات الغربية الحديثة. ويتناول مثلاً في بحث حول الانسان موضوع خلق الانسان ونظرية التكامل بالنقد والتحليل تحت عنوان «النظريات المستقلة والنظريات المشتركة حول خلق الإنسان»[1].

آية الله الصافي الكلبايكاني:

وهو من العلماء المعاصرين واستاذ في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة وصاحب مؤلفات عديدة وقيمة، منها «به سوى آفريدكار» (السبيل إلى الله) يعرض فيها موضوع التفسير العلمي (التطبيق) في شكل استفسارات وردود.

آية الله علي المشكيني الأردبيلي:

يجهد آية الله المشكيني وهو من أساتذة الحوزة العلمية بقم المقدسة في كتابه «التكامل في القرآن» أن يعرض للآيات القرآنية ذات الصلة بخلق الإنسان تفسيراً علمياً يزيل به تعارض ظاهر بعض الآيات مع نظرية التكامل.

يعرب المشكيني عن رأيه في نشوء وارتقاء الانسان (النظرية الداروينية) قائلاً: لا يتضمن القرآن الكريم حتى إشارة واحدة تنوه إلى تعارض أي مبدأ فكري واضح ومؤكد من مبادئ هؤلاء العلماء أو آية واحدة تتنافر مع قضيتهم المختبرة هذه حول تغير وتطور النباتات

---

١ ـ المصدر السابق، نقلاً عن الوثيقة الخالدة، المجلد ٤، ص ١٩١.

والحيوانات.

ويؤكد المشكيني أن الآية ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[1] تمثل أحد الأدلة على إثبات نظرية التكامل[2]. فوقفه على أية حال يختلف إزاء حالتي فرض الآراء والعقائد على القرآن والإفادة الصحيحة منها لا يضاح ظواهر ونصوص القرآن.

الدكتور محمد صادقي:

وهو من علماء الحوزة العلمية بقم، له مؤلفات عديدة منها تفسير «الفرقان» وكذلك كتاب «ستاركان از نظر قرآن» (النجوم في القرآن) في تفسير بعض الآيات القرآنية.

يستند الدكتور صادقي في تفسير «الفرقان» إلى موضوعات علمية حديثة لاستبانة معاني الآيات في حالات عديدة. فيستنبط قضية دوران الأرض وقوة جاذبيتها مثلاً من الآية الشريفة: ﴿ألم يجعل الأرض كفاتا﴾[3]، قائلاً: لقد أوضح القرآن هذين المبدأين قبل قرون من اكتشافها من قبل كوبرنيك ونيوتن. ثم يستعرض شرحاً مسهباً حول قوة الجاذبية و...[4].

---

١ ـ سورة الانبياء، الآية (٣٠).

٢ ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، ص (٣٤٥)، نقلاً عن «التكامل في القرآن»، ص ٢٣.

٣ ـ سورة المرسلات، الآية (٢٥).

٤ ـ مدخل إلى التفسير العلمي للقرآن، ص (٣٤٥)، نقلاً عن «الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، المجلد ٢٩، ص ٣٤١.

آراء أشهر معارضي التفسير العلمي بين القدماء

الشاطبي وموقفه من التفسير العلمي:

مثلما أيد بعض قدماء العلماء الاتجاه العلمي في علم التفسير وذهبوا، كما أوردنا، إلى أن القرآن يشتمل على جميع علوم الأولين والآخرين، التزم فريق آخر منهم الصمت ازاءه وعارضه البعض الآخر وتنكروا له.

وعلىٰ رأس هؤلاء المعارضين ابو الاسحاق ابراهيم بن موسىٰ بن محمد الغرناطي المعروف بالشاطبي، الذي يحمل في كتابه الذائع الصيت «الموافقات في أصول الأحكام» على القائلين باحتواء القرآن على علوم الأولين والآخرين بالنظر لاعتقاده بأن علم التفسير مطلوب في حدود ايضاح المقصود من الآيات وان تجاوز حدود المقصود بعد استبانته يعتبر تكلفاً لا غير.

يرى الشاطبي ان الاحتجاج على صحة الأخذ بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في العلوم الطبيعية أعيىٰ أهل العلوم الطبيعية وغيرها، فاستند أهل العدد إلى الآية: ﴿فاسئل العادين﴾[1] وأهل الهندسة إلى:

---

١ ـ سورة المؤمنون، الآية (١١٤).

﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾[1]، وأهل التعديل النجومي إلى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾[2]، وأهل المنطق في أن نقيض الكلية السالبة جزئية موجبة إلى الآية: ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ﴾[3] أو في بعض القضايا الشرطية والحملية على أمور أخرىٰ، وأهل خط الرمل إلى: ﴿أو أثارة من علم﴾[4] أو إلى قول رسول الله ﷺ: «كان نبي يخط في الرمل» وحالات أخرىٰ ذكرت في الكتب.

ثم يردف الشاطبي بأن قوله تعالىٰ: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾[5] لا يدخل فيه أي من وجوه الاعتبار وعلوم الفلسفة التي لم يسبق العرب معرفتها، ولهذا فإنها لا تتناسب مع وضع الأمة الأمية التي بعث إليها الرسول ﷺ[6].

---

١ ـ سورة الرعد، الآية (١٧).
٢ ـ سورة الرحمن، الآية (٥).
٣ ـ سورة الانعام، الآية (٩١).
٤ ـ سورة الأحقاف، الآية (٤).
٥ ـ سورة الأعراف، الآية (١٨٥).
٦ ـ الموافقات، المجلد ١، ص ٥٦.

«أشهر مناهضي التفسير العلمي في العصر الحديث»

محمد رشيد رضا:

ذكرنا أن الشيخ محمد عبده كان يميل كل الميل إلى الاتجاه العلمي في التفسير إلّا أن تلميذه ومبين أفكاره محمد رشيد رضا خالفه في ذلك فلم يكتف بمعارضة هذا النوع من التفسير بل راح يؤاخذ من يتبنى الاتجاه العلمي في تفسيره ومنهم فخر الدين الرازي (من القدماء) وصاحب تفسير الجواهر أي الشيخ طنطاوي جوهري (من المعاصرين) وإن لم يفصح علانية عن اسمه وذلك في قوله:

«وكان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن مقاصد القرآن العالية وهدايته السامية، فمنها ما يشغل عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات. وقد زاد الفخر الرازي صارفاً آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها...

وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان قصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن[1].

الشيخ محمد شلتوت:

يرى الشيخ محمد شلتوت وهو من علماء الأزهر السابقين، أنه يتعين تجنب تعريض القرآن الكريم للنظريات العلمية. وقد أعرب عن رأيه هذا في مقدمة تفسيره لبعض السور والآيات حيث يؤكد على وجوب تنزيه التفسير من التأثر بالاتجاه العلمي على صعيدين:

١ ـ استخدام الآيات القرآنية لتأييد الفرق والخلافات الدينية.

٢ـ استنباط علوم عالم الخلق والنظريات الحديثة من القرآن.

يحمل الشيخ شلتوت وبشدة على نماذج من التفسير العلمي يعرضها في كتابه «تفسير الكريم»، ويتساءل أخيراً:

أليس في هذا دلالة واضحة على أن القرآن ليس كتاباً يريد الله به شرح حقائق الكون، وإنما هو كتاب هداية وإصلاح وتشريع؟[2]

الأستاذ أمين الخولي:

يسلك الاستاذ أمين الخولي في الدعوة إلى تجديد حياة التفسير القرآني نهج الشيخ محمد عبده، وشعاره في حركة التجديد هو: «أول التجديد قتل

١ـ تفسير المنار، الجلد ١، ص ٧ ـ المقدمة ـ.

٢ ـ انظر تفسير الكريم، الاجزاء العشرة الأولى، ص ١٤.

القديم فهماً».

يتطرق الاستاذ الخولي في كتابه «التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم» لدراسة وتحليل الاتجاه العلمي في التفسير ويعرف التفسير العلمي بأنه تفسير يسقط الاصطلاحات العلمية على العبارات القرآنية ويجهد لاستنباط العلوم الآراء الفلسفية المختلفة منه[1].

الاستاذ عباس محمود العقاد:

كتب الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الفلسفة القرآنية» في الرد على سؤال أحد طلاب الدراسات الدينية حول التفسير العلمي وعلى استفسار طالب آخر من كلية الطب حول تفسير الآية: **﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لايُرى إلّا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾**[2]، ومدى احتمال إشارة هذه الآية إلى القنبلة النووية وكونها دليلاً مؤكداً لأسبقية القرآن الكريم في الإشارة علمياً لهذا الموضوع[3]؟

يجيب الاستاذ العقاد بإسهاب على هذا السؤال قائلاً: من الخطأ أن نتلقى كل نظرية علمية كأنها حقيقة دائمة نحملها على معاني القرآن لأن النظريات العلمية لا تثبت على قرار بين جيل وجيل[4].

---

١ ـ الفكر الديني في مواجهة العصر، ص ٤٢٥.
٢ ـ سورة الأحقاف، الآية (٢٤، ٢٥).
٣ ـ الفلسفة القرآنية، ص ١٧٩.
٤ ـ الفلسفة القرآنية، ص ١٨٨.

الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني:

يعتبر كتاب «مناهل العرفان في علوم القرآن» من تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني من أوفى الكتب الحديثة في علوم القرآن وأكثرها دقة على الصعيد العلمي. ففي المبحث السابع عشر الخاص بإعجاز القرآن وما يرتبط به يؤكد المؤلف أن القرآن كتاب هدى واعجاز ولهذا لا يحسن ان نتجاوز حدود الهداية والاعجاز في تفسير آياته حتى وإن تطرقت لقضايا من عالم الخلق لأنها تهدف من ذلك لتحقيق الهداية وارشاد المخلوقات إلى الخالق، فلم يعن القرآن من ذكرها شرح الحقائق العلمية في علوم الهيئة والفلك والطبيعة والكيمياء وغيرها أو حل مسألة رياضية أو معادلة جبرية أو نظرية هندسية أو إضافة موضوع إلى علم الطب أو فصل إلى علم التشريح أو بيان أمور من علم الحيوانات أو النباتات أو عن طبقات الأرض وغيرها[١].

سيد قطب:

يصرح سيد قطب برأيه في التفسير العلمي للقرآن في تفسيره الذي يحمل عنوان «في ظلال القرآن» فيقول عند تطرقه لتفسير الآية: ﴿**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج...**﴾[٢]:

إن الله حدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم، ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر وكيف تتم، وهي داخلة في مدلول السؤال: ما بال الهلال يبدو دقيقاً... إلخ؟، كذلك لم يحدثهم عن وظيفة القمر في المجموعة

---

١ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، المجلد ٢، ص ٢٥١.
٢ ـ سورة البقرة، الآية (١٨٩).

الشمسية أو في توازن حركة الأجرام السماوية، وهي داخلة في مضمون السؤال: لماذا خلق الله الأهلة؟

فما هو الإيحاء الذي ينشئه هذا الاتجاه في الإجابة؟

يقول سيد قطب: إن القرآن كان بصدد إنشاء تصور خاص ونظام خاص ومجتمع خاص، والإجابة العلمية عن هذا السؤال ربما كانت تمنح السائلين علماً نظرياً في الفلك إذا هم استطاعوا بما كان لديهم من معلومات قليلة في ذلك الحين أن يستوعبوا هذا العلم.

وأني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه وأن يحملوا عليه مالم يقصد إليه وأن يستخدموا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه[1].

إضافة إلى من أتينا على ذكر اسمائهم من الشخصيات يعتبر كل من «اسماعيل مظهر» و«د. عائشة عبد الرحمن» وآخرون بحسب رأي «د. عفت محمد الشرقاوي» من رواد الاتجاه المناهض للتفسير العلمي للقرآن[2].

---

١ ـ في ظلال القرآن، المجلد ١، ص ١٨٠.

٢ ـ انظر: الفكر الديني في مواجهة العصر، ص ٤٢٥.

الفصل الثالث

مقومات الاعجاز الطبي في القرآن

يمكننا تدارس موضوع الاعجاز الطبي في القرآن على صعيدين.

١ـ الآيات القرآنية المتضمنة لمعلومات وتعليمات وإرشادات طبية يؤهل الاطلاع عليها وتطبيقها، الإنسان للتمتع بالسعادة والهناء، ويتمثل اعجازها في كونها أشارات لموضوعات ساد الجهل المطبق بشأنها في عهد نزول هذه الآيات.

يقول وحيد الدين خان في كتابه الإسلام يتحدى:

«نزل القرآن في عصر لم يكن الإنسان يعرف فيه عن الطبيعة إلّا القليل النادر وكانوا يرون أن الأمطار نزل من السماء وأن الأرض مستوية، كالفراش، وأن السماء سقف الأرض، وكانوا يرون أن النجوم مسامير لامعة من الفضة مركبة في قبة السماء، أو أنها قناديل معلقة في الفضاء! وكان أهل الهند الأقدمون يؤمنون بأن الأرض محمولة على أحد قرني «البقرة الأم» وهي حين تقوم بنقل الأرض من قرن إلى آخر يحدث زلزال على البسيطة.

وكان العلماء يرون أن الشمس ساكنة بلا حراك، وأن الأرض تدور حولها، إلى أن جاء كويرنيك وعرض فكرته الشهيرة عن حركة الشمس. وهكذا تقدم العلم... فكشف عن أسرار كثيرة والآن نجد جزءاً ما من معلوماتنا عن أجزاء الجسم و... إلّا وقد تغيرت نظرتنا إليه كلية وثبت بطلان عقائد العصر القديم.

ولكن مسألة القرآن الكريم تختلف تمام الاختلاف عن هذه الكلية! فهو حق وصادق في كل ما قال، كما كان في العصور الغابرة. ولم يطرأ على مقاله أي تغير رغم مضي قرون وعصور طويلة. وهذا في نفسه دليل على أن منبعه عقل جبار يحيط بالأزل وبالأبد علماً، وهو يعلم سائر الحقائق في صورها النهائية والحقيقية. ولا يخضع علمه ومعرفته لحواجز الزمان والمكان والأحوال[1].

يرى مؤيدو هذا الاتجاه أن القرآن الكريم زاخر بمثل هذه الإشارات الطبية التي لم يسبقه إليها أحد فكان القرآن الكريم أول مصدر لها مما يدل دلالة واضحة على أن القرآن أوحي به من قبل الله سبحانه وتعالى إلى رسوله الكريم ﷺ. فلو كانت هذه الآيات من عند النبي لدحض العلم فيما بعد بعض هذه المكونات العلمية مما يؤول بالتالي إلى طمس معالم الايمان بالقرآن.

٢ـ تعتبر الآيات القرآنية معجزة ذاتية لأنها تتفاعل تلقائياً في شفاء وعلاج الأمراض. وقد جرت نقاشات كثيرة حول الفاعلية الشفائية للقرآن، تناولت بعضها العلاج القرآني للروح أو الجسم. «قد يسأل سائل

١ـ الاسلام يتحدىٰ، ص ١٤٠.

عن أبعاد المعالجة بالقرآن، فيقول: هل كون القرآن شفاء على حقيقته؟ أم أن ذلك واقع على طريق المجاز؟ وهل يعالج أمراض القلوب والأرواح فحسب؟ أم يمتد العلاج به إلى أمراض الأبدان؟ وإذا كان العلاج ممتداً به إلى أمراض الأبدان فما وجه المعالجة به؟ وكيف يكون علاجاً؟

والجواب: أن القرآن علاج باعتبارات متعددة:

إن إدراك حقيقة الروح وحقيقة الأمراض التي تمرضها وتميتها والأدوية التي تصلحها وتجلب لها العافية ليس في طاقة البشر أن يعرفوه ويعلموه، فعلمهم في هذا المجال أقل من القليل، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم إلّا قليلاً﴾[1].

إن البشر لا يعلمون حقيقة الروح، فكيف يعرفون طريقة معالجتها؟ إن الذي أنزل القرآن شفاء لأرواحنا هو خالق هذه الأرواح ومبدعها، وهو العالم بما يصلحها ويفسدها. النصوص المقررة لكون القرآن شفاء عامة في أمراض القلوب والأبدان، قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء...﴾، والصحيح أن «مِن» هنا لبيان الجنس لا التبعيض، فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة»[2].

١ـ سورة الإسراء، الآية (٨٥).
٢ـ دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، المجلد ١، ص ١٠.

العلاج القرآني من وجهة النظر المختلفة

العلاج القراني من وجهة نظر المفسرين:

يذهب المفسرون عند استبانة معنى الآية (٨٢) من سورة الإسراء إلى أن «من»[١] في عبارة «من القرآن» هي بيانية ذكرت بهدف البيان لا التبعيض[٢]، أي أن الشفاء فيه على وجه الاطلاق فكل القرآن شفاء من الأمراض الشكلية والمعنوية والقلبية والجسمية[٣]. وبهذا يفسر المفسرون لفظة «شفاء» في هذه الآية بأن المقصود منها «شفاء الروح والجسم».

العلاج والصحة من وجهة النظر العلمية:

لا يمكن حتى من وجهة النظر العلمية أيضاً أن نفصل العلاج الروحي

١ ـ للفظة (من) معان كثيرة، منها:
أ ـ التبعيض: أي أن ما قبلها جزء مما بعدها غالباً وعلامتها أن يصح وضع كلمة (بعض) مكانها.
ب ـ بيان الجنس: أي أن ما قبلها جنس ما بعدها أو بالعكس وعلامتها صحة وضع (هو، هي) مكانها بحث يصبح ما بعدها جنس لما قبلها. (الشامل معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها، لمحمد سعيد اسبر وبلال جنيدي).

٢ ـ انظر: تفسير منهج الصادقين، ج ٥، ص ٣٠٧، وتفسير الاثني عشر، ج ٧، ص ٤٣٠، وتفسير الميزان، المجلد ١٣، ص ٢٥٢.

٣ ـ انظر: تفسير منهج الصادقين، ج ٥، ص ٣٠٧ وتفسير الاثني عشر، ج ٧، ص ٤٣٠ وتفسير المواهب العلية، المجلد ٢، ص ٤٤٣.

والنفسي عن العلاج الجسمي البيولوجي بشكل حدي، لأنهما أمران ممتزجان لا يمكن فرزهما عن بعض.

إنها حقيقة بديهية مسلم بها في علم الطب، أذعن لها جميع العلماء من الأطباء حيث أثبتت التجارب والممارسات الطبية أن بعض المرضى المصابين بأمراض جسمية وعضوية في ظاهر أمرها لا يتم الكشف عن أي عامل حسي بيولوجي لإصاباتهم بل يتعين تحري سببها وعاملها في أعماق نفس المريض فحسب، كما في الأمراض النفسية الجسمية[١].

تعرف المنظمة العالمية للصحة في الفقرة (٢) من نظامها الداخلي المقرر في عام ١٩٤٨، الصحة بأنها: حالة التمتع بالرفاه الجسمي والنفسي والاجتماعي التام وليس مجرد غياب المرض أو الخلو من حالات العجز.

يرى الأطباء المسلمون[٢] أن هنالك ثغرة كبرى تتخلل بناء هذا التعريف وهي إهماله للحياة بعد الممات وأثرها الهام، فالايمان بالمعاد يمكنه أن يهدي الصحة للإنسان، وأنه ينبغي اضفاء الطابع العقائدي إلى هذا التعريف أيضاً. ومع ذلك فإن هذا التعريف يؤكد بحد ذاته على أهمية الصحة النفسية ولا تتبنىٰ انعدام العاهات وحالات العجز الجسمي باعتباره من مؤشرات توفر الصحة والسلامة التامة.

كل هذا يحملنا منطقياً للإذعان بأن لفظة «شفاء» في الآية الشريفة تدل على معنى الإطلاق.

---

١ ـ Psychosomatic: أمراض تكون ذات طبيعة جسدية ونفسية في آن واحد.
٢ ـ انظر كتاب «صحة التغدية إبان الصيام» وكذلك «أنيس المرضى»، الفصل الأول.

مظاهر الاعجاز الطبي في القرآن بمفهومه العلاجي:

١ ـ يحتوي القرآن نفسه على آيات تعرفه باعتباره شفاء للناس، ومنها:

ـ **﴿ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خسارا﴾**[١].

ـ **﴿وقد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾**[٢].

كما تشير بعض الروايات الإسلامية أيضاً إلى الطابع العلاجي للقرآن، ومنها:

«فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لاوائكم فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال»[٣].

وعن الامام الكاظم أنه قال:

«في القرآن شفاء من كل داء»[٤].

والأهم من كل هذا أن العلاج القرآني لا يأتي على نفس الانسان أو جسمه بأية أعراض جانبية سلبية كما تفعل سائر الادوية والأساليب العلاجية الأخرىٰ. فالأمر هو بالضبط كما وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله: **«شفاء لا تخشى أسقامه»**[٥].

وقال الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام: **«ليس من دواء إلّا ويهيج»**[٦].

---

١ ـ سورة الاسراء، الآية (٨٢).

٢ ـ سورة يونس، الآية (٥٧).

٣ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٤ ـ مكارم الأخلاق، ص ٣٦٣.

٥ ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨.

٦ ـ بحار الأنوار، الجلد ٥٩، ص ٦٨.

٢ـ فاعلية العلاج القرآني في المجتمع الاسلامي على مر التاريخ: كان ومازال تأثير العلاج القرآني في المجتمع الاسلامي جلياً ومكشوفاً على مر التاريخ. وأفضل طريقة لاثبات صدق ذلك هو اجراء مقارنة لوضع العرب في عهد الجاهلية مع المترعرعين في ظل تعاليم ونهج القرآن والرسول ﷺ في طليعة عهد البعثة النبوية، فلم يكتف القرآن بعلاج أفكارهم وانقاذهم من أدران الجهل وإراقة الدماء ومختلف مظاهر الفساد الأخلاقي بل منحهم السيادة بفضل قدرته فتسلموا زمام الأمور في رقعة شاسعة من العالم وبلغوا مراتب مرموقة في مجال العلم والحضارة حتى صاروا أنموذجاً وقدوة يحتذىٰ بها عالمياً.

٣ـ فاعلية العلاج القرآني على صعيد العلوم الطبية: في مجال فاعليه العلاج القرآني من وجهة نظر العلوم الطبية عنى بعض الباحثين في هذه العلوم كما في علم النفس أو علم الاجتماع و... بمضامين القرآن وموضوعاته، فتدارسوا أثرها في الإنسان على مختلف الأصعدة مما أثمرت اثبات فاعلية العلاج القرآني من وجهة نظر العلوم التجريبية والتوصل بشكل عام إلى نتائج مدهشة أذهلت العقول في هذا السياق.

نشاطات تحقيقية واعلامية حول الاعجاز الطبي للقرآن بمفهومه العلاجي:

١ـ اعداد رسالة جامعية تحمل عنوان «دراسة دور صدى القرآن في الحد من آلام الولادة[1].

٢ـ اعداد رسالة جامعية تحمل عنوان «دور اللحن القرآني في الحد من

١ـ جامعة طهران للعلوم الطبية، ٢٠٠١م.

اضطراب المصابين بالجلطة القلبية[1].

٣ـ نشر مقال تحت عنوان «تقرير مصور حول اناس نالوا الشفاء» في مجلة «حكيم» التحقيقية في دورتها الثانية (العدد ٣) تضمن تقريراً عن شفاء مرضىٰ مصابين بأمراض صعبة العلاج أو غير قابلة للعلاج بطرق غير مألوفة طبياً (التضرع والتوكل و...)[2].

٤ـ نشر مقال «دور صدى القرآن الكريم في الحد من الاضطراب قبل وبعد الاجراءات التشخيصية والعلاجية»[3] في مجلة «الطب والتزكية»، بيّن فيه الكاتب ما توصل إليه الباحثون في هذا المجال بالاستناد إلى الآية: ﴿الا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ في سياق مشروع عملي تم التخطيط له وتطبيقه لتدارس دور الموسيقى القرآنية واللحن الناشئ عن تلاوة القرآن في التخفيف من حدة الاضطراب قبل وبعد الاجراءات التشخيصية (الفحوصات) والعلاجية.

٥ـ صدور كتاب «دور القرآن الكريم في شفاء الجسم السقيم»[4] والذي يبحث بشكل واف في مجريات أبحاث الكاتب التجريبية حول مدى فاعلية صدى القرآن الكريم في الحد من آلام المرضى بعد اجراء جراحات البطن. إلى جانب عشرات الأبحاث التي قام بها الأطباء والباحثين حول دور قراءة القرآن في الحد من الصدمات والانفعالات النفسية ومن

١ـ منصوره تجويدي، جامعة اعداد المدرسين، ٢٠٠٠ م.
٢ـ د. أشرف السادات صانعي ود. عليرضا نيكبخت نصر آبادي ود. سعيد باوي.
٣ـ د. عليرضا نيكبخت نصر آبادي، مجلة (دانشور).
٤ـ د. عليرضا نيكبخت نصر آبادي، مجلة (دانشور).

الاضطراب والاكتئاب[1].

مفهوم الاعجاز الطبي في بحث هذا الكتاب:

بعد هذا الشرح الوجيز عن مقومتي الاعجاز الطبي للقرآن الكريم، تجدر الاشارة إلى أننا أخذنا بالحساب في هذا الكتاب الاتجاه الأول القائم على تفسير بعض الآيات بالاستناد إلى العلوم الطبية، مثل الآيات ﴿كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة﴾[2] حيث ينتهج أصحاب هذا الاتجاه أسلوب التفسير العلمي في توضيح معنى هذه الآيات بالقول: «السفع» يعني القبض على الشيء وجذبه بشدة، و«الناصية» هي مقدمة الرأس، وهو ما ذكره الفدّاء[3] ويستوحىٰ من كلام ابن فارس[4] ومن شواهد العربية أيضاً. ان هذه اللفظة تدل بأصلها على ما يعلو من الشيء وأن الشيء الذي ينعت بالكذب والخطيئة في اللغة العربية هو الإنسان بجملة أو كلامه أو كتاباته أو فعله. فهل يا ترىٰ يجوز أن ننسب هذه السجايا إلى أجزاء الجسم كالناصية، مثلاً، سواء بشكل حقيقي أو مجازي؟

لجأ الكثير من المفسرين في تفسير هذه الآيات إلى الأسلوب المجازي فأكدوا أن صفة الكذب والخطيئة لم تنسب إلى الناصية نفسها بل إلى صاحبها كما في «نهار صائم» أي «صائم صاحبه». وقد ذكر العلماء أمثلة كثيرة من مثل هذه الصياغات يطلق فيها اسم الجزء للدلالة على الكل،

---

١ ـ من مجموعة مقالات ملتقى «دور الدين في الصحة النفسية».
٢ ـ سورة العلق، الآيتان (١٥ و١٦).
٣ ـ معاني القرآن، المجلد ٣، ص ٢٧٩.
٤ ـ معجم مقاييس اللغة، المجلد ٥، ص ٤٣٣.

كقوله تعالىٰ: ﴿فتحرير رقبة﴾، فلفظة رقبة تعبر هنا عن الإنسان. وبهـذا نستهدي إلى أن المقصود من «ناصية» في الآية الآنفة هو الانسان ذاته.

إن الاشكالية في هذا النمط من التفسر تكمن في استناد مبدأ التفسير إلى حمل العبارة على الحقيقة فالحمل على المجاز لا يجوز إلّا عند الضرورة حين يكون الحمل على الحقيقة ممتنعاً أو متعذراً كما هو معروف في أصول الفقة.

إلّا أن الواقع العلمي الذي يرتبط بهذه الآية هو أن الأطباء العصريين توصلوا أخيراً إلى أن الفص القدامي من الدماغ هو مركز تبلور الأفكار، السوية منها والسقيمة أو الكاذبة، وأن اللسان واليد والرجل إنما هي أداة تحفزها ايعازات هذا الفص الدماغي. فالناصية إذاً أولىٰ من اللسان أن توصف بأنها «كاذبة» وهكذا بالنسبة للوقوع في الخطيئة[1].

إن هذا التفسير هو أنموذج من التفاسير المذكورة القائمة على الاعجاز الطبي القرآني وهي بحد ذاتها تخضع للدراسة والتقصي ولا تخلو من إشكاليات.

١ ـ انظر: الطب في القرآن، ص(١٠ ـ ١١).

مؤلفات في الاعجاز الطبي للقرآن بهذا المفهوم:

تتوفر لدينا مؤلفات كثيرة تناولت موضوعات طبية مختلفة في حقول متنوعة، منها: علم الجنين، علم التشريح، الطب النفسي، الطب الوقائي، الطب العلاجي و... وأكثريتها الساحقة تؤيد احتواء القرآن على مثل هذه العلوم مما يؤكد اعجازه الطبي. وأغلب من اطلق العنان لقلمه في هذا المجال بادئاً هم العلماء والكتاب العرب ثم تبعهم في انتهاج هذا الاتجاه بجد تام، كما يقول الدكتور أحمد محمود صبحي، العلماء الايرانيون[١].

ومن هذه المؤلفات:

ـ كتب التفاسير ذات الاتجاه العلمي، حيث تأتي على بيان مباحث الاعجاز الطبي للقرآن في بعض الآيات كما في تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري وتفاسير أخرى.

ـ مع الطب في القرآن الكريم (د. عبد الحميد دياب ود. أحمد قرقوز).

ـ القرآن والطب (د. أحمد محمود سليمان).

ـ الاعجاز الطبي في القرآن (د. السيد الجميلي).

---

١ ـ انظر هاؤوم اقرؤوا كتابيه، ص ٤٩.

ـرحلة الإيمان في جسم الإنسان (د. حامد أحمد حامد).

ـالقرآن والانجيل والتوراة (د. موريس بوكاي).

ـالطب محراب الايمان (د. خالص كنجو).

ـالاسلام والطب الحديث (عبد العزيز پاشا اسماعيل).

ـالوجيز في علم الأجنة القرآني، وخلق الانسان بين الطب والقرآن، ودورة الأرحام (د. محمد علي البار).

ـليس الذكر كالأنثىٰ في منظور الاسلام والعلوم الحديثة (محمد عثمان الخشت).

ـمطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة (ناطق محمد جواد النعيمي).

ـعلم الأجنة في ضوء القرآن والسنة (الشيخ عبد المجيد الزنداني وزملاؤه).

ـالطب الوقائي في الاسلام (د. أحمد شوقي الفنجري).

ـالطب الوقائي الإسلامي (د. عمر محمد عبدالله).

-The developing Human .Dr.K. L. Moore.

ـالقرآن وعلم النفس (د. محمد عثمان نجاتي).

ـالتداوي بالقرآن (محمد ابراهيم سليم).

ـالعسل في القرآن والطب (د. محمد على البنبي).

ـالقرآن والاعجاز في خلق الانسان (د. الطاهر توفيق).

ـاعجاز القرآن في حواس الإنسان بين الحقائق القرآنية والمعارف الطبية (د. محمد كمال عبد العزيز) ومجلات الاعجاز العلمي الصادرة في الرياض وكتب أخرى لا يتسع المجال لذكرها جميعاً في هذا المبحث الوجيز.

ومن مؤلفات الباحثين الايرانيين في هذا المضمار:

ـ تفاسير ذات اتجاه علمي أشير إليها في موضوع التفسير العلمي.

ـ خلق الانسان في بيان القرآن (د. يدالله سحابي).

ـ أول جامعة علمية وآخر نبي مرسل (د. رضا باكنجاد).

ـ الاعجاز القرآني من وجهة نظر العلوم الحديثة (د. يدالله نيازمند الشيرازي).

ـ ماضي العالم ومستقبله (بي آزار الشيرازي).

ـ نداء القرآن (ناصر مكارم الشيرازي).

ـ التمهيد في علوم القرآن، المجلد ٦، (محمد هادي معرفت).

ـ معارف القرآن (مصباح يزدي).

ـ من عجائب الموضوعات القرآنية (جودرز نجفي).

ـ التنبؤات العلمية في القرآن (مصطفى زماني).

ـ القرآن وعلم الطب (د. عباس ملائك).

ـ اشعاعة العلم الحديث في القرآن (ك. م. حقيقي).

ـ القرآن والعلوم الحديثة (جواد افتخاريان).

ـ الإنسان والعلوم الإسلامية من وجهة نظر الاسلام (حسين تاج آبادي).

ـ دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن (د. رضائي إصفهاني) ويمثل أكثر المؤلفات شمولية في هذا السياق.

و...

الباب الثالث

«نظرة تحليلية نقدية لنظرية الاعجاز الطبي»

نوهنا قبل هذا إلى أن ثلة كبيرة من المحققين والباحثين يرون أن الناس لم يكونوا مطلعين على مثل هذه العلوم عند نزول القرآن الكريم فكل من تبنىٰ هذا الاتجاه وبحث بقلمه في ثناياه يتحرى كـنه مـضامينه ذهب إلى القول بأن أي موضوع ذي صلة بجسم الإنسان تشير إليه الآيات القرآنية إنما هو «اعجاز طبي». قد تحتوي مثل هذه الآيات على مواضيع علمية لا ترتبط بالطب ارتباطاً مباشراً بل استطرادياً، مثل: الصـحة، فـيزيولوجية جسم الإنسان، علم الوراثة، علم الأجنة، علم الانسجة، التـشريح، عـلم التشكل[1] و... والتي تشكل العلوم الأولية وأسس علم الطب الحـديث. وبهذا يتبلور لدى القارئ سؤالاً عن علاقة هذه الآيات بالطب.

سنحاول في هذا المجال من البـحث، والخـاص بـنقد وتحـليل نـظرية الاعجاز الطبي من خلال دراسة ادعاء دلالة بعض الآيات الشريفة على

١- morphology: فرع من علم الاحياء يبحث في شكل الحيوانات والنباتات وبنيتها (قاموس المورد).

الاعجاز الطبي، بمنأى عن الافراط والتفريط دون تفعيل آرائنا الخاصة في هذا المجال بل بيان رأي ونظرية سائر المحققين والباحثين في ضم هذه الآيات إلى قائمة الآيات الطبية بينما يلاحظ بينها آيات يكون موضوعها المشار إليه من قبلهم أكثر انسجاماً وقرباً إلى الاعجاز العلمي من الاعجاز الطبي إلّا أنهم وكما ذكرنا يحسبونها اعجازاً طبياً لارتباط موضوعها بجزء من جسم الانسان مثلاً. ويكون من الأنسب الإفادة من عبارة «الاعجاز العلمي» ذات المفهوم الأكثر شمولية من «الاعجاز الطبي» عند دراسة الآية المنظورة. وبالنظر لترابط هذين المفهومين باعتبارهما مفهومين أحدهما عام والآخر خاص، وللارتباط الوشيج بين هاتين النظريتين تستخدم عبارة الاعجاز العلمي أيضاً في بعض الحالات بدلاً من الاعجاز الطبي.

الفصل الأول

«إشارات قرآنية حول فيزيولوجية جسم الإنسان»

نتناول في هذا الفصل بالنقد والتحليل الاتجاه المبني على اعتبار اشارة بعض الآيات القرآنية لقضايا فيزيولوجية تتعلق بجسم الإنسان من نماذج الاعجاز الطبي.

القرآن الكريم وسر بصمات الأصابع:

قال تعالىٰ: ﴿أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه، بلى قادرين علىٰ أن نسوي بنانه﴾[1].

بعد تنكر الكفار لحقيقة النشور وتكون العظام ثانية بعد تنخرها وتحولها إلى (رميم) بالقول: ﴿أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون﴾، رد عليهم الله سبحانه وتعالىٰ يعلن أن عظمته لا تنحصر في قدرته على أن يجمع عظامهم المتآكلة بل أنه قادر حتى على إعادة تسوية بنانهم أيضاً إلى

---

١ ـ سورة القيامة، الآيتان (٣ و ٤).

ما كانت عليه.

ومما يلفت انتباه العلماء ويثير استفسارهم، هو: لماذا يؤكد الله على البنان؟ فهل في خلقها من التعقيد ما يتجاوز مستواه في العظام؟

يفسر العلامة الطباطبائي كلمة «بنان» بأنها تعني الأصابع وتأتي كذلك بمعنى نهايات الأصابع[1]، بينما حدد آخرون معناها بأنه بصمات نهايات الأصابع[2].

ملاحظات علمية حول «البنان»:

لنا أن نعتمد التفسير الأخير للفظة البنان لتوافقه مع ما بينته الاكتشافات العلمية الحديثة حول قضية البنان ومعجزة البصمة. جاء في كتاب «مع الطب في القرآن»:

لقد توصل العلم إلى سر البصمة في القرن التاسع عشر، وبيّن أن البصمة تتكون من خطوط بارزة في بشرة الجلد تجاورها منخفضات، وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية، تتمادىٰ هذه الخطوط وتتلوىٰ، وتتفرع عنها تغضنات وفروع، لتأخذ في النهاية وفي كل شخص شكلاً مميزاً، وقد ثبت أنه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل في شخصين في العالم حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها من بويضة واحدة. يتم تكون البنان في الجنين في الشهر الرابع، وتظل ثابتة ومميزة له طوال حياته، ويمكن أن تتقارب بصمتان في الشكل تقارباً، ولكنهما لا تتطابقان البتة، ولذلك فإن

---

١ ـ انظر تفسير الميزان، ذيل الآية، المجلد ٢٠، ص ١٦٤.

٢ ـ انظر تفسير «الأمثل»، ذيل الآية، وتفسير «في ظلال القرآن»، المجلد ٦، ص ٣٧٦٨.

البصمة تعد دليلاً قاطعاً ومميزاً لشخصية الإنسان معمولاً به في كل بلاد العالم، ويعتمد عليه القائمون على تحقيق القضايا الجنائية لكشف المجرمين واللصوص[١].

أما عن نشأة الجلد فقد جاء في كتاب «علم الجنين الطبي» لانجلمان:

يغطي الجنين بادئاً طبقة منفردة من الخلايا الاكتودرمية. ومع بداية الشهر الثاني (من الطور الجنيني) ينقسم هذا النسيج الظهاري[٢]، فتظهر على سطحه طبقة من الخلايا المسطحة المسماة «الأدمة»[٣] ثم تتكون منطقة بينية ثالثة إثر الانقسامات المتتالية لخلايا الطبقة السفلية وتتخذ حالتها النهائية في نهاية الشهر الرابع. أما الرسم النهائي للخطوط البشروية البارزة التي تحدد الهيئة الظاهرية لنهايات الأصابع وباطن الكفين وباطن القدمين، فإنه أمر تتعهد به الوراثة. وتمثل هذه الأمور أساس الكثير من الأبحاث في حقل الطب الوراثي والدراسات الجنائية في مجال رسم بصمة الأصابع.

وتعتمد الهيئة البشروية في باطن الكفين والأصابع أحياناً باعتبارها علامة فارقة للأطفال المصابين باضطرابات في الصبغات الوراثية[٤].

«البنان» من وجهة نظر المفسرين:

يرى بعض المفسرين أن من العجائب المدهشة في هذه الآية والدالة

١ـ مع الطب في القرآن، ص ٢٣.

٢ـ epithelium: نسيج يغطي سطح الجلد وأعضاءه (البشرة).

3_ Periderm.

٤ـ علم الجنين الطبي لأنجلمان، ص ٣٥٥.

على اعجازها العلمي ان العلم قد توصل بعد قرون من نزولها إلى إمكانية الاستفادة من رسم الاصابع للاستهداء إلى صاحبها حيث يتفق رأي جميع العلماء في عدم تماثل حتى بصمتين من بين بصمات ملايين الناس مما دعا إلى اتخاذها أخيراً وسيلة لتحديد الهوية. وبصم الأصابع عملية يستهدىٰ بها إلى الأشخاص بواسطة خطوط نهايات الأصابع[1].

ويؤيد صاحب تفسير الميزان أيضاً هذه القضية إجمالاً فيقول: وتخصيص البنان بالذكر ـ لعله ـ للإشارة إلى عجيب خلقها بما لها من الصور وخصوصيات التركيب والعدد تترتب عليها فوائد جمة لا تكاد تحصىٰ من أنواع القبض والبسط والأخذ والرد وسائر الحركات اللطيفة والأعمال الدقيقة والصنائع الظريفة التي يمتاز بها الإنسان من سائر الحيوان مضافاً إلى ما عليها من الهيئات والخطوط التي لا يزال ينكشف للانسان منها سر بعد سر[2].

وينوه الدكتور دياب والدكتور قرقوز في موضوع «معجزة البصمة» بأنه «قد يكون هذا هو السر الذي خصص الله تبارك وتعالىٰ من أجله البنان! إنه يريد أن يبين للإنسان ولو بعد قرون من نزول هذه الآية أن الله قادر على أن يعيد بناء ما يميزه عن باقي بني البشر الذين مروا علىٰ هذه الحياة، وفي هذا بيان كاف لأن يؤمن الإنسان بأن البعث حق، كما أن الموت حق[3].

---

١ ـ انظر حجة التفاسير، المجلد ٧، ص ١٣٥ وتفسير الأمثل، سورة القيامة.

٢ ـ تفسير الميزان، المجلد ٢٠، ص ١٦٤.

٣ ـ مع الطب في القرآن، ص ٢٤.

ويذهب الكثيرون في عهدنا الحالي إلى أن البنان هي بصمة الأنامل[١] مؤكدين على الجانب الاعجازي العلمي في هذه الآية لشمولها على علوم لم تكن مكشوفة في عهد نزول القرآن.

وفي الترجمة الانجليزية لهذه الآية تترجم كلمة «بنانه» إلى لفظة (His very Fingertips)[٢]، والبنان هي بصمات الأصابع وعلى هذا نقول إلّا تعتبر إشارة القرآن الكريم إلى هذا الموضوع لاثني عشر قرناً ونصف القرن قبل اكتشافه علمياً دليلاً حاسماً على اعجاز هذا الكتاب السماوي؟

إختارت ثلة كبيرة من العلماء الغربيين ببصيرة ووعي تام الإسلام ديناً لهم عند الالتفات إلى هذه العجائب القرآنية «فالآية المنظورة التي تبين اختلاف بصمات الأصابع كانت مدعاة التحاق أحد العلماء الألمان بالدين الإسلامي. أنه رد على من سأله: «لم اعتنقت الإسلام» قائلاً: وكيف يكون ذلك؟ لقد توصلنا خلال الخمسين عاماً الأخيرة إلى حقائق حول دقائق تشريح الإنسان تلقاها شخص ما قبل أربعة عشر قرناً إلّا إذا كان ذلك كلام الله»[٣].

ويقول عالم الرياضيات الالماني الشهير «غوته»:

كنا نصدف عن القرآن بادئاً، ولكن لم تمض مدة طويلة حتى استقطب هذا الكتاب انتباهنا وأبهر عقولنا حيث احنينا رؤوسنا إجلالاً إزاء أسسه وقوانينه العلمية العظيمة[٤].

١ـ القرآن يتجلى في عصر العلم، ص ١٩٧.

2_ Holy Quran (Tran Stated by M.H. Shakir) (The Resurrection 4_3).

٣ـ «مطالب شگفت انگيز قرآن» (من عجائب الموضوعات القرآنية)، ص ١٠٨.

٤ـ التعليم ومعارف القرآن، ص ٦٤.

تحليل:

لتحليل الاعجاز الطبي في الآية المنظورة لابد أن نـقول: بـإمكاننا أن ندعن للاعجاز الطبي في مثل هذه الآيات فيما لو كان الناس في ذلك العصر يجهلون حقيقة الموضوع العلمي المعروض في الآية الشريفة.

مع أن بصمات أصابع الإنسان اعتبرت منذ الأزمنة الغابرة من عجائب الخلق وأن الإنسان تنبه لاختلاف رسم بصمات الأصابع منذ آلاف السنين ومع هذا لا يجوز لنا أن ندعي أن الانسان كان قد كشف عـلمياً في ذلك العهد الدقائق في خلق (البنان) بل كان يتوجب انقضاء (١٣) قرناً ليتوصل العلم الانساني إلى مثل هذا الموضوع وتتوفر لكشفه متطلبات ومقدمات ضرورية كان انسان ذلك العصر بعيداً عنها. والمثير للاهتمام هو أن القرآن ذاته لم يكشف عن مثل هذه الحقائق العلمية حول (البنان) بوضوح بـل استخدم أسلوب الإيماء إليها. إلّا أن قوله تعالىٰ: ﴿بلىٰ قادرين على ان نسوي بنانه﴾ هو إشارة مؤكدة لشمول «البنان» على حالة وخـصائص شكـلية ظاهرية وخلقية خاصة تجعل إشارة هذه الآية إليها دليلاً على الاعـجاز العلمي لهذا الكتاب العظيم.

غزو الفضاء (الصعود إلى السماء)

قال تعالىٰ: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء. كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾[1].

يذهب البعض إلى شمول هذه الآية على جوانب عدة من الاعجاز، فهي معجزة بيانية بما تحتويه من أسلوب بلاغي دقيق ومعجزة علمية لإشارتها إلى حقائق علمية ثابتة ورصينة تتضمن هذه الآية برأيهم قسمين:

القسم الأول: إشارتها إلى معتنقي الإسلام المهتدين بهداه ممن يتسع صدرهم للحق ولتطبيق التزاماته والوثوق به لأنهم تركوا الأهداف الشخصية والتقليد الأعمى واتباع الشهوات وراء ظهورهم فصاروا كلما اهتدوا إلى الحق لا يثنيهم عنه شيء أبداً.

والقسم الثاني: إشارتها إلى من يفتقد سعة الصدر، فلجهلهم ولتعارض منافعهم الشخصية مع الحق أولتزمتهم للعادات والتقاليد العشوائية يشملهم منظور الآية الكريمة: ﴿كأنما يصعد في السماء﴾. وقد قال تعالىٰ في آية أخرىٰ

---

١ ـ سورة الانعام، الآية (١٢٥).

﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[1]. وأوضح تعالى مفهوم سعة الصدر في سورة الزمر بقوله: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.

إذاً، القاسية قلوبهم هم من ضيق الله صدورهم وجعلها، كما وصفها، عز وجل، في حرج وكأنها صدور من يرتقي إلى السماء[2].

الجانب التفسيري:

١ ـ الوجه المجازي لصعود الانسان إلى السماء (غزو الفضاء): لما نزلت الآية واستمع إليها الناس آنذاك حسبوا إشارتها إلى صعود الإنسان إلى السماء نوعاً من الخيال أي أن المراد به صعود مجازي لا حقيقي. فالشيخ الطوسي يفسر الآية في تفسيره بأن فعل يصعد المشتق من «صعود» يعني النفور والتهرب من دين الإسلام حيث يشعر الشخص بأن ثقل وقعه على صدره أمر لا يطاق بالضبط كما يتعذر على الإنسان أن يصعد إلى السماء[3]. وبمثل هذا المعنى فسرت الآية الشريفة في تفسير جوامع الجوامع[4]. كما يعرب صاحب تفسير الأمثل عن رأيه في أن الارتقاء إلى السماء كان بالنسبة للإنسان في ذلك العهد ضرباً من الخيال، لا غير[5].

٢ ـ وجه التشبيه بمن يرتقي السماء: يشير ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره «الأمثل» إلى أن هذه الآية تعتبر أنموذجاً من الاعجاز العلمي

---

١ ـ سورة الحج، الآية (٤٦).
٢ ـ انظر نفحات من الاعجاز الطبي في القرآن الكريم، ص ٢٨.
٣ ـ انظر التبيان، المجلد ٤، ص ٢٦٣.
٤ ـ جوامع الجوامع، المجلد ١، ص ٤٠٨.
٥ ـ تفسير الأمثل، ذيل الآية.

للقرآن فتشبيه هؤلاء الأشخاص بمن يرتقي السماء جاء من باب الصعوبة الخارقة في عملية ارتقاء السماء، فتقبل الحق بالنسبة لهم كان بمثل هذه الصعوبة. إننا وفي سياق كلامنا اليومي نقول: إن هذا الإجراء يصعب على فلان وكأنه يريد أن يرتقي إلى السماء أو نقول: صعودك إلى السماء أسهل من قيامك بهذا العمل.

الجانب العلمي الملحوظ في الآية الشريفة:

تؤكد الثوابت العلمية الحديثة حول ارتقاء السماء واختراق الفضاء الأمور التالية:

إن الارتفاع في الجو إلى مسافات بعيدة دون التزود بأجهزة خاصة يسبب ضيقاً في التنفس ويؤدي بالتالي إلى الاختناق. ويزداد شعور الإنسان بهذه الحالة كلما ازداد ارتفاعه حيث يبلغ انخفاض نسبة الاوكسجين والضغط الجوي درجة حرجة. ثم تنعدم تماماً عند ارتفاع (٦٧ ـ ٧٠) ميلاً عن سطح الأرض فيفقد وعيه ويتعرض للموت عند بلوغ هذا الارتفاع. فانخفاض الضغط الجوي يؤدي إلى انعدام فاعلية جاذبية الأرض، وبالتالي إلى تدني معدل انتقال الهواء من الاسناخ الرئوية إلى الدم نتيجة انخفاض ضغط الدم وتمدد غازات المعدة والأمعاء وتسببها في دفع الحجاب الحاجز إلى الأعلى مولدة ضغطاً على الرئتين يحول دون انبساطهما.

ويزداد هذا الضغط كلما ازداد الارتفاع حتى تبدأ مرحلة النزف من الأنف والفم ويقترب الإنسان تدريجياً من الموت. وقد أثبتت التجارت أن

بعض الحيوانات التي يتم اصطحابها في الرحلات الفضائية تهلك ويتعرض بعضها الآخر إلى فقدان ضغط الدم[1].

بذلت حتى اليوم جهود وفيرة بهدف الاستهداء إلى طريقة يتثبت بها الانسان في داخل الأقمار الصناعية. وينجح في السيطرة على نفسه سواء بصنع ألبسة خاصة أو أدوات معقدة التركيب في محاولة للبقاء مدة من الزمن في الفضاء دون التعرض لأذىً. وقد قطع شوطاً إلى الأمام وبقي أمامه شوطاً كبيراً في هذا السياق. حيث لم يوفق حتى الآن إلى طريقة يحفظ بها توازنه وتقيه من أن يعوم داخل الأقمار الصناعية.

ومن آلية تأثير انخفاض الضغط الجوي في فيزيولوجية جسم الإنسان تشير الدراسات الطبية الحديثة إلى أمور منها:

مع زيادة الارتفاع في الفضاء تثبت تركيبة الهواء رغم انخفاض الضغط الجوي العام مما يؤدي إلى انخفاض نسبة الاوكسجين أيضاً. ففي أرتفاع (٣٠٠٠) متر عن سطح البحر يصل ضغط الاوكسجين في الأسناخ الرئوية إلى ما يناهز (٦٠) مليمتر زئبق، وتبلغ استثارة المستقبلات الكيمائية جراء نقص التأكسج (الأكسجة)[2] حداً كافياً لاستزادة تبادل الهواء. وبزيادة الارتفاع عن ذلك المستوى تتدنىٰ سرعة هبوط ضغط الاوكسجين السنخي وينخفض ضغط ثاني اوكسيد الكاربون السنخي كذلك نتيجة فرط التنفس (Hyper ventilation) الحاصل إلى حد ما، ويؤدي هبوط

---

١ ـ انظر: نفحات في الاعجاز الطبي في القرآن الكريم، ص(٢٨ ـ ٣٠) ومع الطب في القرآن، ص(٢١ ـ ٢٢)، والطب في القرآن، ص ٤٢، والأسس الأساسية في معرفة القرآن، ص ١٣١ وكتاب مطبوع باللغة الفارسية و«من عجائب الموضوعات القرآنية»، ص ٧٠.

2_ Hypoxia.

ضغط ثاني اوكسيد الكاربون في الدم الشرياني إلى تقولن التنفس[1].

الاستنتاج: لعدم تطور العلم إلى ما بلغه اليوم من شأو لم يكن أمام المفسرين القدامى من سبيل لتفسير الصعود إلّا أخذه بمعناه المجازي واعتباره ضرباً من الخيال خلافاً لما نحن عليه حالياً فقد اجتمع رأي بعض المفسرين في أن المقصود من العبارة «كأنما يصعد في السماء» هو تشبيه علمي[2]، والسبب يعود أولاً لتوفر أمكانية الارتقاء إلى السماء جراء التطور العلمي وثانياً لثبوت صحة تراجع حجم الهواء وكثافته عند ازدياد الارتفاع. فلشحة الاوكسجين يشعر الإنسان بالاختناق وضيق التنفس. على هذا نجد أن التفسير العلمي أمكن المفسرين المعاصرين من تفسير الآية الشريفة تفسيراً دقيقاً.

وفيما يخص هذه الآية يرى الدكتور «بوكاي» أن القرآن يتطرق لموضوعات حول الظواهر الجوية لا تتضمن أي تضارب مع العلوم الحديثة عند عرضها عليها[3].

تحليل:

تشير الآية المباركة إلى ظاهرتين علميتين مهمتين إحداهما انخفاض نسبة الاوكسجين والضغط الجوي في المرتفعات، والأخرىٰ: الاختلالات وأثرها في الجسم الإنسان.

وما يهمنا من الأمر هو: إلى أي مدى كان الناس في ذلك العهد

١ـ الفيزلوجية الطبية لغانوج، ص ١٣١٧.

٢ـ انظر: أحسن الحديث، المجلد ٣، ص ٣٠٥ وتفسير الأمثل، ذيل الآية.

٣ـ «العهدين، القرآن والعلم»، ص ٢٤٩.

يستوعبون مثل هذه القضايا؟

يستوحىٰ من واقع الحال أن حياة بني الإنسان شهدت فيما بعد تحقق هذ التنبؤات القرآنية الغيبية. حيث كشف العلم عن طبقات الجو خلال العدة عقود الأخيرة بينما لم يعلم الناس عنها شيئاً عند نزول القرآن حتى اطلق العلماء الأقمار الصناعية محملة بأجهزة عديدة ومعدات متنوعة وحيوانات مختبرية لمتابعة الأحداث التي تمر بها هذه الحيوانات مع ارتفاع الأقمار مسافات بعيدة عن سطح البحر. إذاً، لم يتم التوصل إلى هذه الحقائق إلّا خلال مراحل مختلفة وجهود دؤوبة بذلها الإنسان في هذا المضمار.

فبما أن العلم الحديث اهتدى أخيراً إلى هاتين الظاهرتين في طبقات الجو العليا فإن إشارة القرآن إليها قبل (١٤٠٠) سنة أمر في غاية الدهشة والعظمة يمكن أن نعتبرها اعجازاً علمياً.

أصحاب الكهف والشمس

قال تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه، ذلك من آيات الله. من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، لو اطلعت عليهم لولّيت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً..﴾[1].

فلنتدارس أولاً ملاحظة باهرة تنوه إليها الآية (١٧). فبامعان الفكر في هذه الآية الشريفة وتخيل البيئة التي كان أصحاب الكهف يستقرون فيها نلتفت إلى أن الشمس كانت تعدل وتنحرف عن جانبهم الإيمن عند شروقها وتبعد عنهم من جهة اليسار عند غروبها. وكانت أشعة الشمس والهواء ينفذان إلى ذلك المكان الفسيح من ثغرة دون أن تلفحهم الشمس بأشعتها المباشرة لا عند شروقها ولا إبان غروبها.

الجانب التفسيري:

يقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره لهذه الآية: كان للغار ثغرة

---

١ ـ سورة الكهف، الآيتان (١٧ و١٨).

باتجاه الشمال ولوقوعه في النصف الشمالي من الكرة الأرضية كانت أشعة الشمس لا تدخل الكهف بشكل مباشر حيث يذكر القرآن الكريم: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾.

إذاً، لم تكن أشعة الشمس تلفح أجسامهم بشكل مباشر، فلو كان الأمر كذلك كانت أجسامهم تتعرض للتلف والانتان. ولكن مع ذلك كانت الاشعة المباشرة تدخل إلى الغار بمقدار كاف.

إن لفظة «تزاور» (بمعنى الميلان) تؤكد صحة هذا التفسير كأن الشمس كانت مكلفة بأن تمر من اليمين (يمين الغار). أما كلمة «تقرض» (بمعنى القطع) فإنها تدل على مفهوم «التكليف» وإضافة إلى هذا فإن كلمة «تزاور» مشتقة من كلمة «الزيارة» تعني البداية وتنسجم مع مفهوم طلوع الشمس و«تقرض» تعني القطع والنهاية، وهو ما يتجلى في غروب الشمس.

ولأن ثغرة الغار كانت إلى الشمال فإن الأنسام اللطيفة والمعتدلة كانت تهب من جهة الشمال وكانت تنساب بسهولة إلى داخل الغار فتهب الحياة في جميع أركان الغار[1].

كما يرى سيد قطب أن الشمس كانت تطلع على الغار ولكنها تتعمد في الميلان عنها[2].

---

١ ـ تفسير الأمثل، المجلد ٩، ص (١٩٢ ـ ١٩٣).

٢ ـ انظر تفسير في ظلال القرآن، المجلد ٦، ص ٢٢٦٣.

الجانب العلمي:

لتحليل القضايا العلمية التي تتناولها هذه الآية نحلل بادئاً عدة أمور أساسية أشارت إليها هذه الآية:

١ـ عملية النوم.

٢ـ التعرض لأشعة الشمس المباشرة.

٣ـ أضرار عدم تعرض الجسم لمقدار كاف من النور وفوائد تعرضه لضوء الشمس الغير مباشر.

ولدراسة عملية النوم يتوجب علينا أن نقدم بادئاً ايضاحاً موجزاً عن فيزيولوجية النوم.

فيزيولوجية النوم:

يختبر الإنسان على مر الليل والنهار مرحلتين من النوم تتاليان بشكل دوري، وهما:

أـ النوم بأمواج بطيئة وئيدة (NREM)[١].

ب ـ النوم بأمواج سريعة (REM)[٢].

أـ النوم مع (NREM): تكون الأمواج الدماغية خلال هذا النمط من النوم وئيدة للغاية ويصاحبه انخفاض في توتر الأوردة الدموية المحيطية وتخف فيه الكثير من النشاطات النباتية الجسمية الأخرى. وبانخفاض ضغط الدم بمعدل (١٠ ـ ٣٠٪) تبلغ دفعات التنفس والوضع الأيضي الحد

١ـ مع انعدام تحرك العين السريع Non rapid eye movement.

٢ـ مع تحرك العين السريع Rapid eye movement.

الأولي الأدنى.

ب ـ النوم مع (REM): يرافق مثل هذا النمط من النوم عادة رؤية الأحلام وتلاحظ خلاله صعوبة إيقاظ الشخص بواسطة المنبهات الحسية قياساً إلى النوم بأمواج وئيدة حيث ينخفض التوتر العضلي في جميع أجزاء الجسم إلى حد خارق مما يدل على الضبط الشديد للمسالك العصبية المتجهة من النسيج الشبكي في عنق الدماغ نحو النخاع بينما يضطرب ضربان القلب ووضع التنفس في حالة رؤية الأحلام. وبالنظر للضبط الشديد الذي تخضع له العضلات المحيطية تتبلور انعكاسات عضلية غير منتظمة ومنها تحرك العين السريع[1].

الخصائص الأساسية في كل من نمطي النوم:

في السبات الهادئ تتواصل نشاطات الدورة الدموية والهضم والتنفس دون تفاعل الانسان (ويصطلح على هذه الحالة: الحياة النباتية) بإشراف من الجهاز العصبي بقسميه المتباينين: الودي الارادي وشبيه الود الغير ارادي. ويخف خلال النوم مستوى الاداء في بعض الوظائف العضوية كما في ضربان القلب ووتيرة التنفس حيث تصبح أكثر بطئاً ونظاماً ضغط الدم حد الاتزان مع ثباته كما لا يشهد الجسم خلال هذا النمط من النوم ارتفاعاً في درجة حرارته.

بينا يتخلل النوم السريع مختلف النشاطات الجسمية وحتى الجنسية مثل ارتفاع ضغط الدم بفارق استرخاء العضلات في هذه المرحلة من

---

١ ـ الفيزيولوجية الطبية، المجلد ١٢، ص ١٥٢٥.

النوم.

إن التقلصات العضلية الجزئية تؤدي إلى انتفاظ عضلات الوجه وتحركها خلال النوم بأمواج سريعة إضافة إلى اختلال ضربان القلب ووتيرة التنفس بدرجة أكبر من السرعة قياساً إلى النوم الهادئ، وتتعرض الدوره الدموية عادة إلى تذبذبات سريعة وحادة فيما يخص حركة العين[1].

آثار التعرض لأشعة الشمس المباشرة:

بدراسة فيزيولوجية النوم نتنبه إلى انخفاض ضغط الدم لدى الإنسان أثناء نومه مما يخفف من سرعة الدورة الدموية العامة. ويتعرض النائم لأشعة الشمس المباشرة تتمدد العروق وتبرز مما يستدعي ضخ كمية كبيرة من الدم إليها وانخفاض معدل الدم والترويه الدموية في أعضاء الجسم الأصلية مثل الدماغ والكبد والرئتين والكليتين. عندئذ يهبط ضغط الدم فيها إلى درجة كبيرة مما يعرض النائم تحت أشعة الشمس إلى الصدمة وبالتالي فقدان الوعي والغيبوبة.

ومن الأضرار الأخرىٰ للتعرض المتواصل الطويل الأمد إلى أشعة الشمس المباشرة هو تبلور حالات الحروق من الدرجة الأولى والثانية[2] في الجسم وابتلاء النائم لمدة طويلة في مثل هذه الظروف بمرض سرطان الجلد وترهل الأنسجة وضمورها.

---

١ ـ انظر: «النوم، الأحلام، علاج الأرق»، ص (١٤٦ ـ ١٤٨).

٢ ـ هي الحروق الأشد ألماً وتصيب طبقات الجلد دون أن يتلفها نهائياً خلافاً للحروق من الدرجة الثالثة حيث تخرق الجلد وتميته وتصل إلى العضلات والعظام وألمها يكون عند الإصابة فقط.

فوائد تعرض جسم الانسان لضوء الشمس:

من الضرورات الفيزيولوجية التي تتطلب تعرض جسم الانسان لضوء الشمس غير المباشرة لمدة قصيرة هي تعذر بناء مختلف أنواع خلايا الجسم وعجزها عن أداء وظائفها دون ضوء الشمس الذي يحظىٰ بأهمية بالغة في حياة الكائنات الحية فينعم الجسم بما يمده بها ضوء الشمس من الأشعة الماوراء بنفسجية فيتم صنع فيتامين(D) الذي يؤدي نقصانه إلى ترهل بناء العظام وسقوط الشعر وهبوط النشاطات الحيوية و... فضوء الشمس يقضي على الجراثيم في داخل الجسم وفي البيئة المحيطة به. ووجوده يمثل أمراً تتطلبه الصحة. وعلى أية حال، لا حياة على وجه الأرض دون ضوء الشمس[١].

العين وآثار التعرض طويل الأمد إلى الضوء أو الظلام:

تمثل الشبكية جزء العين الحساس إزاء الضوء. وتتألف من نوعين من الخلايا البصرية.

خلايا مخروطية (المخاريط) المسؤولة عن الرؤية الملونة والخلايا الاسطوانية (العصيات) المسؤولة عموماًعن الرؤية في الظلام. فعند تنبه العصيات (Roods) أو المخروطيات (Cons) تتولىٰ الأعصاب المتتالية في الشبكية نفسها أمر نقل الايعازات المرسلة إلى مركز البصر في لحاء الدماغ من خلال العصب البصري المؤلف من الألياف العصبية البصرية، لتتحول هنالك إلى صور مرئية.

١ـ انظر: نفحات من الاعجاز الطبي في القرآن الكريم، ص (٢٤ـ٢٦).

وتحتوي كل من هذه الخلايا على مواد كيميائية خاصة (الرودابسين وما شابهه) تتجزأ عند تعرضها لضوء الشمس مثيرة الألياف العصبية في العين الخارجية[1]. فباستقرار الشخص لمدة طويلة تحت ضوء الشمس تتجزأ كمية كبيرة من هذه المواد الكيميائية الحساسة إزاء الضوء في كل من المخاريط والعصيات مولدة الرتينول والابسونينات ويتحول القسم الأكبر من الرتينول في كل من المخاريط والعصيات إلى فيتامين (A) وينخفض تركيز المواد الكيميائية الحساسة إزاء الضوء بشكل ملحوظ إثر تبلور هاتين الحالتين مما يخفف أكثر فأكثر من حساسية العين إزاء النور. ويطلق على هذه الحالة التكيف أو التلاؤم الضوئي» (Light adaptation) ومن وجهة أخرى يتحول كل ما في العصيات والمخاريط من الريتنول والابسونينات (عند بقاء الشخص لمدة طويلة في الظلام) إلى حبيبات صبغية حساسة إزاء الضوء. ويتحدد أقصى تركيز لهذه المواد بحسب كمية الابسونينات الموجودة في العصيات والمخاريط في حالة تسمى، تلاؤوم الظلام» (Dark adaptation)[2].

الاستنتاج:

بعد تحليل القضايا العلمية المستوحاة من بعض الآيات الشريفة من

---

١ ـ أسس ومفاهيم طب العيون، المجلد ١، ص ٥٩، وكذلك الفيزيولوجية الطبية، المجلد ٢، ص ١١٨٩.

٢ ـ الفيزيولوجية الطبية، المجلد ٢، ص ١٢١٠. تبين علمياً أن الخلايا البصرية الموجودة في الشبكية تضعف وتموت تدريجياً إن بقيت مدة طويلة في الظلام. ولهذا جعل الله عز وجل عيون أصحاب الكهف مفتوحة، فبالاضافة إلى استهداف إرعاب الناظر إليهم وحفظهم من الحيوانات المؤذية، فإنها حفظت خلاياهم البصرية من التلف والموت، فكل عضو لا يعمل يضمر ويتلف تدريجياً.

سورة الكهف كمقدمة لبحثنا نعود إلى الآية الكريمة فنفهم منها أن الله سبحانه وتعالىٰ حفظ أصحاب الكهف من أضرار أشعة الشمس المباشرة وهيأ لهم في الوقت نفسه الظروف اللازمة لتنعمهم بجميع المتطلبات التي تحتاجها أبدانهم.. وبهذا نفسر فلسفة إلجاء أصحاب الكهف إلى هذا الغار بالذات وميلان الشمس حولهم درء من أضرارهم وإلحاق الأذىٰ بهم بأشعتها المباشرة دون أن تميل عنهم ميلاً كاملاً يحرمهم من فوائد ضوئها غير المباشر.

عرضنا الحد الأدنىٰ من الأضرار التي تلحق الإنسان جراء تعرضه لأشعة الشمس المباشرة أو خضوعه لظروف يعم فيها الظلام كما بحثنا موضوع فيزيولوجية النوم بمرحلتيه الدوريتين المنتظمتين اللتين تتسم كل منهما بخصائصها. ولكن ما يهم في الموضوع هو الحفاظ على حياة الإنسان خلال فترة طويلة من النوم والتي تتطلب ظروفاً بيئية في غاية الحساسية، فاختلال وضع أي من العوامل البيئية يأتي على الشخص بمشاكل جسمية كثيرة. ولهذا السبب أمرت الشمس أن تنحرف عن أصحاب الكهف خلال فترة نومهم بما يأمنهم من أضرار أشعتها المباشرة ويحفظهم. في الوقت نفسه من مردودات البقاء لفترة طويلة في الظلام..

تحليل:

إن قضية أصحاب الكهف وإن كانت كلها تدخل في إطار المعجزة ولكننا نذكر حول الاعجاز الطبي في الآية المذكورة ملاحظتين، وهما: أن تكليف الشمس بالميلان عن الجانب الأيمن لأصحاب الكهف عند طلوعها والابتعاد عنهم من الجهة اليسرىٰ عند غروبها لا يعتبر بحد ذاته إعجازاً

طبياً، فالقرآن يحدثنا عـن فـعل الله ذاتـه بـاعتباره مـعجزة، والمـلاحظة الأخرىٰ ترتبط بإشارة الله سبحانه وتعالىٰ في تلك البرهة الزمنية بشكل عام وغير مباشر إلى مثل هذا الموضوع العلمي والناس في جهل منه ومن أضرار أشعة الشمس المباشرة وفوائد ضوء الشمس حيث تعتبر أعجازاً قرآنياً طبياً، ويمكننا الإذعان بالاعجاز الطبي لأية آية عند التوثق تماماً من جهل الناس البحث إزاء ما تتضمنه الآية من ايحاءات علمية وهو مـا لا يشق على النفس تحقيقه، فبنظرة عابرة إلى بعض عادات الشعوب الغربية نجد أن الحكومات الغربية تخصص ميزانية كبيرة لانتاج مواد مختلفة مثل الأقراص والمراهم و... بهدف تغيير لون البشرة وإضفاء البرونزية عـليها ولكن حين ثبت لهم عجزهم عن تحقيق ذلك لجأوا إلى أشعة الشمس عند طلوعها فصاروا يمكثون تحت أشعتها المباشرة لفترة طويلة كطريق حـل استهدوا إليها رغم أخطارها ثم عاد الأطباء أخيراً ليحذروا، بعد التوصل إلى اكتشافات حديثة في هذا المضمار، من مغبة التعرض لفترة طويلة إلى أشعة الشمس فمع حداثة هذه الثوابت العلمية لا يمكن لأحد اثبات اطلاع الناس عليها قبل أكثر من (١٤٠٠) عاماً.

«قرحة السرير وتقليب المريض في الفراش»

قال تعالىٰ: ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾

الجانب التفسيري:

يقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الآية الشريفة المذكورة: لتفادي تفسخ أجسامهم (أصحاب الكهف) إثر مرور الأعوام المديدة وهم في حالة النوم الطويل الأمد. يقول الله تعالىٰ: ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ للحيلولة دون تركز الدم في محل واحد من أجسامهم أو لمنع تبلور الأعراض الضارة الناشئة عن تحمل الضغط والثقل من قبل العضلات المستقرة على الأرض لمدة طويلة.

الجانب العلمي:

تحظىٰ هذه القضية العلمية في عهدنا الحالي باهتمام بالغ في الحقل الطبي وهي تعرض المصابين بعاهات نخاعية إلى خفوت الإحساس أو فقدانه تماماً في أجزاء من الجسم لتعرضها خلال مدة طويلة للضغط وانقطاع التروية الدموية فيها، لاسيما في أجزاء خاصة من الجسم شديدة الاستعداد لتبلور مثل هذه المشكلة فيها كما في الأجزاء التي يكون فيها العظام قريباً

من سطح الجلد حيث تبدأ الحالة بظهور جروح تقرّحية في الجلد تتسبب في إيذاء الانسان وبالتالي في موت الجلد في تلك الناحية من جسمه. وهذا ما يمكنه أن ينطبق على حالة شخص غط في سبات عميق خلال فترة طويلة خاصة إن بلغت مئات السنين وهو في غفلة تامة عن وضعه الجسمي.

جاء في كتاب «مع الطب في القرآن الكريم»:

«إن من الإصابات الشائعة والصعبة العلاج التي تتعرض الأطباء الممارسين في المشافي هي مشكلة حدوث الخشكرشيات أو ما تسمى بقرحة السرير (Bed Sore) عند المرضى الذين تضطرهم حالتهم للبقاء الطويل في السرير كما في كسور الحوض والعمود الفقري أو الشلول أو حالات السبات الطويلة. والخشكرشيات هذه عبارة عن قرحات وتموت في الجلد والانسجة التي تحته بسبب نقص التروية الدموية عن بعض مناطق الجلد، نتيجة انضغاطها بين الأجزاء الصلبة من البدن ومكان الاضطجاع وأكثرها تحصل في المنطقة العجزية والاليتين وعند لوحي الكتفين وكعبي القدمين، ولا وقاية من حدوث هذه الخشكرشيات سوى تقليب المريض المستمر كل ساعتين حيث ان الخشكرشيات تبدأ بالتشكل إذا استمر المريض دون تقليب أكثر من (١٢) ساعة، وقد تكون هذه هي الحكمة من تقليب الله عز وجل لأهل الكهف لوقايتهم من تلك الإصابة[١]».

ولما كان من المقرر أن يخلد أصحاب الكهف إلى نوم طويل الأمد (قد يكون حوالي ثلاثمائة عام) على أن تحتفظ أجسامهم بسلامتها، توجب

---

١ ـ مع الطب في القرآن الكريم، ص ٥٩.

الحفاظ على سلامة وتيرة الدورة الدموية عندهم درء للأضرار التالية.

أهمية الخدمات التمريضية:

من الأسس العلمية الأولية للعناية بالمرضى ولاسيما المقعدين ممن لا قدرة لديهم على الحراك، هو ضرورة تغيير موضع المريض ووضعية استقراره مرة كل (٣ ـ ٤) ساعات، وتشتد حاجة المرضى المغمىٰ عليهم إثر الصدمات الدماغية أثناء حالة الغيبوبة وكذلك المصابين بحالة انقطاع الحبل الشوكي لمثل هذه الخدمات التمريضية[١].

فتواصل الضغط الموجه على أية ناحية من الجسم يؤول إلى انسداد عروقها ومن ثم انقطاع التروية الدموية فيها مما يتسبب في موات الأنسجة وظهور الكدمات الدموية فتفسد الخلايا ويختل النشاط الفيزيولوجي فيها[٢].

أما عن الشخص السليم فإنه مصون من مثل هذه المشاكل لأن الجسم يختبر طبيعياً حالة التحرك خلال فترة النوم[٣]، حيث يلتفت عفوياً في نهاية دورة النوم بأمواج وئيدة تارة إلى جانبه الأيمن وأخرىٰ إلى الأيسر. وقد ذكرنا في موضوع فيزيولوجية النوم أن العضلات تشهد خلال مرحلة النوم مع (REM) تقلصات بسيطة يترشح عنها انعكاسات عضلية تظهر حتى في الوجه وفي مرحلة النوم مع (NREM) تتبلور وبشكل طبيعي حركات الجسم وتغييرات في وضعيته على نطاق أوسع. يعتبر بعض

1_ Fundemental Of nursing tylor. etal, 2004.

٢ ـ الفيزيولوجية الطبية، ص ٦٢.

٣ ـ التمريض في الليل، ص ٣١.

الباحثين هذا الموضوع أحد حالات الاعجاز الطبي في القرآن حيث يرون أن الإعجاز العلمي هو إشارة القرآن الكريم إلى حقيقة علمية أثبتتها العلوم التجريبية لاحقاً بعد نزول القرآن. إلى جانب التوثق من تعذر فهمها على العقل البشري بما كان عليه من وعي في عهد رسول الله ﷺ أيضاً[1]. وبناء على هذا تستبطن هذه الآية الشريفة اعجازاً طبياً.

تحليل:

إننا نرىٰ أن الإنسان يتقلب وبشكل عفوي فيِنومه وهو ما يوحي بوجود ارتباط طولي بين ارادة الله وفعل الانسان وإن كان فعله عفوياً. فإن دخل تقلبه بشكل طبيعي إلى اليمين واليسار في دائرة أعماله العفوية المتحكم بها من قبل المشيئة الالهية فإن الله سبحانه وتعالىٰ ينسبها حتى في هذه الحالة إلى ذاته المقدسة مما يمنعنا من القول بوجود جانب إعجازي في هذا الفعل، خلافاً لأشعة الشمس التي تمت إشراقتها بشكل غير مألوف وبأمر من الله عز وجل. إذاً، المراد من الآية الشريفة هو الإشارة إلى تقلبهم يميناً ويساراً أثناء النوم. فهل يا ترىٰ كان الناس في ذلك العهد قد فطنوا لهذه الحقيقة التي أوضحها الله تعالىٰ في هذه الآية؟ كان جميع الناس قد أدركوا تجريبياً، دون ريب، إن جسم أي انسان لا يفقد الحركة تماماً أثناء النوم.

هذا عن الحراك فماذا عن الأعراض والحالات المرضية التي يصاب بها الإنسان إثر السكون وفقدان الحركة. بوسعنا أن نؤكد أن جميع الناس

١ـ انظر تأصيل الاعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ١٤.

شهدوا منذ ذلك العهد ظهور الحالات المرضية الناشئة عن فقدان الحركة لدى المقعدين، وقد أدركوا هذه الحقيقة بأسلوب تجريبي بسيط ولكنهم لم يفطنوا فقط إلى الآلية العلمية الدقيقة الخاصة بهذه الحالة ولم ينوه القرآن بدوره إليها. وعلى هذا لا يمكن اعتبار التنويه إلى هذا الموضوع في الآيـة المذكورة اعجازاً طبياً.

من دواعي هدوء الكهف

قال تعالى: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً﴾[1].

الجانب التفسيري:

يذكر المفسرون تفاسير عدة لهذه الآية الشريفة فقد أقر أغلبيتهم معنى التسليط في فعل ضرب «فضربنا على آذانهم»، أي سلطنا عليه النوم فخلدوا إلى سباتهم عدة سنين داخل الكهف. والنوم إن هيمن على الأذن والعين فهو حدث يبطل الوضوء وإن تحدد أثره في العين فإنه نعاس وليس نوم. إذاً، المعنى في هذه الآية هو النوم.

وقيل أن الضرب على الأذن هو حجب السماع لتنويم الشخص[2] أو اعتبروه فعلاً مفعوله لفظة «حجاباً» المحذوفة بحسب ما تدل عليه لقرينة أي. فضربنا على آذانهم حجاباً لتمنع عنهم السمع وتحول دون استيقاظهم من نومهم العميق[3].

---

١ ـ سورة الكهف، الآية (١١).

٢ ـ انظر تفسير العاملي، المجلد ٥، ص ٤٨٧.

٣ ـ ومنها: تفسير الميزان، ذيل الآية وحجة التفاسير، المجلد ٤، ص ١٠٧، والتفسير المبسط وخلاصة المنهج، المجلد ٣، ص ١٤٢ و«منهج الصادقين»، ص ٣٦٦ وتفسير الأمثل.

ويذكر صاحب تفسير «أنوار درخشان» (الأنوار الساطعة) معنى أكثر رقة قياساً إلى سواه، حيث يقول: لاخلادهم إلى سبات عميق وضعت القوى الغيبية يدها الرؤوف على آذانهم وحركة أناملها بمنتهى الرقة والدعة. كما تداعب الأم الحنون آذان رضيعها بيديها. فيخلد الطفل إلى النوم وهو يشعر بارتياح تام[1].

ويقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: «وإنه ضرب على آذانهم في الكهف» ـ أي ناموا ـ سنين معدودة، لا نعلم عددها[2]، كما يرى البعض أن الضرب في هذه الآية تعني «الابتلاء»[3].

ولم يذكر مؤلفا كتاب «مع الطب في القرآن الكريم»، وهما من مؤيدي نظرية الاعجاز الطبي في القرآن، أي معنى جديد لهذه الآية واكتفيا بالإشارة إلى ضرورة انكفاء الإثارات الخارجية التي تلتقطها حواس الإنسان وتبعث بإيعازاتها إلى دماغه حيث تخف أو تزول نشاطات الدماغ ذات الصلة بهذه الإثارات عند تدنيها أو زوالها ومن أهم الحواس الفاعلة في تنشيط الدماغ هي حاسة السمع[4]، و...، وعلى هذا فإنهما يأخذان للآية معنى ضرب الحجب على الأذن.

أما الدكتور محمد مهدي الإصفهاني، وهو من أصحاب الرأي في العلوم الطبية تناول في دراساته التحقيقية القضايا الطبية العلاجية في القرآن، فقد أدلى برأي جديد فريد من نوعه في هذا المجال من خلال بحث قدمه في

---

١ ـ انظر تفسير «أنوار درخشان»، المجلد ١٠، ص ٢٤٤.
٢ ـ انظر تفسير «في ظلال القرآن»، المجلد ٤، ص ٢٢٦١.
٣ ـ انظر تفسير «روض الجنان وروح الجنان»، المجلد ١٢، ص ٣٢٧.
٤ ـ مع الطب في القرآن.

الندوة الدولية للتاريخ الطبي في الإسلام وايران (١٩٩٢) حمل عنوان «من دواعي هدوء الكهف»، أيدته نتائج بحث تحقيق أجراه أحد طلاب الدراسات العليا في فرع العلاج الفيزيائي بجامعة ايران للعلوم الطبية. خلص هذا الباحث الايراني من دراسات أجراها في هذا المضمار إلى حقيقة طبية وهي: أن دعك ناحية خلف الأذن يثير إفراز مادة الاندروفين من قبل المستقبلات الدماغية فبتلقي الدماغ لهذه المادة يشعر الشخص بالهدوء ويميل إلى النوم كما تفعل الأمهات عند بكاء أطفالهن حيث يبادرن إلى دعك خلف آذانهم لتصورهن بأن أوجاع الأذن هي سبب بكائهم. إنها ظاهرة ترتبط إلى حد ما بالعلاج بالوخز الأبري، تؤول إلى تهدئة الوليد فيخلد إلى نوم هادئ. ولكنه عاد ليؤكد أنه يلزم اجراء المزيد من التحقيقات والأبحاث على هذا الصعيد.

إذا نستنتج من ذلك، أن الله عز وجل أوحى بالهدوء إلى أصحاب الكهف بالضرب برفق على خلف آذانهم مما أخلدهم إلى سبات طويل[1].

١-انيس المرضى (همدم بيار)، ص ١١١.

الحروق والشعور بالألم

قـال تـعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، إن الله كان عزيزاً حكيماً﴾[1].

الجانب التفسيري:

نقرأ في تفسير الأمثل أن السبب في تبديل الله جلود الكافرين يعود، كما يبدو، إلى احتمال تدني درجة الإحساس بالألم في الجلد المحروق ولأنه تعالى لا يريد أن يخفف عنهم العذاب. وبغية ضمان الشعور الكامل بالأوجاع والآلام، تنمو على أبدانهم جلود جديدة[2].

الجانب العلمي:

بالإمعان في هذه الآية نلتفت للحكمة في اختيار الله للنار وتأكيده عليها من بين بقية أساليب العذاب. فبالتمحيص فيما كشف عنه العلم الحديث من ثوابت نتنبه إلى هذه الآية باعتبارها إحدى معجزات القرآن الكريم. يعمل الأطباء في البلدان الاوروبية وكذلك في ايران حساب خاص لحوادث

---

١ ـ سورة النساء، الآية (٥٦).

٢ ـ تفسير الأمثل، ذيل الآية.

الحرائق بنحو آلىٰ بهم إلى تأسيس بعض المستشفيات الخاصة لاستقبال المتعرضين لهذه الحوادث وعلاجهم دون غيرهم لاسيا الحروق من الدرجة الثالثة حيث تكرس لكل منهم غرفة خاصة مزودة بمعدات كاملة يخضعون فيها للإشراف الطبي على مر الليل والنهار والعلاج بالحقن المهدئة والمضادات الحيوية ومحفزات الجهاز المناعي. ورغم كل هذه العناية الطبية المتواصلة نجد أن بعضهم يتعرض للوفاة إثر إصابته بتلك الحروق، فإثر دراسات عديدة أجريت لمعرفة السبب كشف العلم عن مادة سامة تتكون في الجسم إثر تعرضه للحروق تتسبب في وفاة الشخص مهما بذلت الجهود لعلاجه. يشكو هؤلاء المرضىٰ من ألم منقطع النظير حيث أثبتت الدراسات المجهرية أن الجلد يحتوي على أعداد كثيفة من الألياف العصبية التي تتعهد بمهمة التقاط الايعازات من المحيط الخارجي ونقلها أما عن طريق النهايات العصبية الحرة أو المغمدة. تنتشر هذه النهايات في جميع طبقات الجلد: البشرة والأدمة والنسيج تحت الأدمة. ومهمة بعضها نقل الشعور بالألم والحرارة والضغط والبرودة واللمس وبعضها الآخر تنظيم افرازات الغدد الجلدية أو العمليات العصبية الخاصة بجريبات الشعر والأوعية الدموية.

أما الأنسجة تحت الأدمة تشمل الأنسجة الدهنية والنسيج الضام والعضلات والمفاصل وعدد أكبر من مستقبلات الضغط بينما ينخفض عدد مستقبلات الألم والحرارة واللمس فيها قياساً إلى الأدمة وعلى هذا يشعر المتعرض لحادثة حريق، في حالة زوال الطبقة الخارجية دون غيرها من الأنسجة، يشعر بدرجة أقل من الألم مقارنة مع الذين لم تضمحل لديهم الطبقة الخارجية تماماً. وهذا ما نلاحظه أيضاً عند حقن الأبر، فالشخص

يشعر بادئاً بألم أكبر ولكن عندما تخترق الأبرة الأدمة وتتوغل إلى الأنسجة التحتانية يخف ألمها. وتعتبر حالة المريض المتعرض للحروق أشد وطأة وخطورة من المتعرض لبتر اليد أو الساق أو الكسور أثناء حادث سير و... حيث يتحدد الخطر المحدق بهم باليومين الأولين فقط.

وبالعودة إلى الآية الكريمة نستوحي منها أن اختيار إحراق الجلد كأسلوب تعذيبي هو بحد ذاته معجزة قرآنية. فلم يجعل الله بتر الأعضاء، مثلاً، عذاباً لأن الألم الناشئ عنه مرحلي عابر. ومن هذا المنطلق يتم الحرق بالسجائر أو المكاوي نمطاً من التعذيب في الكثير من بلدان العالم حيث يستأنفون العملية بعد استعادة الشخص سلامة جلده.

والآية الشريفة تشير إلى تبديل جلود الكافرين المحترقة بجلود أخرىٰ سليمة لأن احساس الألم الشديد سيثار في الجلود عند احتراقها إثر تنبه النهايات العصبية الحرارية بواسطة النار فتصل حدة هذا الشعور بالألم ذروتها عند احتراق الأدمة ولكن مع بلوغ الاحتراق النسيج السفلي تخف حدة الألم. ولهذا يستبدل الله جلود الكفار في هذه المرحلة بجلود غيرها، هذا مع الأخذ بالحساب أن نار الدنيا أخف وطأه وحرارة من نار الآخرة. فعن رسول الله ﷺ، قال: «**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار الآخرة، لكل جزء منها حرّها**»[1].

إن ما أوردناه في هذا المجال هي أمور تتناولها الكتب الطبية أيضاً حيث تقسم الحروق إلى ثلاثة أنواع:

---

١ ـ انظر: نفحات من الاعجاز الطبي في القرآن الكريم، ص(٣٨ ـ ٤٠)، و«مع الطب في القرآن الكريم»، ص(٣٠ ـ ٣١)؛ والطب في القرآن، ص ٤٢.

ـالنوع الأول: حروق الطبقات الخارجية (البشرة والأدمة).

ـالنوع الثاني: حروق النسيج تحت الأدمة.

ـالنوع الثالث: حروق الأنسجة تحت الجلد وهي الحروق التي تخترق طبقات الجلد الثالث فتتلف الأعصاب وتخف آلامها لأن الأنسجة تحت الجلد أقل التقاطاً لايعازات الألم. وينعدم في مثل هذه الحالة احتمال ظهور الجلد الطبيعي ثانية.

يقول الشيخ مقولي الشعراوي حول هذه الآية:

«كانوا يقولون أن مراكز الاحساس موجودة في المخ... وأن الجلد ليس فيه مراكز الإحساس. كان هذا هو الحديث حتى فترة وجيزة... أما أيام نزول القرآن فلم يكن أحد يعرف شيئاً عن ذلك على الاطلاق... فيأتي الله سبحانه وتعالىٰ ويقول: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيره ليذوقوا العذاب﴾، فكأن العذاب له صلة بالجلد والاحساس بالعذاب يأتي من الجلد ثم يكشف العلم أخيراً أن مراكز الإحساس بالألم موجودة فعلاً في الجلد وهي التي تحس بالعذاب[1].

ولنسمع إلى رأي أحد الباحثين المعاصرين: «اما الحقيقة العلمية الكامنة في هذه الآية والتي كشفتها العلوم التجريبية حديثاً فإنها تدور حول تموضع مراكز الشعور في الجلد لاحتوائه على النهايات العصبية وبتلف الجلد يفقد الإنسان شعوره.

الجدير بالذكر أن العالم التايلندي «تاجاتات تاجسون» لما تناهت هذه الآية الكريمة إلى سمعه وأصغى لترجمتها نهض واقفاً أما لفيف من أساتذة

---

١ ـ معجزة القرآن، ص ٣٥.

الطب من العلماء إبان حضورهم المؤتمر الطبي الثامن المنعقد في السعودية، وقال: إنني أؤمن بكل ما جاء به القرآن قبل أكثر من (١٤٠٠) عاماً وأجزم بصحتها جميعاً وقد صار بالامكان اثباتها بالأجهزة العلمية الحديثة فلم يكن النبي ﷺ يجيد القراءه والكتابة. فلابد أن محمداً رسول جاء بهذه الحقيقة التي مدّه بها عن طريق الوحي خالق عالم بكل شيء لابد أن يكون هو الله. لقد حان الأوان أن أشهد بأن: «لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله»(١).

يتم تكون طبقات الجلد بحسب الكتب والمصادر الطبية الحديثة كما يلي:

تهاجم البشرة خلال الثلاث أشهر الأولىٰ من مرحلة النمو خلايا ناشئة عن «العرف العصبي» وظيفتها صنع حبيبات الملانين الملونة ومن شأنها الانتقال إلى سائر خلايا البشرة عن طريق التغصنات العصبية المنبثقة من جسم الخلايا العصبية...

وفي الشهر الثالث والرابع يقوم هذا النسيج أي الأدمة بتكوين عدد كبير من الحليات غير المتناسقة تدعى الحليات الأدمية تتداخل قمتها في البشرة وتحتوي أغلبيتها على شعيرات دقيقة أو أعضاء النهايات العصبية الحسية و...»(٢).

نستنتج إلى ما جاء في هذا المصدر العلمي أنه لجميع خلايا الجلد منشأ موحد أولاً، وأن الجلد هو المركز الوحيد للشعور بالألم، ثانياً.

---

١ ـ الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، زكريا هميمي، ص ٢٢٢.
٢ ـ «علم الجنين الطبي»، لانجمان، ص ٣٥٦.

تحليل:

نحن في غني عن أبحاث مطولة لاثبات شمول هذه الآية على الاعجاز الطبي، فالآية تكتفي بالإشارة الإجمالية غير المباشرة لزوال الشعور بالألم في حالات الحروق المتعمقة، ولم تتطرق بشكل تفصيلي لدراسة التركيب النسيجي للجلد بمثل ما كشف عنه العلم الحديث. وبما أن الاعجاز العلمي هو: «اعلان القرآن الكريم عن حقيقة اثبتها العلم التجريبي على أن يتم كذلك التوثق من عجز القوى البشرية في عهد الرسول ﷺ عن فهمها»[1].

وبما أنه يحتمل أن يكون الناس قد تنبهوا ولو بشكل جزئي إلى هذه الحالة التي لا حاجة للناس إلى العلوم الدقيقة والمعقدة من أجل فهمها بل يمكن استيعابها بعد اجتياز خبرتها بالتعرض لتعذيب طويل الأمد بواسطة احتراق الجلد أو لجروح متعمقة في داخل الجلد حيث يزول الإحساس بالألم بعد فترة من الزمن وتتقيح الجروح وتؤدي إلى الوفاة.

على هذا لا يمكن اعتبار عرض هذه القضية العلمية في الآية المذكورة اعجازاً طبياً. فإنها إشارة القرآن الكريم إلى حالة الانماء المتجدد الذي تشهده خلايا الجلد حيث تعتبر هذه الخلايا، الخلايا الوحيدة ذات النمو والانقسام السريع والمتواصل. وهذا ما يظهر جلياً من خلال مسح اليدين ببعضهما حيث يضمحل عدد كبير من خلايا الجلد وتستعاض بخلايا جديدة بسرعة بالغة خلال هذه العلمية. كما تلاحظ هذه القضية في حالة الغسل اليومي العادي. فالجلد، يكون بذلك في حالة نشاط دؤوب متواصل.

---

١ ـ انظر: تأصيل الاعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ١٤.

يشرح الدكتور محمد السيد ارناؤوط في كتابه الاعجاز العلمي في القرآن هذا الموضوع بأسلوب بلاغي رائع حيث يقول: «إن سنفونية الحياة والموت تتكرر كل ثانية في موت خلايا وبناء خلايا أخرى مكانها»[1].

فما يهم في هذه الآية هو إشارتها الإجمالية حول الانقسام المتتالي والسريع لخلايا الجلد وهو ما يمكننا الوثوق بأن الناس كان يجهلون حقيقته العلمية في ذلك العهد حيث لم يكن بالإمكان الكشف عن ماهية الخلية وطريقة الانقسام الخليوي الاختزالي إلّا بعد اختراع المجهر (المكرسكوب) في القرن السابع عشر الميلادي.

تنقل بعض كتب التفاسير عن حفص بن غياث إنه سمع وهو في المسجد الحرام ابن أبي العوجاء[2] يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن الآية محل البحث مستفسراً عما هو ذنب الجلود غير تلك الأولىٰ لتتعرض للحرق والشواء؟ فأجابه عليه السلام: .. هي هي، وهي غيرها «أي أن منشأها واحد وإن كانت غيرها»[3].

إن إشارة القرآن الكريم ولو بشكل إجمالي إلى نشأة الجلود النامية جميعاً عن منشأ واحد وتكون الجلود اللاحقة من ذات الطبقة المولدة للجلد المحترق الزائل في عهد نزول القرآن من شأنها أن تعتبر في حد ذاتها نموذجاً من نماذج الاعجاز الطبي في القرآن.

١ـ انظر: الاعجاز الالهي في أجهزة المناعة والمقاومة في جسم الانسان، ص ٦٣.
٢ـ من الزنادقة المعاصرين للإمام جعفر الصادق (ع).
٣ـ تفسير آسان (المبسط)، الجلد ٣، ص ٢٧١ وتفسير (روان جاويد)، الجلد ٢، ص ٦٨.

المحيض في القرآن

قال تعالى: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى، فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله. إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1].

هنالك من يدعي شمول هذه الآية على اعجاز طبي. ويرى بعض الأطباء أنها تتضمن موضوعات طبية مختلفة مثل: طب النساء والتوليد، والطب العام والطب الوقائي[2]. ويقول البعض الآخر حول أبرز ما تستبطنه هذه الآية بأنها نزلت لضمان وقاية الإنسان وصحته وهدايته والرأفة به، فإنها تحدد بنفسها المرض وعلاجه معاً. حتى ظهر علم البكتريا والفيزيولوجيا، وخاض الإنسان مرحلة دراسة دقائق هذه الآية وتفسيرها وتحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً، وبكل ما أوتي به من علوم ومباحث ووسائل بينما أحاطت هذه الآية المباركة بكل هذه الأمور مسبقاً[3].

١ـ سورة البقرة، الآية (٢٢٢).
٢ـ الطب في القرآن (د. محمد جميل الحبّال) و(د. وميض رمزي العمري)، ص ٥١.
٣ـ الاسلام والوقاية من الأمراض، ص ٦٣.

يتحدث الدكتور الجميلي في كتابه «من علم الطب القرآني»، قائلاً:

«هذه التعلميات الطبية القرآنية هي (حجر صحي) أثناء المحيض وهي ضرورة، والامتناع والنهي عن الاقتراب من الانثى فترة الحيض حتى تمتنع كل أسباب الإثارة واستمالة الشهوة...»[1].

وعن المعني بخطاب الآية، تنتهي بعض الآراء بأن اللقاء الجنسي أثناء المحيض وهو ما تنهىٰ عنه الآية يعرض كل من المرأة والرجل لالتهابات وانتانات الجهاز التناسلي والبولي، كما أنهما غير مؤهلان من الناحية الروحية والنفسية لمثل هذه الممارسة أثناء فترة الحيض[2]. إلّا أن العنصر الناشط في انتهاك هذا الحكم هو الرجل عادة، فالآية توجه نهيها ونداءها إلى الرجل[3].

ولتحليل صدق هذا الادعاء لابد أن نحدد أولاً الموضوعات العلمية المعروضة في هذه الآية ثم نتحرىٰ، ثانياً، ما إذا كان الناس في ذلك العهد يجهلون هذه الموضوعات أم أنهم كانوا على علم، ولو جزئي، بها.

«لتجنب النساء أثناء فترة الحيض تاريخ طويل في حياة البشرية فالايرانيون القدماء حظروا معاشرة النساء خلال الدورة الشهرية»[4].

أما اليهود فإنهم كانوا يتمادون في التشرد حيث يعتزلون النساء في هذه الفترة تماماً (سواء في الطعام، والشراب، والجماع و...) ويؤكد بعض اليهود بأن معاشرة مثل هؤلاء النساء من قبل الرجال حرام أساساً حتىٰ وإن

١ـ الاعجاز الطبي في القرآن، ص ٢٣٣.
٢ـ من علم الطب القرآني، ص ١٨١.
٣ـ مع الطب في القرآن الكريم، ص ٤٨.
٤ـ مسألة الحجاب، ص ٣٥.

تحدد بتناول الطعام علىٰ مائدة واحدة أو المجالسة في غرفة واحدة ونقرأ في كتاب التوراة الحالية:

«إن كان للمرأة ترشحات وتمثلت ترشحت بدنها بالدم، لابد لها أن تقضي سبعة أيام حائضاً، فكل من مسها تنجس حتى الماء وكل ما ترقد عليه في حيضها نجس وكل ما تجلس عليه نجس وليغسل ملابسه كل من لمس فراشها ويغتسل هو بالماء فهو نجس حتى المساء... وإن جامعها رجل وهي حائض فرضت عليه النجاسة سبعة أيام»[1].

ومقابل هؤلاء يمتنع النصاري عن الالتزام بأي قيود ومحاذير في تعاملها مع النساء في فترة الحيض، فلا مانع لديهم من معاشرتهن أو حتى ممارسة الجنس معهن.

أما المشركون العرب وخاصة أهل المدينة منهم فقد كانوا متأثرين بالنظرة اليهودية فيسلكون مع النساء في فترة الحيض بمثل سلوك اليهود فيعتزلونهن. إن هذا التباين السلوكي وما يصحبه من إفراط وتفريط دعا بعض المسلمين لتوجيه السؤال عن الحيض إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية[2]، رداً على استفسارهم حيث قال تعالىٰ: ﴿هو أذىً﴾ أي فيه الضرر والقذارة.

أما الإسلام فقد اتخذ طريقاً وسطاً بعيداً عما شهده بعض المذاهب والمجتمعات من إفراط وتفريط في تعاملها مع النساء، فقد حدد محاذيره بمنع الممارسة الجنسية مع النساء خلال فترة الحيض إلى جانب بعض

---

١ ـ الكتاب المقدس (التوارة)، السفر اللاوي، الباب ١٩، الآيات (١٩ ـ ٢٥).
٢ ـ انظر تفسير الأمثل، المجلد ١، ص (٨٤ ـ ٨٥).

الاجراءات الأخرىٰ التي يتوجب على الحائض الالتزام بها كما في تحريم أدائها لعبادات تؤدىٰ بعد وضوء أو غسل أو تيمم مثل الصلاة ويحرم عليها كذلك كل ما يحرم على الإنسان الجنب وهنالك أحكام متميزة فيما يخص تنفيذ الطلاق بالنسبة للحائض كما تتضمن الأحاديث المروية عن أهل بيت رسول الله ﷺ موضوعات عامة حول تحريم ممارسة الجنس مع الحائض.

أما عن كون الحيض «أذىٰ» فإننا نعرج علىٰ ما يذكره الدكتور محمد علي البار في هذا الخصوص. إنه يقول:

الأذى المحيضي أنواع...

ومنها قذارة دم الحيض أو نجاسته، كما في العرف الفقهي.

ومنها أن جريانه في وقته لا يمكن ضبطه كما يضبط البول والغائط.

ومنا كراهته لأنه يمنع الصلاة والصوم ومنها أنه يتضمن تغييرات نسيجية وكيميائية وحيوية في المجرى التناسلي ويجعله عرضة للالتهاب.

هذا ومن المعلوم طبياً أن أذاه ينتقل إلى الرجل إذا واقع امرأته في المحيض وذلك أنه ما من نجاسة إلّا ويتوقع حصول الضرر من التلوث بها»[١].

وتعرض كتب أخرىٰ أعراض تتعرض لها المرأة أثناء الحيض كما يلي:

تمر بطانة الرحم الداخلية في فترة الحيض لانسلاخ تام وتتقرح جميع أجزاءها خلال هذه العملية، وهذا ما يعرضها لهجمة ضارية من قبل البكتريا[٢]. وقد أوضح علم الطب أن الدم هو أفضل وسط لنمو وتكاثر

---

١ ـ انظر: «دورة الأرحام»، ص(٥٧ ـ ٦٢).

٢ ـ Trichomonas: الوحيدات المُشَعَّرة.

الجراثيم. وتتدنىٰ مناعة الرحم في فترة الحيض إزاء الجراثيم المتحاملة عليه. وللمقاربة خطر كثير على الرحم الذي يصبح أكثر عرضة للأذىٰ بالنظر لهبوط مقاومة المهبل إزاء الجراثيم في هذه الفترة إلى أدنىٰ مستوىٰ لها ويتدنىٰ تركيز الوسط الحامضي الفاعل في المهبل للقضاء على الميكروبات عما هو عليه في الظروف العادية بسبب التغير الذي يحدثه دم الحيض في التركيب الكيميائي داخل المهبل كما يترفق إلى حد بعيد الجدار الداخلي للمهبل الذي يهاجم بعدد كبير من الجراثيم إن تم الجماع والإيلاج خلال فترة الحيض التي يفتقد فيها الرحم جميع وسائله الدفاعية لمقاومة هذه الميكروبات التي يبلغ عددها في هذه الفترة أربعة أضعافها في سائر الأوقات. كما يكون لتوفر الدم دور مساعد كبير لنمو وتكاثر الجراثيم مما لا يعرض المرأة الحائض إلى تبعاتها السيئة فقط بل يعم أذاها على الرجل أيضاً. ويتسبب في إصابة بالتهاب وانتان المجاري البولية لديه وانتقال الجراثيم إلى المثانة والبروستات[1].

تدور أغلبية الأبحاث بشأن الحيض حول فيزيولوجية جسم المرأة والتبعات الضارة للجماع لديها ولدىٰ زوجها حيث يتم ايلاء درجة أدنىٰ من الاهتمام بالمضاعفات والأعراض الروحية والنفسية المتبلورة لدى النساء خلال فترة الدورة فإن كان الرجال يعتزلون النساء في مختلف الطوائف في فترة الحيض فإنه يعود لرغبتهم في الحفاظ على صحتهم ونفورهم من هذه الظاهرة. إلّا أن الأبحاث التي تتناول دراسة أمراض

١ـ انظر: هل هناك طبي نبوي، ص(١٤٩ـ١٥٢) وكذلك الموسوعة الطبية الفقهية، ص ٤١٣، والتعاليم الصحية في الاسلام، ص ١٠١.

النساء تبين أن حوالي ٢٠٪ من النساء يعانين من حالة (PMS) في فترة الإخصاب:

ترافق حالة (PMS)، وهي متلازمة قبل الحيض سلسلة من التغييرات السلوكية والنفسية والفيزيائية المنغصة التي تتشابك مع النشاطات الطبيعية ذات الصلة بالعمل والأسرة والمجتمع. وتتبلور هذه الحالة بشكل دوري في فترة الدورة الشهرية. ومن أعراضها: الآلام الجسمية (الصداع، التوتر العضلي، الإعياء)، والأعراض السلبية (الإكتئاب، البكاء، الانفعالية والتحسس الزائد)، والارتكاسات الاوتوماتيكية الذاتية (التعرق المفرط، الدوار، فقدان الوعي)، التغييرات السلوكية (هبوط الفاعلية، اختلالات في التركيز، تدني التوافق في الجهاز العصبي الحركي)، تجسيد الاختبارات النفسية (الاحساس بالمعاناة، أوجاع القفص الصدري، سماع رنين الأذن، ظهور بقع داكنة في المجال البصري، عتمة البصر، النعاس) و...»[١].

أما عن أسباب وبواعث الإصابة ب(PMS) فقد تم التوصل إلى النتائج التالية:

تنشأ حالة (PMS) عن التغييرات الهرمونية ولكن لا يخفىٰ دور مشاعر المرأة وهياجها أيضاً في تبلورها حيث تتذبذب أعراض هذه المتلازمة بحسب انعكاسات النساء إزاء تطورات الحياة الاسرية والبيئة الشخصية والظروف المهنية بين إقبال وإدبار وبدرجة أدنىٰ إزاء ضغوطات الحياة اليومية»[٢].

---

١ ـ انظر: أمراض النساء لكيستنر، ص (٨٦ـ٨٧).

٢ ـ انظر: اختلالات ما قبل الدورة الشهرية، ص ٢٥.

فلو رغبنا في مقارنة الاتجاهات السلوكية المتبناة في الأديان الالهية مثل اليهودية والاسلام إزاء الحيض نجد أن كليهما فرض حرمة الجماع في هذه الفترة وكذلك وجوب الغسل والتطهر بعد انتهائها أما الفارق بين التعبير الاسلامي مع سائر الأديان الأخرى، فإنه يمكن في اعتبار الحيض في الإسلام «أذىٰ». ياله من تعبير دقيق عن مفهوم لطيف. يكفي القرآن إتيانه بهذه اللفظة ايحاءاً بمثل هذا المفهوم لنتخذه دليلاً على الاعجاز الطبي في هذه الآية.

جاء في مفردات الراغب الاصفهاني:

«الأذى ما يصل إلى الحيوان من الضرر أما في نفسه أو جسمه أو تبعاته دنيوياً كان أم أخروياً «قل هو أذىٰ» فسميّ ذلك أذىٰ باعتبار الشرع وباعتبار الطب.

يتضمن هذا المفهوم الجانب الروحي والنفسي للأذىٰ وهو مالم يتبناه أي من المذاهب الأخرىٰ بل انفرد القرآن بتأكيده بمثل هذه الدقة على رعاية الوضع النفسي للنساء. بينما لم ينوه أي من الباحثين في موضوع الاعجاز الطبي للقرآن تقريباً إلى مثل هذه القضية، سوى آية الله معرفت الذي يذكر عبارة لطيفة ورائعة في هذا الخصوص حيث يقول: لم يكن الأعراب في عهد الجاهل يجالسون النساء في فترة الحيض أو يشاركونهن الطعام مثلما كان اليهود والمجوس يفعلون. بينما أقصى القرآن الرجس والخبث عن المرأة في هذه الفترة وشملها بهالة خاصة من الرأفة والعطف والحنان، فأمر بعدم اعتزالها وحذر من نبذها وتركها والتسبب في إيلامها وإرهاقها بترك الدار كما فعل المجوس. فالشريعة الاسلامية تجيز معاشرة المرأة في هذا الوضع فيما

عدا الجماع. قال الإمام علي ﷺ «اصنعوا كل شيء إلّا الجماع»[1].

تحليل:

نتناول في هذا المجال من البحث أموراً ادعى البعض أنها تعكس الاعجاز الطبي في هذه الآية ومنها شمول الآية على قضايا علمية عديدة أي أن القرآن يحدد الحيض باعتباره مرضاً حرم مناكحة النساء خلاله ثم أطنب عل الأحياء المجهرية[2] والفيزيولوجيا في ذكر تحاليل وايضاحات حوله بعد أن كشفت المباحث العلمية الملامح الصحية الايجابية لهذا التحريم والتي أسدل الجهل ستاره عليها في ذلك الزمان.

وللرد على هذا الادعاء نقول أن الآية اكتفت بإشارة موجزة لهذا الموضوع، ولم يدخل القرآن في ذكر التفاصيل التي أوضحها علم الطب لاحقاً ليكون بالإمكان إثبات الاعجاز الطبي لهذه الآية الشريفة، ثم أن هذا الخطر كان مأخوذ بالحساب قبل ظهور الإسلام حيث التزم اليهود، مثلاً: باتقائه. على هذا يتعذر القول بأن هذا الحكم يتضمن اعجازاً طبياً انفرد به القرآن.

والموضوع الآخر فيما ادعي في شموله على الاعجاز الطبي هو فلسفة تحريم الجماع في ذلك الزمان للتدرب على الصبر وعدم تمادي الرجال في إطلاق العنان للرغبة الجنسية.

وللرد على هذ الموضوع لابد لنا أن نؤكد أن الإسلام لم يفرض قط. مثل هذا العناء والرياضة النفسية على الرجال بل أنه وضع أمامهم طرق

---

١ ـ انظر التمهيد، المجلد ٦، ص (١٨١ ـ ١٨٢).

2_ Microbiology.

حل تغنيهم عن التعرض للضغط النفسي في هذه الظروف نذكر منها، على سبيل المثال، تعدد الزوجات.

والموضوع الثالث المطروح في هذا السياق هو التعليات الصحية المذكورة في الآية للحفاظ على صحة الرجل والمرأة والحيلولة دون الحاق أضرار صحية بهما في عهد لم يألف فيه أعراب الجاهلية الاهتام بشؤون صحة النساء.

ونرد على هذا الرأي بالقول: إن هذه التعليات الصحية والأحكام ذكرت في سائر الأديان الالهية أيضاً كاليهودية. وكان بعض الناس يلتزمون بتطبيقها قبل نزول هذه الآية.

علىٰ هذا لم تَبق سوى ملاحظ واحدة لم يتنبه لها ولم يعمل لها حساب أحد في ذلك العهد سواء من أهل الكتاب أو الأعراب المشركون، وتتعلق بالضرر والأذى الروحي والنفسي الذي تتحمله النساء جراء هذه العملية. وقد أكدت الآية بشكل ملحوظ على ضرورة رعاية الشؤون العاطفية والمعنوية للنساء.

الفصل الثاني

«علم الجنين الطبي وانسجامه مع الطب القرآني»

كلما اكتشف الإنسان حقيقة جديدة في علم الجنين أحنىٰ رأسه خاشعاً أمام الاعجاز الكامن في علم الجنين القرآني، المتمثل في أربعين آية ونيّف، وعشرات الأحاديث الشريفة التي تطرقت في مضامينها إلى تخلق الجنين، والتي رسمت منذ خمسة عشر قرناً الخطوط الرئيسية الأساسية العريضة لما نسميه اليوم علم الجنين الإنساني.

وكلما تعمق الباحث في دراسة آيات الله الكريمة التي تطرقت إلى علم من العلوم، وقارنها على ضوء آخر ما كشفه العلم من حقائق ثابتة، يزداد إيماناً ويقيناً بالله، وبالقرآن العظيم، وبما جاء عن رسوله الحبيب المصطفى، عليه أطيب الصلوات وأزكى التحيات. وقد عبّر عن هذا الموقف خير تعبير الدكتور (كيث مور) استاذ التشريح وعلم الجنين في جامعة أوتاوا بكندا بقوله:

«كلما اكتشف الإنسان حقائق جديدة، وجد نفسه يردد ما هو موجود

في القرآن والحديث».

وعلم الجنين الإنساني، هو دراسة تخلق الانسان بدءاً من تكون البويضة الملقحة باجتماع «السلالة» عند المرأة والرجل، أي منذ تلاقح بويضة المرأة والحيوان المنوي عند الرجل، وانصهارها به،وحتى انتهاء تخلق الجنين وخروجه من رحم أمه بعد تسعة أشهر. ويعود تاريخ بدء علم الجنين بالمعنى المعروف للعلم اليوم، إلى القرن السابع عشر، لمّا اكتشف المجهر في سنة ١٦٧٧ علىٰ يد العالمين (هام Hamm) و(هوك Leewen Hock) ومن خلاله اكتشفا الحيوان المنوي (أي «سلالة» في التسمية القرآنية) عند الرجل. كما اكتشف العالم (دوغراف Degraaf) حويصلة البويضة التي تحمل اسمه (Folll cule de Degraaf) (أي النطفة في التسمية القرآنية).. إلّا أن الدور الحقيقي للبويضة والحيوان المنوي لم يعرف إلّا لاحقاً في القرن التاسع عشر.كما أن مختلف مراحل تطور الجنين وتفاصيلها التشريحية الدقيقة لم تعرف إلّا في القرن العشرين. ولا يزال العلم يكشف كل يوم جديداً في هذا الحقل من العلوم.

وإذا استثنينا بعض علماء المسلمين الذين شرحوا تكون الجنين، من خلال شرحهم للآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تطرقت إلى هذا العلم، فلقد ظلت الإنسانية حتى أواسط القرن التاسع عشر تأخذ بمعلومات خاطئة عن تكون الجنين.

لقد كتب ارسطو في القرن الرابع قبل الميلاد، وهو الذي ظلت آراؤه وكتبه شبه مقدّسه في الأواسط العلمية حتى القرن السابع عشر، أن الجنين يتخلق من اتحاد المني مع دم الحيض، وفي القرآن الكريم، يكفي التذكير

بقوله تعالىٰ: ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1].

وكتب الطبيب البريطاني.(هارفي Harvey) مكتشف الدورة الدموية الكبرىٰ (وقد سبقه إلى اكتشاف الدورة الدموية الصغرى العالم ابن النفيس) في سنة ١٦٥١ ما خلاصته: إن الجنين يفرزه الرحم، وهذا خطأ علمي كما هو معروف. أما التنزيل العزيز فنجد الرحم هو القرار المكين للنطفة وليس الذي يفرزها: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾[2] و﴿ألم نخلقكم من ماء مهين. فجعلناه في قرار مكين﴾[3].

وكتب الطبيب (مَلپيچي Malpighi) في سنة ١٦٧٥، أن البويضة تحمل الجنين بصورة مصغّرة، وأن السائل المنوي لا وظيفة له إلّا تنشيط البويضة.

واعتقد العالمان «هام» و«هوك» مكتشفا المجهر والحيوان المنوي، أن الجنين موجود بصورة مصغرة جداً في الحيوان المنوي، ولا وظيفة للبويضة إلّا في تغذيته وتنشيطه إلى أن أتى العالمان (فولف WOLLF ١٧٣٣ـ ١٧٩٤) و(اسپلانزاني Spallanzani ١٧٢٩ـ ١٧٩٩) فأثبتا الحقيقة العلمية المعروفة اليوم، بأن الجنين يتخلق من نطفة المرأة والرجل علىٰ حد سواء، وفي كتاب الله الكريم يقرأ المؤمنون منذ التنزيل ـويزدادون خشوعاً ويقيناً كل يوم وبخاصة بعد الاطلاع علىٰ هذه الآراء العلمية

---

١ ـ سورة البقرة، الآية (٢٢٢).
٢ ـ سورة المؤمنون، الآيتان (١٢ و١٣).
٣ ـ سورة المرسلات، الآيتان (٢٠ و٢١).

الخاطئة – يقرأون قوله تعالىٰ ﴿يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ﴾[1] و﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج (من نطفة مختلطة) نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً...﴾[2]

أما رد الرسول الأمي ﷺ على اليهودي الذي سأله مم يتخلق الإنسان، فهو اعجاز علمي سبق العلم بثلاث عشر قرناً. فلقد سأل يهودي الرسول الكريم قائلاً: «يا محمد مم يخلق الإنسان؟،قال رسول الله ﷺ: «يا يهودي من كلٍّ يخلق، من نطفة الرجل ونطفة المرأة»[3].

وفي سنة ١٨٣٩ اكتشف العالمان (شليدن وشفان Schileiden Schvann)، أن الجسم الإنساني هو مجموعة خلايا، وأن الجنين يتخلق من خلية واحدة هي البويضة الملقحة، انفلقت وتقاسمت. (يتألف الجسم الانساني من مئة مليار خلية تقريباً نشأت من خلية واحدة هي البويضة الملقحة). وفي القرآن الكريم نجد أن الانقسام الخلوي (Division Cellulaire) أساس تكاثر الأحياء. وقد أشارت إليه الآية الكريمة التالية: ﴿إن الله فالق الحب والنوى، يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنىٰ تؤفكون﴾[4].

والانقسام الخلوي ـ والأفضل تسميته بالانفلاق الخلوي، أي أنقسام الخلية وانفلاقها إلى قسمين متساويين ـ هو العملية البيولوجية الأساسية التي تتكاثر بواسطتها الأحياء، لذلك وصف المولى نفسه «رب الفلق»، أي

---

١ ـ سورة الحجرات، الآية (١٣).
٢ ـ سورة الإنسان، الآية (٢).
٣ ـ مسند أحمد بن حنبل.
٤ ـ سورة الانعام، الآية (٩٥).

علة الحياة وسبب تكاثرها، وسمّىٰ سورة في كتابه الكريم بالفلق: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾.

ولم يُعرف دور البويضة والحيوان المنوي في تحديد جنس الجنين الوراثي عند الإنسان (Sexe_ genetique) إلّا في أواسط القرن العشرين، بعد اكتشاف الصبغيات الجنسية (Chromosomes Sexuels) مع العلماء (فون وينورتر Von Winiwarter ١٩٥٦)، و(بانتر Painter ١٩٢٣) و(تجيو ليفان Tjio Livan ١٩٥٦) فاليونان كانوا يعتقدون أن جنس الجنين ذكراً أو أنثى، تحدده نوعى سائل الرجل، فإذا كان سائل الرجل متأتياً من خصيته اليمنى فإن المولود سيكون ذكراً وإذا كان سائل الرجل متأتياً من خصيته اليسرى كان المولود أنثى!.. وبعضهم كان يعتقد بأن الجنين إذا نما في الجهة اليمنى من الرحم كان ذكراً وإذا نما في الجهة اليسرىٰ منه كان أنثى!

أما ارسطو، فقد كان يعتقد بأن المولد الذكر يتعلق بحالة تهيج الرجل عند الجماع أو عدمه!

وفي القرآن الكريم، نرى الإشارة واضحة إلى أن في النطفة (سواء كانت نطفة الرجل أو المرأة) الأسس التي تحدد جنس الجنين: ذكراً أو أنثى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى. من نطفة إذا تمنى﴾[1].

أما مختلف مراحل تطور الجنين الأساسية من طور النطفة بالامشاج إلى طور العلقة، فالمضغة، فالعظام، فاللحم، فلقد أعطاها القرآن الكريم اسماً علمياً هو في الحقيقة وصف مجهري لأهم الصفات التي تميز كل طور من أطوار الجنين، علماً أن الجنين لا يتجاوز خلال هذه المراحل بضعة

---

١ ـ سورة النجم، الآيتان (٤٥ و٤٦).

مليمترات من الطول. ولقد جاء علم الجنين الوضعي لاحقاً يؤكد هذا الوصف القرآني الذي رآه من خلال المجهر...

وتكفي الإشارة هنا إلى أن طور تكوّن العظام يسبق تخلُّق اللحم. ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾[1]. وجاء علم الجنين الوضعي في النصف الثاني من القرن العشرين يؤكد بالصورة والتاريخ هذا الاعجاز القرآني، ولو كانت الحقيقة على العكس من ذلك، استغفر الله، لما كان هناك وحي أو كتاب!

ولقد جاءت الأحاديث الشريفة تفصّل بعض ما جاء في الآيات الكريمة التي تطرقت إلى علم الجنين، وفيها ما يذهل بشأن تحديد المدة الزمنية التي تتخلق خلالها أعضاء الجنين. وقد ثبت هذا لاحقاً في أواخر القرن العشرين في علم الجنين الوضعي. فاللحم والعظام والسمع والبصر والأعضاء الجنسية تبدأ بأخذ شكلها الإنساني منذ الأسبوع السابع للحمل، إلى أن يكتمل تخلّقها في أواخر الشهر السادس، مصداقاً لقول الرسول الكريم ﷺ: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصوّرها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها. ثم قال يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك...»[2].

على هذا، تلوح الكثير من الآيات القرآنية وبوضوح إلى شموها إعجازاً طبياً في مجال طب الأجنة نتناول بعضها بالبحث والدراسة لنخوض في نقدها بعد عرض آراء متباينة في هذا المجال ونختار في النهاية رأينا

---

١ ـ سورة المؤمنون، الآية (١٤).

٢ ـ من علم الطب القرآني، ص (٣٢ـ٣٦).

باعتدال. فنرىٰ أن بعض هذه الآيات يوحي بالاعجاز الطبي في القرآن ويخرج بعضها الآخر عن إطار تعريف الاعجاز، ولكن بوسعنا أن نذكرها باعتبارها «عجائب خلق الإنسان في القرآن».

مراحل تخلق الإنسان

القرآن وخلق النطفة:

يتناول القرآن الكريم موضوع خلق النطفة في بعض آياته، نذكر منها:

ـ ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾[1].

ـ ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين...﴾[2].

ـ ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم...﴾[3].

ـ ﴿يا ايها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من...﴾[4].

ـ ﴿ألم يك نطفة من منى يمني...﴾[5].

ـ ﴿خلق من ماء دافق﴾[6].

---

١ ـ سورة المؤمنون، الآية (١٢).
٢ ـ سورة السجدة، الآية (٦).
٣ ـ سورة غافر، الآية (٦٧).
٤ ـ سورة الحج، الآية (٥).
٥ ـ سورة القيامة، الآية (٣٧).
٦ ـ سورة طارق، الآية (٦).

ـ ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾[1].

تشير هذه الآيات إلى منشأ خلق الإنسان باعتباره التراب تارة، والنطفة تارة أخرى. ولنا أن نسلط الأضواء على مثل هذه الآيات من زاويتين وبأسلوبين تفسيريين، هما:

أ ـ خُلِق بنو الإنسان جميعاً من النطفة المتكونة أساساً من المواد الغذائية المتمثل في الجسم. وجميع هذه العناصر الغذائية، حيوانية المصدر كانت أم نباتية، وبالتالي سائر مكونات خلايا أجسام الكائنات الحية تنشأ من التراب وما ينمو مستخلصاً وجوده منه.

يقول صاحب تفسير «الأمثل» ذيل الآية: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾، أنهانشير إلى منشأ خلق بني الإنسان جميعاً، سواء آدم وأبناءه، فكلهم يعود إلى التراب وقد نشأوا من الطين.

ويكتب أحد الكتاب المعاصرين حول هذا الموضوع:

«لو نتأمل هنيهة في الخلق فإننا سوف ندرك ان كل ما يهب جسم الانسان الحياة من قبيل الفواكة، والخضار، والغلات، والمكسرات، والقمح والرز وبشكل عام ما يشغّل محرك جسم الإنسان، ينشأ من التراب فنطفة الإنسان نفسها تتولد عن أطعمه متنوعة استمدت قوتها مباشرة من التراب، ومن العناصر الفاعلة في تشغيل محرك الجسم والتي تتوفر في التربة أيضاً هي: الكالسيوم والصوديوم، والبوتاسيوم، والحديد، والنحاس، والمولبيديم، والكبريت، والكاميول، والكوبالت، والمغنيسيوم والمنغنيز، والخارصين، والالمنيوم، الروبيديوم. ويدخل (باستثناء واحداً واثنين منها)

---

١ ـ سورة الدهر، الآية (٢).

في بناء الدم في حدود عدة ميكروغرامات في كل (١٠٠) سانتيمتر مكعب في الدم. أما العناصر التي يزخربها الجسم فإنها الاوكسجين والكاربون والنيتروجين والهيدرجين.

أجل، إنه هو ذات الموضوع الذي ذكره القرآن قبل أربعة عشر قرناً وجاءت اكتشافات العلم الحديث في حقل الجنين الإنساني لتؤكده بحذافيره فقد أقر العلم نشأة البناء الجسماني للإنسان من التراب بعد أن أثبت أن نطفة الرجل والمرأة تتكون من ذات المواد والعناصر التي تتكون منها التربة[١].

ويؤكد الدكتور بيآزار شيرازي بدوره مثل هذا المعنى لكلمة «الطين» في تفسيره الآية الشريفة[٢].

ب ـ النبي آدم عليه السلام هو الشخص الوحيد الذي خلق من التراب (أي ان الخلق الأولي نشأ عن التراب وبهذا ينسب خلق بني آدم أساساً إلى التراب). وقد خلق سائر الناس من النطفة.

يقول مصباح يزدي في هذا السياق: «خلق الإنسان لأول مرة من التراب أو الطين بينما خلق بني الإنسان في المراحل اللاحقة من النطفة. وبهذا يمكن أن ينسب نشأة بقية الناس من ناحية النشأة البعيدة إلى التراب ومن ناحية النشأة القريبة إلى النطفة»[٣].

أما تفسير الأمثل فقد جاء فيه ذيل الآية الشريفة: ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم...﴾: المرحلة الأولىٰ تتمثل في مرحلة التراب وهي

---

١ ـ دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ٢، ص ٤٣٥.
٢ ـ ماضي العالم ومستقبله، ص ٥٢.
٣ ـ دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ٢، ص ٤٣٦.

إشارة إلى خلق جدنا الأول من التراب أو إلى نشوء بني الإنسان عن التراب. فالعناصر الغذائية التي يتألف منها وجود الإنسان وحتى نطفته، حيوانية المصدر كانت أم نباتية فإنها تستحصل أساساً من التراب.

وعن تفسير الآيات محل البحث وأسرارها العلمية يرى الرضائي الاصفهاني: إن إذعاننا لصحة التفسير الثاني معناه نفي الاعجاز العلمي. وإن تبنينا التفسير الأول فإن الموضوع يتحدد عندئذ بإشارة قرآنية علمية من روائع القرآن دون أن يبلغ شأو الإعجاز، لأن استفادة الانسان من النباتات والحيوانات وخيرات الأرض أمر ملحوظ حسياً لجميع الأشخاص علىٰ مر التاريخ ولم تضف الايماءة القرآنية المقتضبة إلى هذه العناصر»[1].

تحليل:

لابد لنا أن نقول أن جميع الأطوار التي تشير إليها الآية تقع على امتداد بعضها، وأن الله عز وجل يعرض حقيقة واحدة بأساليب تعبيرية متباينة دون أن يكون ذلك دليلاً علىٰ أن كل من هذه الآيات يشير إلى مرحلة خاصة منفصلة من خلق الإنسان. فكلنا نؤمن أن النشأة الأولىٰ للإنسان أي خلق جدنا الأول وسيدنا آدمﷺ تمت من التراب ونشأة الجيل الثاني وما تلته، من النطفة. وبما أنه استمد وجوده هو وحتى نطفته من العناصر الغذائية الناشئة عن التربة، بوسعنا أن نقول أن الإنسان مخلوق من التراب وأنه مخلوق من النطفة دون أن يكون هنالك أي تعارض بين المفهومين بالضبط مثلما نحلل حادث ما من وجهات نظر مختلفة، وأن نقدم تقادير

---

١ ـ معارف القرآن، ص ٣٣٠.

عديدة عن الحادث يتبنى كل منها إحدى تلك الآراء فتكون الأنباء المعروضة متباينة في ظاهر أمرها ولكنها جميعاً صحيحة تنبع من مصدر واحد.

إن هذه الاختلافات إنما ينشئها عامل الزمن الفاعل في تحديد نظرتنا، فالمخلوقات المادية تخضع لعامل الزمان والمكان بينما لا تتكبل المشيئة الالهية المقدسة بأي عامل محدد، فالأحداث والأمور المعروضة في القرآن بأي نحو من الأنحاء تتبنى في الواقع مفهوماً موحداً وتمايزها يعود إلى ما تقتبسه أذهاننا منها بشكل مختلف بالنظر لمحدودية استيعابنا وطاقتنا العقلية الدقيقة. إذاً، الإنسان ينشأ بالقوة من التراب وبالفعل من النطفة.

أما عن الاعجاز الطبي لهذه الآيات فإننا نعقب علىٰ مثل هذا الإدعاء بأن مفهومها لا يدخل في إطار التعريف المقرر للإعجاز، فالإشارة القرآنية في هذا المجال غامضة أولاً وهي، ثانياً ملحوظ ومكشوفة للجميع ولكنها دون شك من روائع الخلق ومن دقائق الأسرار التي يشير إليها الله في القرآن الكريم ويدرك أي باحث عن الحقيقة بالتأمل في مثل هذه الإشارات حقيقة كون هذا الكتاب سماوياً إلهياً. إن الله وإن اكتفىٰ في القرآن بالإشارة العابرة والإيماء إلى هذه العلوم، ولكنها إشارات تحفز الدوافع الأساسية في كيان الإنسان لتقصي الحقائق ذات الصلة بخلق الكائنات الحية طاعة لأمره تعالىٰ حيث يقول:

﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾[1].

---

١ ـ سورة العنكبوت، الآية (١٩).

مفهوم الماء في القرآن

تحدد الكثير من الآيات الماء باعتباره منشأ خلق الإنسان، ومن هذه الآيات:

- ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾[1].

وكذلك الآية:

- ﴿من سلالة من ماء مهين﴾[2].

و:

﴿من ماء دافق﴾[3].

يكتب صاحب تفسير الأمثل في سياق تفسيره الآية الشريفة: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾:

«يدور نقاش بين المفسرين حول: ما هو المقصود من الماء هنا؟»

يعتقد فريق منهم أن المقصود من «البشر» هو الإنسان الأول اي آدم عليه السلام. لأنه خلق من طين يعني خليط من الماء والتراب. إضافة إلى أن

---

١ ـ سورة الفرقان، الآية (٥٤).
٢ ـ سورة السجدة، الآية (٨).
٣ ـ سورة الطارق، الآية (٦).

الماء كان أول موجود خلقه بحسب الروايات الإسلامية. وخلق الإنسان من ذلك الماء. وتنكير «بشراً» شاهد علىٰ هذا المعنى.

ولكن فريق آخر منهم يرىٰ ان المقصود من «ماء» هو ماء النطفة حيث ينشأ منه جميع بني الانسان، بقدرة الله. ومع امتزاج نطفة الرجل «الحيوان المنوي» الذي يسبح في الماء مع «البويضة» نطفة المرأة تتكون أول نواة لحياة الإنسان، يعني الخلية الإنسانية الحية الأولىٰ...

والشاهد على هذا الرأي جملة وردت في آخر الآية وهي ﴿فجعله نسباً وصهراً﴾.

فضلاً عن هذا، فلا شك أن الماء يشكل القسم الأكبر من وجود الإنسان، بالصورة التي يمكن القول أن المادة الإساسية لوجود أي انسان هي الماء... وهذا الاحتمال وارد بالتأكيد أيضاً وهو أن جميع هذه المعاني تجتمع في مفهوم الآية. أي أن الإنسان الأول خلق من ماء، وأن تكوّن جميع بني الإنسان من ماء النطفة أيضاً وأن الماء يشكل أهم مادة في بناء جسم الإنسان أيضاً»[1].

يطرح هذا التفسير احتمالات ثلاثة نتبنى بدورنا ثانيها في هذا البحث كما لا يتنافى الاحتمال الثالث مع رأينا.

يقول الاستاذ مصباح يزدي في هذا الخصوص:

«إن لكل من النطفة والماء الدافق والماء هو ماء فيمكن ضمها إلى بعض. ولكل منها وجه إطلاقه. وبهذا نستوحي أن الماء بحسب التعبير القرآني لا ينحصر إطلاقه على المادة المتركبة من الاوكسجين والهيدروجين ويتمتع

١ـ تفسير الأمثل، الجلد ١١، ص ٢٥٢.

بخاصية التأين بل هو مصطلح بمفهوم واسع يشمل النطفة أيضاً. والماء الدافق هو الكثير ولا يتمثل بشيٍ سوى النطفة[1].

علىٰ هذا فإن مفهوم الماء بتركيبته المكونة من الهيدروجين والاوكسجين أكثراً انسجاماً مع مفهوم الآية: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[2]، وهو يشير إلى أحد الثوابت العلمية المبنية على توفر كمية كبيرة من الماء في جسم الانسان، أي أن الماء يكون الجزء الأعظم من جسم الإنسان حيث يشكل ثلثي وزن الخلية وهو ما يؤكده ارتباط حياة جميع الكائنات الحية بالماء.

ولكن هنالك آيات أخرىٰ لا يتجاوز تفسيرها احتمال واحد مثل الآية: ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾. حيث تفسر بأن (الجعل) في هذه الآية يعني «الخلق» و(النسل) أي الأبناء والأحفاد في جميع المراحل. والسلالة هي في الأصل عصارة وخلاصة الشيء، ويقصد بها في هذه الآية النطفة الإنسانية وهي خلاصة وجوده[3].

يشير الدكتور «موريس بوكاي» إلى ملاحظة دقيقة في هذه الآية قول: «إن القرآن وبتحدثه عن سائل فاعل الإخصاب يتكون من عناصر متنوعة ينبئنا بأن نسل الإنسان يتبلور مما يستخرج من هذا السائل. وهو ما تعنيه الآية (٨) من سورة السجدة. فكلمة سلالة تدل علىٰ شيء مستخرج من شيء آخر وهو ما يحدد أفضل جزء من شيء ما»[4].

---

١ ـ معارف القرآن، ص ٣٢٩.
٢ ـ سورة الانبياء، الآية (٣٠).
٣ ـ تفسير الأمثل، ذيل الآية (٢) من سورة السجدة.
٤ ـ «العهدين، القرآن والعلم»، ص ٢٧٢.

ونقرأ في كتاب «مع الطب في القرآن الكريم» فيما يخص الآية: ﴿من سلالة من ماء مهين﴾: هكذا نجد ان من بين مئات الملايين من النطاف التي بدأت السباق، لا يصل سوى العشرات إلى البييضة، وتموت النطاف الباقية صرعىٰ على الطريق، ومن تلك العشرات التي وصلت، تدخل البييضة نطفة واحدة فقط، تشاركها في عملية الالتحام المصيري. ويمكن استشفاف ذلك من قوله تعالىٰ وهو يذكر الإنسان حيث كان نطفة من نصف مليار، كلها متجهة إلى البيضة، فقال في سورة القيامة (الآية ١٧): ﴿ألم يك نطفة من مني يمنى﴾ وقوله في سورة السجدة (الآية ٨): ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾[١].

وتويد الاكتشافات العلمية الحديثة بدورها هذا الموضوع:

«تمر عملية التلقيح، وهي تلاقح الحيوان المنوي الذكري مع بييضة المرأة، بمراحل ثلاث، فالمرحلة الأولىٰ: مرحلة تغلغل الإكليل المتشعع حيث لا يبلغ محل التلقيح من بين (٢٠٠ـ ٣٠٠) مليون حيوان منوي يوفد على الجهاز التناسلي للمرأة سوى (٣٠٠ـ ٥٠٠) ألف منها ولا يلقح البييضة سوى أحدها. ويحتمل أن تعين البقية الحيوان الملقح للبيضة في عملية اقتحامها، وبذلك ينزلق الحيوان المنوي المخصب إلى داخل خلايا الاكليل المتشعع»[٢].

ويؤكد الكثير من الباحثين ترادف معنى لفظتي (الماء) و(النطفة) في مثل هذه الآيات[٣] وبعضهم يفسر معنى النطفة بأنها البيضة الملقحة بالحيوان

١ـ «مع الطب في القرآن الكريم»، ص ٧٧.

٢ـ علم الجنين لانجلمان، ص ٤٣.

٣ـ انظر التمهيد، المجلد ٦، ص ٦٣ و«الاعجاز العلمي في القرآن الكريم»، ص ٢٧٥.

المنوي في الطور الجنيني الأول[1].

تحليل:

قد تدل لفظة الماء في كل من الآيات القرآنية على مفهوم يختلف عنه في سائر الآيات الأخرى، فلا ضرورة لتحديد مفهوم الماء بما ينسجم مع أحد هذه الاحتمالات المذكورة فقط.

فمفهوم الماء في الآية ﴿وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي﴾، يدل على خلق الكائنات الحية (الإنسان والحيوان والنبات و...) واكتسابها الحياة من الماء، وليست هنالك من ضرورة أو داع لئن يتماثل مفهومه في هذه الآية الشريفة مع مفهومه في بقية الآيات الأخرى. بينما يذهب المفسرون إلى أن مفهوم الماء في الآية ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ قد يعني الماء المركب من الاوكسجين والهيدروجين، والذي يمثل الجزء الأكبر من مكونات الخلايا الحية، وقد يكون معناه النطفة التي يكتسب منها جميع بني الإنسان حياتهم ووجودهم بفضل القدرة الالهية. إلّا أن الماء في الآية ﴿من سلالة من ماء مهين﴾ أو ﴿من ماء دافق﴾ يتحدد في السائل الدخيل في الإخصاب أي النطفة ولا ارتباط له بالماء الذي تنطلق منها حياة جميع الكائنات الحية.

أما عن شمول الآية التي تشير إلى مختلف مفاهيم «الماء» على الاعجاز الطبي، فلابد لنا أن نقول إننا بالإمعان في أي من هذه المفاهيم نستوحي مظهراً من مظاهر عجائب الخلق والأسرار التي تستبطنها، لاسيما إشارة

---

١ ـ من علم الطب القرآني، ص ٤٩.

الآية إلى كلمة «سلالة». والملاحظة الدقيقة التي يـذكرها حـولها بـعض الكتاب المعاصرين. ومع هذا لا يمكن الادعاء بأن هذه الأمور تدخل في إطار تعريف الاعجاز، فارتباط حياة الكائنات الحية بالماء موضوع يدركه أي انسان ببساطة دون ان يكون بحاجة لحيازة معلومات وعلوم معقدة. وحتى لو تبنينا مفهوم الماء المتوفر في الخلايا الحية وبنسبة $\frac{٢}{٣}$ من حجمها، فإنه ليس هنالك من دليل أو قرينة تثبت إشارة الآية الشريـفة إلى هـذا الموضوع بالذات. فقد يكون مؤداها الاحتمال الآخر في تفسيره.

أما مفهوم الآية بمعنى النطفة، فإننا نجد أن بعض علماء ما قبل الاسلام مثل ارسطو وجالينوس أشاروا إلى هذه الملاحظة حول نشأة الانسان إثر تلاقح نطفة المرأة والرجل كما سنشير إليه في أبحاثنا اللاحقة.

التقدير الالهي للإنسان بعد خلق النطفة

قال تعالىٰ: ﴿.. من نطفة خلقه فقدّره﴾[1].

يذهب الدكتور الجميلي إلى انضمام هذا الآية إلى الآيات الدالة على الاعجاز الطبي للقرآن، فيرىٰ أن للتقدير معنى عظيم، قائلاً:

«فعندما ننظر ونتأمل بشيء من التأني لقوله تعالىٰ: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ نجد أن التقدير جاء بعد الخلق مباشرة. وهنا اعجاز طبي قرآني رائع إذ أن خلايا جسم الإنسان كما أوضحنا آنفاً تنقسم تباعاً أثناء النمو، فالنطفة والبيضة (الأمشاج أو الجاميطات) ينقسم كل منها اختزالياً ليتكون من كل منها نصف عدد الكروموسومات أو الصبغيات في الخلية الجسدية العادية. ومع ذلك... النطفة تحمل ٥٠٪ من صفات الأب والبويضة تحمل ٥٠٪ من صفات الأم وبالتحام الحيوان المنوي بالبويضة تتكون اللاقحة، جامعة بين صفات الأب وصفات الأم. ولذلك يكون تقدير الحق سبحانه وتعالىٰ لهذه اللاحقة إما ذكر أو أنثى بتركيب صبغي جديد[2].

ويشير الدكتور ارناؤوط أيضاً إلى هذا الموضوع منوهاً هي خاتمة

١ـ سورة «عبس»، الآية (١٩).

٢ـ الاعجاز الطبي في القرآن، ص ٤٩.

حديثه إلى أن الخلية الجديدة لا تحمل وراثياً صفات الأم فقط بل جميع الصفات الوراثية للأم والأب فقد روعيت العدالة في تقسيمها كمياً ونوعياً»[1].

ولتحليل ما ذكرناه آنفاً نبدأ بتدارسها من الوجهة العلمية. فالانقسام الاختزالي (الميوزي) نوع من الانقسام الخلوي يختزل فيه عدد الصبغيات الوراثية في الخلايا المولدة بغية تكوين نطفة الرجل والمرأة أي الحيوان المنوي والبويضة. يثمر هذا النوع من التقسيم تنوعاً وراثياً إثر تبادل الصبغيات الجديدة وتكون الخلايا التناسلية سواء المذكرة أو المؤنثة فردانية[2] (أحادية المجموعة الصبغية) لاحتواء نواتها علىٰ نصف عدد الصبغيات الموجودة في الخلايا الجسدية العادية. ويعود عدد الصبغيات بعد التلاقح إلى ما كانت عليه بعد تكون الخلايا الضعفانية (ثنائية المجموعة الصبغية)[3].

يبدو أن ما يذكره الدكتور الجميلي حول الشأن الطبي في هذه الآية صحيح لا لبس فيه. ولنحدد مدى انسجام ذلك بالفعل مع مضمون الآية الشريفة نعود إلى كتب التفاسير:

نقرأ في تفسير الميزان:

«فقدّره أي أعطاه القدر في ذاته وصفاته وأفعاله، فليس له أن يتعدى الطور الذي قدر له ويتجاوز الحد الذي عين له»[4].

---

١ ـ الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص ٢٨.
٢ ـ haploid: تحتوي علىٰ (٢٣) كروموسوم و(diploid) تحتوي على (٤٦) كروموسوم.
٣ ـ انظر الفيزيولوجية الطبية، المجلد ٢، ص ٧٩٢ وكذلك «علم الجنين» لانجلمان، ص ١٧.
٤ ـ تفسير الميزان، المجلد ٢٠، ص ٣٣٨.

أما صاحب تفسير الأمثل فإنه يقول:

«قَدَّره: من (التقدير)، وهو الحساب في الشيء.. وكما بات معلوماً أن أكثر من عشرين نوعاً من الفلزات وأشباه الفلزات داخلة في التركيب البيولوجي للإنسان، ولكل منها نسبة معينة ومحسوبة بدقة متناهية من حيث الكمية والنوعية.

يتعرض نظام وجود الإنسان للاختلال والإنهيار بأدنى اختلال يطرأ على هذه النسب. بل ويتجاوز التقدير حد البناء الطبيعي للبدن وارتباط الأعضاء مع بعضها ليشمل حتى المواهب والغرائز والميول المودعة في الإنسان الفرد، بل وفي البشرية جمعاء. وقد وضعت هذه المواصفات التكوينية بالحساب ليتمكن الإنسان من تحقيق السعادة الإنسانية المنشودة.

إن الله هو منفذ جميع هذه الحسابات في خلق هذه النطفة الوضيعة شاناً والمتناهية في صغرها حجماً، فلو جمعت الخلايا الأصلية في خلق الإنسان (الحيوانات المنوية) المتواجدة في ماء النطفة (وبعدد جميع بني الإنسان) لما ملأت كشتبان واحد. أجل لقد أودعت كل هذه المواهب والبدائع في مثل هذا المخلوق الضعيف وهو خير دليل يستهدىٰ به في معرفة الله والتوحيد.

وقيل أن التقدير بمعنى التهيئة.

وثمة احتمال آخر يحدد التقدير بمعنى إيجاد القدرة في هذه النطفة...»[1].

بينما يؤكد بعض المفسرين في تفسير كلمة (قدرة) أنه بمعنى «أنشأه خلقاً

---

١ ـ تفسير الأمثل، سورة عبس ذيل الآية (١٩).

بعد خلق وطوراً بعد طور»[1].

تحليل:

خلصنا مما ذكر أن التقدير لفظة واسعة الافق كثيرة المعاني، فمن أوضح معانيها تحديد المقدار والتنسيق ومنح القدرة. كما أن الآية لا تنطوي على أي دليل يوحي بالمعنى الذي يؤكده الدكتور الجميلي حيث يمكن تعميم معنى «التقدير» فيها بمفهوم التنسيق بين جميع العناصر الدخيلة في خلق الإنسان لأن عملية تحديد المقدار هذه لم تنفذ فيما يخص الانقسام الخلوي وعدد الصبغيات فقط بل في خلق أدق أعضاء جسم الإنسان أيضاً. وتفسير هذه الآية على هذا النحو الذوقي لا يعدو كونه تكلفاً.

على هذا نستوحي من الآية أن التقدير لم يراع في جميع أطوار تخلق الإنسان بل في نشأة جميع المخلوقات في عالم الوجود. وليس في هذه الآية ما يحملنا علىٰ القول بشمولها على الاعجاز العلمي لأنها تتناول الموضوع بشكل عام بعيداً عن المصاديق الخاصة حيث أننا نشهد حالة التقدير في جميع مراحل تخلق الإنسان المشار إليها في الآية الشريفة.

---

١ ـ تفسير الكاشف، المجلد ٧، ص ٥١٨.

الصلب والترائب

قال تعالىٰ: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب﴾[1].

يرى مؤلفا كتاب «مع الطب في القرآن الكريم» أن الآية الكريمة أشارت علىٰ وجه الاعجاز والموعظة، يوم لم يكن تشريح ولا مجهر، إلى موضع تدفق المني من الإنسان قبل أن يخرج إلى ظاهر الجسم[2].

ولتحليل هذا الرأي نسبتين أولاً معاني كلمتي «الصلب والترائب»: «الصلب» لغوياً تعني كل شيء قوي وصلب. ولهذا تطلق على الرجل[3]. والصلب عبارة عن العمود الفقري البادئ من ناحية ما بين الكتفين إلى نهاية الفقرات[4].

ويرى البعض أن الصلب هو مركز تكون نطفة الرجل، ما يستقر منه في القسم الخلفي أو القدامي من العمود الفقري، أي الموقع البدائي للأعضاء

---

١ ـ سورة الطارق، الآيات (٥ ـ ٧).

٢ ـ مع الطب في القرآن الكريم، ص ٣٣.

٣ ـ مفردات الراغب الاصفهاني، مادة «صلب».

٤ ـ انظر «التفسير الكبير»، ذيل الآيات (٥ ـ ٧) من سورة الطارق وكذلك تفسير البصائر، المجلد ٥٤، ص ٢٩٠ وتفسير الميزان.

التناسلية الذكرية والانثوية (الرحم)[1].

جاء في كتاب «مع الطب في القرآن الكريم».

«الصلب»، يشمل العمود الفقري الظهري والعمود الفقري القطني، وعظم العجز. ويشتمل من الناحية العصبية على المركز التناسلي الآمر بالانتعاظ ودفق المني وتهيئة مستلزمات العمل الجنسي. كما أن الجهاز التناسلي تعصبه ضفائر عصبية عديدة ناشئة من الصلب، منها: الضفيرة الشمسية والضفيرة الخثلية والضفيرة الحوضية. وتشتبك في هذه الضفائر الجملتان الودية ونظيرة الودية المسؤولتان عن انقباض الأوعية وتوسعها، وعن الانتعاظ والاسترخاء وما يتعلق بتمام العمل الجنسي. وإذا أردنا أن نحدد ناحية الصلب المسؤولة عن هذا التعصيب، قلنا أنها تحاذي القطعة الظهرية الثانية عشرة والقطنية الأولىٰ والثانية والقطع العجزية الثانية والثالثة والرابعة[2].

أما «الترائب»، فإنها مشتقة من (الترب) أي الشيئين الندين المتكافئين.

فسر بعض المفسرين معنى «الترائب» بأنه الأعضاء الزوجية المتماثلة في جسم الإنسان، كما في أصابع اليدين وعظمي الساقين[3]، بينما حدده الطبرسي في «مجمع البيان» بأنه «العظم في صدر المرأة»[4]، والعلامة

١ـ انظر: أول جامعة علمية وآخر نبي مرسل، المجلد ١، ص ٢٤٧.
٢ـ مع الطب في القرآن الكريم، ص ٣٢.
٣ـ معجم مقاييس اللغة، المجلد ١، ص ٣٤٦.
٤ـ مجمع البيان، المجلد ١٠، ص ٤٧٠: «قال صلب المرأة وترائب المرأة، والوليد لا يكون إلّا من الماءين... سئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثديبه. وقيل ما بين المنكبين والصدر.

الطباطبائي في «الميزان» بأنه «عظم الصدر»[1].

وأفضل ما يستقر الرأي عليه هو أن «الصلب» هو العمود الفقري في ظهر الرجل و«الترائب» عظمي ساقيه، فعبارة «يخرج من بين الصلب والترائب» تعود لـ«ماء دافق»[2]. والماء الدافق هو مني الرجل، فيكون معنى الآية: «يخرج مني الرجل من بين ظهره وعظمي ساقيه»، وهو ما يقول به آية الله «معرفت» أيضاً[3].

نعود إلى كتاب «مع الطب في القرآن الكريم» حيث يذكر مؤلفاه: الماء الدافق هو ماء الرجل أي المني يخرج من بين صلب الرجل وترائبه (أي أصول الأرجل)، أصبح معنى الآية واضحاً لأن معظم الأمكنة والممرات التي يخرج منها السائل المنوي.. تقع من الناحية التشريحية بين الصلب والترائب، فالحويصلان المنويان يقعان خلف غدة الموثة «البروستات» والتي يشكل إفرازهما قسماً من السائل المنوي، وكلها تقع بين الصلب والترائب..

وبهذا المعنى يصح أن نقول: انه خرج من بين صلب الرجل كمركز عصبي تناسلي آمر، وترائبه كمناطق للضفائر العصبية المأمورة بالتنفيذ[4].

لنا أن نخلص مما ذكر أن الآية الكريمة لم تنوه لمحل تكون سائل المني بل للمركز العصبي الخاص بضبط عملية الإفراز والسيلان.

ويستند صاحب «التفسير الكبير» إلى كون الدماغ هو دون شك أنشط

---

١ ـ تفسير الميزان، المجلد ٢٠، ص ٤٣١.

٢ ـ انظر تفسير البصائر، المجلد ٥٤، ص ٢٩٠.

٣ ـ انظر «التمهيد»، المجلد ٦، ص ٦٤.

٤ ـ «مع الطب في القرآن الكريم»، ص ٣٣.

أعضاء الجسم في إفراز المني، ويشاركه في هذه العملية امتداده النخاعي الواقع بين الصلب والألياف الكثيرة المتفرعة منه إلى جميع الأقسام الأمامية من الجسم والتي تسمىٰ «التريبة»، فيقول بأن الله تعالىٰ خصّ الرجل بهذين العضوين[1].

ويؤكد آية الله «محمد هادي معرفت» صحة هذا المعنىٰ بعد عرض رأي «د. حسن الهويدي» في شأن تفسير الآية[2].

أما ناصر مكارم الشيرازي فإنه يذكر: أهم عامل في إفراز المني هو «النخاع الشوكي» المستقر في ظهر الرجل[3].

ومن الوجهة العلمية فإننا نطالع في المصادر العلمية بأن القذف انعكاس نخاعي مزدوج يشمل الإفراز (أي خروج المني) وسيلانه في داخل المجرى البولي.

فالإفراز انعكاس ودي سمبتاوي يتبلور في النخاع الشوكي الظهري الفوقاني... ويتم بواسطة تقلصات العضلة الملساء في المجاري الناقلة والحويصلان المنويان رداً على الايعازات المرسلة عبر الضفيرة الخثلية ثم يقذف المني إلى خارج المجرى البولي عن طريق تقلص إحدى العضلات الهيكلية وهي العضلة البصلية الكهفية (Bulbocavernosus). تقع مراكز هذا الانعكاس النخاعي في النخاع القطني التحتاني وفي ناحية العجز الفوقاني من النخاع فيمر عبر ممر انتقاله من جذور العصب النخاعي

---

١ ـ «التفسير الكبير»، المجلد ٣١، ص(١٢٩ ـ ١٣٠).
٢ ـ «التمهيد»، المجلد ٦، ص ٦٥.
٣ ـ تفسير الأمثل.

العجزي الأول وحتى الثالث ثم الأعصاب الفرجية[1].

ويرىٰ صاحب كتاب «دراسة حول الاعجاز العلمي للقرآن» أن المقصود من «بين الصلب والترائب» في الآية الشريفة هو الماء المتدفق باندفاع، ويعود مصدره لما بين ظهر الرجل وعظامي ساقيه. يتحدث عنه القرآن الكريم ببالغ الفصاحة والبلاغة، وكذلك بغاية الأدب. فعند عرض قضايا جنسية خلال آيات القرآن المباركة يلاحظ فيها تطبعها بمنتهى الأدب فلا يصرح القرآن عن اسم العضو التناسلي للإنسان. ويؤكد الرضائي الاصفهاني أن هذا التعبير القرآني هو إشارة لطيفة لبعض القضايا العلمية مما يوضح الشأن العظيم لهذا الكتاب السماوي؛ ولكنه لا يمثل اعجازاً علمياً للقرآن. فانبثاق المني من جسم الانسان ومن جهازه التناسلي بالذات (من بين الظهر وعظمي الساقين) أمر مكشوف للإنسان ولم يأت القرآن بخبر غيبي في هذا الخصوص[2].

تحليل:

يكون رأي الرضائي الاصفهاني صائباً فيما لو تحدد تفسير لفظة «الصلب» بمعنى (الظهر) ولكن عند أخذها بمعنى العمود الفقري الظهري وحتى نهايته عند منفذ النخاع يتعين علينا الإذعان لشمول هذه الآية الشريفة على الاعجاز الطبي، فإلى جانب جهل الناس في عهد نزول القرآن بهذه الحقيقة العلمية، كان من المتعذر كشف مثل هذه الحقيقة، بأي طريق، في تلك البرهة الزمنية.

---

١ ـ انظر كتاب «الفيزيولوجية الطبية لوليام جانونغ، المجلد ٢، ص ٨٢٢.
٢ ـ دراسة في الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ٢، ص ٤٥١.

مرحلة تخلق الانسان من النطفة المخصبة

النطفة لغوياً تعني السائل الضعيف أو قد تطلق على الماء النقي قليلة أو كثيرة. وتشمل ما يفرزه كل من الرجل والمرأة خلال الممارسات الجنسية. إذاً يسمىٰ ماء الرجل والمرأة «النطفة» بالنظر لتطبعه بحالة السيلان[1]. على هذا لا تتحدد لفظة النطفة بما يتعلق بالرجل بل يشمل كلا الرجل والمرأة.

والنطفة اصطلاحاً تطلق في علم الطب على الجاميط أو الخلية التناسلية المسماة الحيوان المنوي (عند الذكور) وتصب في الأنابيب المنوية وتتكامل فيها وتصبح بالتدريج على أهبة الاستعداد للانطلاق ـ والبويضة (عند الإناث) ـ وتظهر في شكل فقاعات على سطح المبيضين (الحويصلات الأولية) وتطلق واحدة منها بعد حوالي (١٤) يوماً من بدء الحيض في كل شهر ـ وتكون محاطة بمادة مكثفة ـ[2].

وتأتي لفظة النطفة بمعان كثيرة في القرآن الكريم حيث تذكر فيه تارة

---

١ ـ انظر مفردات الراغب الاصفهاني ومصباح اللغة للفيومي والتحقيق في كلمات القرآن الكريم، المجلد ١٢، ص (١٥٨ ـ ١٦٠).

٢ ـ انظر «أول جامعة علمية وآخر نبي مرسل»، المجلد ١، ص ٢٤٨.

بمعنى النطفة على الاطلاق وأخرىٰ بمعنى النطفة الملقحة وأحياناً بمعنى النطفة المنوية ما في الآية: ﴿ألم يكن نطفة من مني يمنى﴾[1]، أو ﴿وإنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى﴾[2].

أما الحديث عن النطفة علىٰ وجه الإطلاق فإنما يقصد بها البويضة الملقحة بعد التلاقح مع الحيوان المنوي، كما في الآية ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة﴾[3]، حيث يؤكد المفسرون أن المراد من «القرار المكين» في هذه الآية هو (الرحم). ولا تستقر النطفة في الرحم إلّا بعد تلاقح البويضة مع الحيوان المنوي[4].

أما عن سياق الآيات: ﴿إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة...﴾[5] و﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم...﴾[6]، فإنهما ينسابان في سياق مماثل للآية (١٣) من سورة المؤمنون.

يكتب آية الله «محمد هادي معرفت» في هذا الشأن: تطلق النطفة على ثلاث:

١ـ نطفة الرجل أي الحيوان المنوي.

٢ـ نطفة المرأة أي البويضات.

٣ـ النطفة الملقحة (الأمشاج) وهي مزيج من ماء الرجل والمرأة، أي

١ـ سورة القيامة، الآية (٣٧).
٢ـ سورة النجم، الآيتان (٤٥ و٤٦).
٣ـ سورة المؤمنون، الآيتان (١٣ و١٤).
٤ـ انظر تفاسير: مجمع البيان، المجلد ٧، ص ١٠٠ والميزان، المجلد ١٥، ص ٢٤ والأمثل ذيل الآية (١٣) من سورة المؤمنون.
٥ـ سورة الحج، الآية (٥).
٦ـ سورة غافر، الآية (٦٧).

البويضة الملقحة[1].

إذاً، يؤيد صاحب «التمهيد» ما ذكرناه من أن القرآن الكريم يذكر كلمة النطفة في بعض الحالات تعبيراً عن «الأمشاج» (أي النطفة الملقحة) المتكونة من تلاقح البويضة والحيوان المنوي. أما سائر المفسرين وأصحاب الرأي فأن بعضهم يذكر تفاسير أخرىٰ لهذه الكلمة تعرضها فيما يلي:

يقول صاحب «مجمع البيان» عند تفسيره الآية (٢) من سورة الإنسان «الأمشاج أي أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة في الرحم، فأيهما علا ماء صاحبه كان الشبه له (عن ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد). وقيل أمشاج: أطوار، طوراً نطفة وطوراً علقة وطوراً مضغة وطوراً عظاماً إلى أن صار إنساناً (عن قتادة). وقيل إذا أراد اختلاف ألوان النطفة، فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء، فهي مختلفة الألوان (عن مجاهد والضحاك والكلبي وروي أيضاً عن ابن عباس). وقيل نطفة مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض (عن الحسن). وقيل: هي العروق التي تكون في النطفة (عن ابن مسعود). وقيل أمشاج أخلاط من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة، جعلها الله في النطفة ثم بناه الله البنية الحيوانية المعدلة الأخلاط، ثم جعل فيه الحياة ثم شق له السمع والبصر، فتبارك الله رب العالمين، وذلك قوله: ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾[2].

---

١ ـ انظر: التمهيد، المجلد ٦، ص ٨١.

٢ ـ مجمع البيان، المجلد ١٠، ص (٤٠٦ ـ ٤٠٧).

ويفسر الطباطبائي كلمة الأمشاج وهي جمع كلمة مشيج بأنها تعني المخلوط والممزوج وبأن النطفة هي مزيج من ماء وأن كلمة نبتليه المشتقة من «الابتلاء» يستوحىٰ منها معنى انتقال الشيء من طور إلى طور آخر كما في القول بابتلاء الذهب في البودقة لتتحول سائلاً مذاباً يمكن صياغته بنحو آخر. فالله سبحانه وتعالىٰ يبتلي الإنسان بحسب رأي الطباطبائي فيتحول من نطفة إلى علقة ومن علقة إلى المضغة وهكذا تتولىٰ الأطوار حتى ينتهي إلى خلق آخر. وينوه الطباطبائي إلى ما ذكره بعض المفسرين حول معنى الابتلاء بأنه الاختبار بالتكليف، ولكنه يراه تفسيراً لا ينسجم مع عبارة «فجعلناه سميعاً بصيراً»[1].

وفيما يخص معنى كلمة «الأمشاج نقرأ في تفسير الأمثل:

«الأمشاج هي الشيء الممتزج، فخلق الإنسان من «النطفة الممتزجة» قد تكون إشارة إلى امتزاج نطفة الرجل والمرأة وتلاقح الحيوان المنوي والبويضة كما أشير إلى ذلك بالإجمال في روايات أهل بيت رسول الله ﷺ ـ أو أنها إشارة إلى المواهب المختلفة الكامنة في النطفة والمنتقلة وراثياً عن طريق المورثات (الجينات) وما إليها ـ أو أنها إشارة إلى امتزاج المواد المختلفة الدخيلة في تركيب النطفة المتكونة من عشرات المواد المختلفة أو اختلاط جميع هذه المواد مع بعضها. والمعنى الأخير هو أنسبها وأكثرها شمولية كما يحتمل أن تشير كلمة الأمشاج إلى ما تمر به النطفة من أطوار خلال المرحلة الجنينية[2].

---

١ ـ انظر تفسير الميزان، المجلد ٢٠، ص ١٩١.

٢ ـ تفسير الأمثل.

ويقول الدكتور الشهيد رضا باكنجاد: إن النطفة المكونة للإنسان هي مزيج من نطفة المرأة والرجل. وتتعرض نطفة الرجل والمرأة لبلوغ مرحلة التلاقح. وتكون الأمشاج ومن ثم الإنسان إلى بلايا وتحولات (منها الانقسام الاختزالي في الكروموسومات و...»[1].

ويكتب الدكتور «ارناؤوط» حول كلمة الأمشاج: «... فالأمشاج هي الأخلاط أو الجاميطات.. فالمشيج المذكر هو الحيوان المنوي الذي تنتجه الخصية، والمشيج المؤنث هو البييضة ينتجها المبيض، أي أن خلق الإنسان تم عن اختلاط مشيج ذكر مع مشيج مؤنث عن طريق الإخصاب فتكون نطفة أمشاج»[2].

أما مؤلف كتاب «ماضي العالم ومستقبله» فإنه يقول: بالامكان تفسير هذه الآية بثلاثة احتمالات:

أ ـ إن الإنسان مخلوق من نصف خلية مذكرة ونصف خلية مؤنثة (الحيوان المنوي والبويضة).

ب ـ ان نطفة الإنسان تتركب من «نصف حيواني ونصف ملائكي (العقل).

ج ـ إن الإنسان مخلوق من نطفة ممزوجة من العناصر الوراثية للأب والأم[3].

---

١ ـ أول جامعة علمية وآخر نبي مرسل، المجلد ١، ص ٢٥٤.

٢ ـ يؤيد مؤلف «الاعجاز العلمي في القرآن الكريم»، ص ٢٨١ والدكتور الجميلي في الاعجاز الطبي في القرآن، ص (٤٤ ـ ٤٥) ود. زكريا هميمي في «الاعجاز العلمي في القرآن الكريم»، ص ٩٥ هذا الرأي.

٣ ـ ماضي العالم ومستقبله، ص ٥٧.

لا يستصوب «موريس بوكاي» تفسير كلمة الأمشاج علىٰ أنها مزيج من العناصر المذكرة والمؤنثة حيث يرىٰ أن الأمشاج خليط من العناصر المكونة للنطفة مثل إفرازات الخصيتين أي الحيوانات المنوية العائمة في سائل مصلي وافرازات الحويصلان المنويان القريبان من الموثة (البروستات) وافراز خاص آخر لا يدخل في تركيبة العناصر الدخيلة في الإخصاب وإفرازات البروستات ذاتها وإفرازات الغدد التابعة للمجاري البولية[1].

ويكتب أحد الكتاب المعاصرين:

«لكلمة الأمشاج معان كثيرة ويزداد وضوح معناها في القرآن الكريم وأهمية فهمها مع تطور العلم البشري. فلاستيعابها مردودات فاعلة في حقل الأبحاث العلمية في مجال الوراثة، منها: تجزئة الكروموسومات بشكل دقيق. وهو ما يحوز بالغ الأهمية بالنظر لإمكانية الإفادة منها للتفاعل بشكل مطلوب إزاء الأمراض الوراثية ومظاهر مثل «الشيخوخة» حيث تحمل كل من الصبغيات الوراثية الستة والأربعين عشرات الآلاف أو مئات الآلاف من الصيغ الوراثية...»[2].

تحولات النطفة بعد مرحلة الإخصاب:

تمثل النطفة طوراً من أطوار الإنسان يبدأ منذ اليوم الأول للحمل أي تزامناً مع تلاقح الخلية التناسلية الذكرية مع الخلية التناسلية الانثوية خلال ما يسمىٰ بعملية «الإخصاب»، وتستمر حتى اليوم السادس من

---

١ ـ العهدين، القرآن والعلم، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ بتصرف.
٢ ـ التنبؤات العلمية في القرآن، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

بداية الحمل. يطلق على الجاميط المؤنث الملقح بالجاميط المذكر «البيضة» (Zegot) التي يعبر عنها القرآن الكريم بـ«النطفة» وهي خلية منفردة كبيرة في بداية تكونها ثم تبدأ مرحلة الانقسام الخلوي والذي يتم لأول مرة بعد حوالي (٣٠) ساعة من تلاقح الخليتين، فيزداد عدد الخلايا ويتضاءل حجمها. وفي بداية مرحلة ما بعد الاخصاب لا تزال النطفة خارج الرحم حيث تتم عملية الإخصاب (التلاقح) في انبورة «نفيري فالوب» (وهي الثلث الخارجي لانبوب الرحم وأوسع جزء منه يقع قرب المبيض) وتتواصل عملية انقسام البيضة حتى اليوم السادس عشر. ومع وصولها إلى الرحم تتخذ شكل كتلة من الخلايا الصغيرة يطلق عليها اسم «التوتة» (Marula) لشبهها بثمرة التوت، عندئذ تتمايز الخلايا السطحية فيها عن الخلايا الداخلية، وتصبح اسطوانية الشكل وتسمى الخلايا المغذية (Trophblast)، ووظيفتها تأمين الغذاء ويبلغ عدد الخلايا في هذه المرحلة (٥٠ـ ٦٠) خلية ولا يتعدى قطر الجنين فيها (٥) مليمترات حيث يبدأ التعشيش في مخاطية الرحم بواسطة استطالاته ويشغل السائل الذي يحيط بها الجزء الأكبر من حجمها[١].

تحليل:

بالإمعان فيما أوردنا حول هذه الآية المباركة نجد أن بالإمكان إضافة إلى الاحتمالات التي ذكرها الشيخ الطوسي في مجمع البيان والتي يتعين

---

١ ـ انظر «علم الجنين» لانجلمن و«من علم الطب القرآني» ٤٩.

تحليل كل منها، أن نفس كلمة الامشاج بحالات ثلاث:

١ـ الأمشاج هي امتزاج نطفة المرأة والرجل وتلاقح النطفتين وتكون الجنين منهما.

٢ـ الأمشاج هي مزيج من أوصاف الأب والأم انتقلت إلى الطفل بواسطة المورثات.

٣ـ الأمشاج هي خليط من العناصر المكونة لمني ونطفة الرجل.

قد يكون كل من الاحتمالات الثلاث صحيحاً فليس هنالك من دليل لترجيح أحدها على الاحتمالين الآخرين، فالتعبير القرآني عن النطفة بلفظة «الأمشاج» يراد به النطفة المتكونة من الأخلاط. وقد يكون لها مصاديق مختلفة دون أن يكون هنالك من مبرر لاستصواب أحدها ونبذ البقية كما يمكن أن نعتبر كل من هذه المفاهيم الثلاثة أحد البدائع القرآنية العلمية.

ولاثبات شمول هذه الآية على الاعجاز الطبي لابد أن نحدد معنى مؤكد واحد لكلمة الأمشاج لنتدارس بعد ذلك ما إذا كان الإنسان مطلعاً علىٰ هذه الأمور عند نزول الآية أم لا؟:

لو فرضنا أن كلمة الأمشاج تعني ما جاء في الاحتمال الأول، عندئذ يتوجب علينا أن نعلم هل كانت حقيقة امتزاج نطفة المرأة والرجل قد اتضحت للانسان قبل نزول القرآن أم لا؟

تقرأ في كتاب «القانون» لابن سينا أن جالينوس وأطباء آخرون يرون أن لكل من الرجل والمرأة «بذر» يسمىٰ «المني» ولكل منهما قابلية التصوير والتصور. وبينما تكون قابلية التصوير أقوىٰ في بذر الرجل، يتقدم بذر المرأة

من ناحية قابلية التصور[١].

وينقل العلامة المجلسي عن ارسطو وفريق من الحكماء أنهم كانوا يرون أن المرأة لا تفرز سائلاً بما هو معروف عن المني ولكن مبيضيها يفرزان مادة رطبة تشبه المني يطلق عليها مجازياً «المني» وعند امتزاج مني الرجل بهذه المادة الرطبة يتكون الجنين، أي أن المرأة تمثل العاقد والفاعل والرجل المنعقد والمنفعل[٢].

وبهذا يتبين لنا أن حقيقة امتزاج نطفة الرجل والمرأة (الأمشاج) كانت قد تجلت قبل نزول القرآن وليس في شمول الآية على مثل هذا الموضوع اعجاز علمي.

وإن تبنينا المفهوم الثاني لكلمة «الأمشاج» أي أنها خليط من أوصاف الأب والأم تنتقل إلى الطفل عن طريق المورثات، ففي هذه الحالة لابد أن نقول أنه رغم جهل الناس في ذلك العهد بماهية المورثات ولكنهم كانوا قد تنبهوا تلقائياً إلى أن الطفل المولود له شبه مع أبويه، والتفتوا عملياً إلى أن الأشخاص قد يحملون حتى أوصاف أجدادهم، ثم أثبتت الاختبارات الطبية والتجارب المختبرية في مجال العلوم التجريبية أن الصبغيات (الكروموسومات) الموجودة في الخلايا الجنسية تتعهد بمسؤولية نقل الأوصاف والأخلاق والخصائص الظاهرية بين الأجيال. علىٰ هذا، لا يعتبر هذا الموضوع اعجازاً علمياً في القرآن.

---

١ ـ انظر مجلة عالم الفكر، المجلد (١٥)، مقالة «الاسس النظرية الاسلامية» (نقلاً عن القانون في الطب، المقالة الأولىٰ من الفن العشرين، المجلد (٢)، ص (٥٣٢ ـ ٥٣٤).

٢ ـ انظر: بحار الأنوار، المجلد ٥٧، ص ٣٦٨ وكذلك «التمهيد»، المجلد ٦، ص (٧٢ ـ ٧٥).

أما عند تقبل الأمشاج بمعناه الثالث أي كونها خليط من مني الرجل ونطفته، فإننا نرىٰ أن القرآن لم يعرض العناصر المكونة للنطفة بل ذكر موضوعاً عاماً وغامضاً حتى نجح العلم في الكشف عن العناصر الموجودة في النطفة (المني) وهذا المفهوم هو الآخر لا يمثل اعجازاً علمياً.

القرار المكين

قال تعالىٰ: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه في قرار مكين﴾[1].

وقال: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم﴾[2].

نقرأ في كتاب مع الطب في القرآن الكريم بعد بيان الآية الثانية:

بهذا الأسلوب المعجز يشير تعالىٰ إلى حقيقتين علميتين ثابتتين ليس في علم الأجنة فقط، وإنما في علم التشريح والغريزة أيضاً.

الحقيقة الأولىٰ: هي وصف الآيات للرحم بالقرار المكين.

والحقيقة الثانية: إشارتها إلى عمر الحمل الثابت تقريباً أو ما أسماه القرآن: القدر المعلوم.

وكأني بالقرآن الكريم عندما أشار لهاتين النقطتين، إنما يتحدى علماء الأرض علىٰ مدار التاريخ، ويدعوهم للبحث والتأمل بهما لما تحتويان من الأسرار...

ثم يردف مؤلفا الكتاب توضيحاً لعبارة «القرار المكين»، بالقول:

---

١ ـ سورة المؤمنون، الآية (١٣).
٢ ـ سورة المرسلات، الآيات (٢٠ ـ ٢٣).

... نطفة ضعيفة لا ترىٰ إلّا بعد تكبيرها مئات المرات، جعلها الله في هذا القرار، فتكاثرت وتخلقت حتى اعطت هذا البناء العظيم وخلال هذه المرحلة كانت تنعم بكل ما تتطلبه من الغذاء والماء والاوكسجين في مسكن أمين ومنيع ومريح، وتحت حماية مشددة من أي طارئ داخلي أو خارجي، حقاً إن هذا الرحم لقرار مكين. ولكن كيف ذلك؟!!

القصة شيقة وممتعة لا يملك من يطالعها إلّا أن يسبح الخالق العظيم وهو يرىٰ تعاضد الآيات المختلفة: التشريحية، والهرمونية، والميكانيكية، وتبادلها في كل مرحلة من مراحل تطور الجنين، لتجعل من الرحم دائماً قراراً مكيناً[١].

وتشريحياً يقع الرحم (Uteri) في الحوض بين المثانة من الأمام والمستقيم من الخلف وهو عضو أجوف كمثري الشكل ذو جدران عضلية سميكة، وتمثل أفضل مكان لتلقف ورعاية وتغذية البويضة الملقحة. يتألف الرحم من ثلاثة أجزاء: قاع الرحم والجسم والعنق.

أ ـ (قاع الرحم أو المضيق) (Fundus): وهو جزء من الرحم يعتلي محل اتصال نفيري فالوب بالرحم. وبتلقي البويضة المنحدرة من المبيض يوفر لها بيئة مناسبة للتلاقح مع الحيوان المنوي ثم تدفعها حركة أهداب البوق والتقلصات العضلية الاستدارية المنتظمة لعضلات جدار البوق، كما توفر افرازات الخلايا التي تغطي انبوبي الرحم المواد الغذائية اللازمة للبويضة الملقحة.

ب ـ (جسم الرحم) (Body): وهو جزء آخر من الرحم يستقر تحت

١ ـ مع الطب في القرآن الكريم، ص ٨٨.

القاع، بينه وبين عنق الرحم.

ج ـ(عنق الرحم) (Cervix) حيث يبلغ طوله (٢/٥) سنتيمتراً وهو أكثر اسطوانية وضيقاً من جسم الرحم وبالنظر لاتصاله ببقية الأجزاء يكون أقل حركة منها.

وبدراسة نسيج التجويف الرحمي نجد أنه يتمتع بجدران قوية للغاية ويتكون عند تعشيش الجنين (تثبته في الرحم بواسطة استطالات البيضة) من طبقات ثلاث:

أ ـ(بطانة الرحم) (Endomytrium): وهو غشاء مخاطي يغلف الجدار الداخلي.

ب – عضلة الرحم وهي طبقة سميكة من العضلات الملساء.

ج – ظهارة الرحم وهي الصفاق المغلف للجدار الخارجي.

وهرمونياً يتسم الرحم في هذه الفترة بالخصائص التالية:

في موعد الإباضة تقريباً يبلغ سمك بطانة الرحم (٣ ـ ٤) مليمترات عندئذ تفرز غدد البطانة مادة مخاطية شعيرية. تستقر هذه الشعيرات المخاطية إلى جانب بعضها في مجرى عنق الرحم لتكون قنوات فاعلة في توجيه الخلايا الجنسية الذكرية. تحدث هذه التغييرات إثر إفراز هرمون الاستروجين الجنسي الذي يسجل إفرازه أقصى نسبة له في حوالي اليوم الرابع عشر من الدورة الشهرية عند الإناث .

وبعد الإباضة يزداد فجأة إفراز هرمون جنسي انثوي آخر وهو البروجسترون، وظيفته إعداد بيئة الرحم لتلاقح البويضة والحيوان المنوي الذكري. فمن نتائج افرازه تبلور التغييرات الإفرازية في بطانة الرحم مما

يؤهل الرحم لاستقبال البيضة الملقحة وتعشعشها فيه ويقلل هذا الهرمون كذلك من وتيرة تقلصات الرحم ويمنعه بالتالي من لفظ البيضة المتعشعشة فيه، ويؤدي إلى تعزيز إفرازات الغشاء المخاطي في مجاري الرحم بما يكسب هذه الإفرازات أهمية في تغذية البيضة الملقحة وهي في طور الانقسام خلال عبورها من قناة فالوب وتعشعشها في الرحم[1].

بأخذ القضايا العلمية المذكورة بالحساب نلخص إلى أن الرحم مقر أمين ومستقر رصين ثابت يمكن للنطفة بعد بلوغها هذا الملجأ أن تتحول بمشيئة الله إلى انسان كامل فيه.

تحليل آراء المفسرين في هذا السياق:

يقول صاحب تفسير الميزان:

النطفة: القليل من الماء وربما يطلق على مطلق الماء.والقرار... المراد به الرحم التي تستقر فيها النطفة، والمكين المتمكن وصفت به الرحم لتمكنها من حفظ النطفة من الضيعة والفساد أو لكون النطفة مستقرة متمكنة فيها والمعنى: ثم جعلنا الانسان نطفة في مستقر متمكن هي الرحم كما خلقناه أولاً من سلالة من طين أي بدلنا طريق خلقه من هذا إلى ذاك[2].

ويقول ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره لعبارة «قرار مكين» في الآية (١٣) من سورة المؤمنون:

---

١ ـ شگفتيهاى پزشكى قرآن كريم (من عجائب الموضوعات الطبية في القرآن الكريم)، حسن كريمي يزدي.
٢ ـ تفسير الميزان، المجلد ١٥، ص ٢٤.

«التعبير عن الرحم بالقرار المكين أي المقر الآمن، إنما هو إشارة إلى الموقع الخاص الذي يشغله الرحم في الجسم حيث يستقر في موقع أكثر أمناً وصيانة من سائر أجزاء الجسم، محفوظ من كل حدب وصوب فيحفظه العمود الفقري والقصبات الهوائية من جهة، وعظم الحوض القوي من جهة أخرىٰ وأغشية وجدران البطن من جهة ثالثة ويشكل دفاع اليدين حرزاً رابعاً له، وكلها أدلة علىٰ تمتع الرحم بموقع آمن»[1].

ثم أنه يذكر في مجال آخر ملاحظة ملفتة أيضاً في هذا المضمار بقوله:

«يمكن التنبه إلى عظمة الله من خلال بدائع خلق الإنسان في ظلمات الرحم وتمظهره بين آن وآخر بمظهر ودور جديد، كأن فريق من الرسامين الماهرين ومجموعة من الصناع المبدعين التفوا حول هذه القطرة الوضيعة من الماء وبذلوا جهودهم ليل نهار لتواصل هذه القطرة الضئيلة حياتها بهذه الدقة البديعة وهي تختار مختلف مراحلها ومعابرها الواحدة تلو الأخرىٰ.

ولو تيسر لنا تنظير مراحل نمو الجنين وتكامله بشكل كامل وعرض فلماً عنها أمام الأنظار لأدركنا مدى العجائب الكامنة في هذا الخلق، فرغم التطور البالغ الذي شهده علم الأجنة في عصرنا الحالي وأبحاث العلماء المتزايدة الخارجة عن نطاق الحصر وتجاربهم المختبرية في هذا المجال والتي كشفت لنا عن قضايا كثيرة إلّا أن الإنسان عند ما يطالع نتائج هذه الأبحاث ويرى انسجامها مع آيات القرآن المباركة والأحاديث المروية عن

---

١ ـ تفسير الأمثل، المجلد ١٠، ص ٣٨٣.

الائمة الأطهار عليهم السلام يترنم تلقائياً من صميم وجوده (فتبارك الله أحسن الخالقين).

أما صاحب تفسير أحسن الحديث فإنه بعد تأكيده علىٰ كون رحم الأم (القرار المكين بحسب رأيه أيضاً) هو الوعاء الوحيد الذي بإمكانه تحويل نطفة الإنسان إلى جنين وتعبيره عن بالغ دهشته من هذا الكيس، الغامض المحير للعقول صاحب القدرة على تنشئة خلية مجهرية وتحويلها إلى إنسان كامل، يذيل كلامه بالقول: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك»[1].

تحليل:

لتحليل شمول الآية الشريفة، التي تحدد الرحم باعتبارة «القرار المكين»، على الإعجاز الطبي، لابد أن نقول:

أولاً: إن هذه الآية أشارت بشكل إجمالي عام إلى الرحم باعتباره مقراً آمناً ورصيناً للجنين، ولم تتناول التفاصيل الفيزيولوجية والتشريحية و... في هذا السياق، وهو ما لا يتوقع منها، فالقرآن الكريم كتاب هداية للناس وليس دليلاً للعلوم الطبية، ويكتفي عند تطرقه هذه العلوم بإشارات عابرة.

فعبارة «قرار مكين» لا تتعدىٰ كونها تشير إلى أن الجنين يتعشعش في مقر آمن رصين لتتوفر له ظروف النمو والتكامل ويولد بعد انقضاء مدته المحددة. ولم يكن في هذه الإشارة مايتعذر على الناس في ذلك العهد التنبه له، فقد اختبروه عملياً وأدركوا أن الطفل يقضي فترة محددة من الزمن في

---

١ ـ تفسير أحسن الحديث، المجلد ٧، ص ١٠٩.

جوف أمه قبل ولادته وكانوا قد التفتوا إلى كون بطن الأم مقراً مناسباً لتكون الجنين وتكامله رغم جهلهم التفاصيل الدقيقة ذات الصلة بتشريح الرحم.

إذاً، كان في عرض هذا الموضوع تبياناً لعظمة هذا الكتاب السماوي من خلال إحدى الإشارات العلمية القرآنية حول أمر كان بمقدور بني الإنسان التنبه له: ولهذا لا يمكن القول بالاعجاز الطبي في هذه الآية.

مرحلة تخلق الإنسان من العلق

العلق في القرآن:

من المراحل التي يمر بها خلق الإنسان بحسب ما جاء في القرآن الكريم هي مرحلة «العلق». ذكرت لفظة «العلق» ستة مرات في القرآن الكريم خلال خمس من آياته:

١ ـ ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق﴾[١].

٢ ـ ﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة﴾[٢].

٣ ـ ﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة﴾[٣].

٤ ـ ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من علقة﴾[٤].

٥ ـ ﴿ألم يك نطفة من مني يمنىٰ ثم كان علقة فخلق فسوّى﴾[٥].

يرىٰ أغلبية المفسرين أن سورة «العلق» هي أول سورة نزلت علىٰ

---

١ ـ سورة العلق، الآيتان (١ و ٢).
٢ ـ سورة الحج، الآية (٥).
٣ ـ سورة المؤمنون، الآية (١٤).
٤ ـ سورة غافر، الآية (٦٧).
٥ ـ سورة القيامة، الآيتان (٧ و ٨).

قلب رسول الله ﷺ[١]. فيا للعجب لقد أختار الله تعالیٰ أن ينبئ الإنسان في أول آيات أنزلت إليه عن مراحل تكامل خلقه المنبثق من مخلوق ضئيل الشأن مثل «العلقة» في عهد عم فيه الجهل البيئة الاجتماعية في منطقة الحجاز وكان رسول الله ﷺ شخصاً أمياً لم يتلق العلوم قط. يذهب بعض الباحثين إلى أن الهدف من ابتداء نزول الوحي بسورة تحمل اسم «العلق» هو إثارة العقول. فالتفكير فيما بلغه جسم الانسان من نمو ونضج بنشوئه من العلق و«الماء المهين» إنما يثير عقول طالما تفاخروا بها، وتنبههم أيضاً ما إذا كان خالق هذه العقول هم أنفسهم حقاً[٢]؟

العلق لغوياً:

العلق جمع «علقة»[٣] وتعني الدم المتخثر والمنعقد، ويفسر «العلق» بأنه ضرب من الدود أسود يسمى بهذا الاسم لأنه يعلق في العضو أو أنه...[٤]، ولكن أصل جميع هذه المعاني يعود إلى مفهوم واحد وهو التعلق بشي ما وقد سمي الدود المذكور أو الجنين في هذا الطور من حياته «العلق» لتعلقهما بشيء آخر[٥].

١ـ انظر تفسير الميزان: المجلد ٢، ص ٥٤٦، وتفسير الامثل، سورة العلق.
٢ـ انظر: نظرات جديدة في القرآن المعجز، ص ٨١.
٣ـ تفسير مجمع البيان، المجلد ١٠، ص ٥١٣.
٤ـ تفسير مجمع البيان، المجلد ١٠، ص ٥١٣ وتفسير الميزان، وتفسير قبس من القرآن (پرتوى از قرآن)، المجلد ٤، ص ١٥٧، وكتابي «خلق الانسان بين الطب والقرآن»، ص ٢٠٤ و«الاعجاز العلمي في القرآن الكريم، ص ٩٨ و...
٥ـ مفردات الراغب الاصفهاني: مادة «العلق» و«التحقيق في كلمات القرآن»، المادة نفسها وتفسير قبس من القرآن و...

«العلق» من وجهة نظر المفسرين:

يفسر أكثرية المفسرين العلق بأنه «قطعة دم منعقدة»[1] ولكن صاحب تفسير الأمثل يذكر له احتمالات أربعة:

أ ـ هي البيضة المتكونة من الحيوان المنوي الذكري والبويضة الانثوية تظهر في شكل قطعة دم منعقدة بعد اجتياز المرحلة الأولية من تكونها، فتدخل تجويف الرحم وتتعلق ببطانته.

ب ـ قيل أيضاً أن العلق هو نطفة الرجل (الحيوان المنوي) ويسبح هذا المخلوق المجهري، الشبيه بدودة العلق إلى حد كبير، في ماء النطفة متجهاً نحو بويضة المرأة في الرحم فيتلاقح معها فيتكون منهما النطفة الكاملة للإنسان.

ج ـ وقيل أيضاً: أن العلق يعني «صاحب العلاقة، وفيه إشارة إلى الطابع الاجتماعي للإنسان، والعلاقة الموجودة بين أفراد البشر هي في الواقع أساس تكامل بني الإنسان وتطور الحضارات.

د ـ إن العلق في الآية يعني الطين الذي خلق منه آدم، وهو أيضاً مادة دبقية لزجة. وبديهي أن الرب الذي خلق آدم من طين لازب يستحق كل تعظيم وثناء.

ثم يردف قائلاً:

«القرآن بطرحه هذه المسألة يسجل معجزة علمية أخرىٰ من معاجزه، إذ لم تكن هذه الأمور مكشوفة أبداً في عصر نزوله.

ومن بين التفاسير الأربعة يبدو أن التفسير الأول أوضح، وإن كان

---

١ ـ تفسير مجمع البيان، المجلد ١٠، ص ٥١٣ وتفسير الميزان، المجلد ٢٠، ص ٥٤٨ و...

الجمع بين التفاسير الأربعة ممكن أيضاً[1].

«العلق» من الوجهة العلمية:

«العلقة» هي طور من أطوار تخلق الإنسان يبدأ منذ اليوم السابع من بدء الحمل ويستمر حتى الاسبوع الثالث منه ويكون الجنين في هذه المرحلة متعلقاً بالجدار الداخلي للرحم ليتغذىٰ من دم الأم. فإطلاق تسمية «النطفة» على المرحلة الأولىٰ من خلق الجنين هو تسمية كيميائية ولكن تسمية المرحلة الثانية باسم «العلقة» هي تسمية تشريحية ومجهرية لا يطلقها إلّا من يتمتع بعلم وإحاطة تامه بجميع المخلوقات وهو الله سبحانه وتعالىٰ.

لم يتم اكتشاف المجهر إلّا في القرن السابع عشر ولا يتجاوز قطر الجنين في هذه المرحلة اجزاء من المليمتر الواحد مما يجعل رؤيته بالعين المجردة وبشكل دقيق أمراً متعذراً. تتعلق العلقة بواسطة استطالتها برحم الأم لتتغذىٰ من دمها عن طريق شعيرات آكله وماصة كما تتعلق دودة العلقة في جلد المخلوقات لتتطفل علىٰ دمها.

تسمي العلوم الطبية الحديثة الجنين في هذه المرحلة من نموه «الكرة الجرثومة» (Plasto Cyte) وبعد اجراء دراسات دقيقة لوحظ أن الكرة الجرثومية تغور أكثر في بطانة الرحم ولا يبقىٰ منها في داخل التجويف الرحمي إلّا جزء يسير جداً منها. وفي نهاية العاشر يغور الجنين الأولي بشكل كامل في بطانة الرحم فيبدو محل تغلغله كأنه نقطة مغطاة بخثرة

---

١ ـ تفسير الأمثل، المجلد ٢٠، ص ٢٩٥.

دموية ليفينية وتنتهي عملية التعشيش في اليوم الحادي أو الثاني عشر حيث ينطمر الجنين الأولي تماماً في بطانة الرحم ويعود الغشاء المخاطي للرحم إلى ما كان عليه فلا يلاحظ في هذه المرحلة من النمو أي أثر لوجود الجنين الأولي سوىٰ ندبة صغيرة تظهر في محل التعشيش داخل التجويف الرحمي[1].

تفسير العلق بالدم المنعقد ومدى صحته:

يفسر أغلبية المفسرين كلمة العلقة، كما ذكرنا، بأنها قطعة دم منعقد، إلّا أن أحدث أبحاث علم الجنين كشف عدم وجود أية خلية دموية في البويضة الملقحة تواً وأنها تتشبث، في مرحلة العلقة، ببطانة الرحم خلال الأسبوع الثاني من بدء الحمل ثم تتكون بالتدريج الأغشية الجنينية التي يخرج منها حبل السرة فيربط البيضة الملقحة بجسم الأم ليبدأ الجنين مرحلة التغذية من دم الأم أي أن النظام القلبي ـ العروقي يبدأ تكونه ونموه في الجنين خلال الأسبوع الثالث من بدء الحمل[2].

ويرى الدكتور «موريس بوكاي» أنه ينبغي تفسير «العلقة» بأنها «الشيء المتعلق» وأن المعنى المشتق منه «الدم المنعقد» والذي تستند إليه الترجمات في أغلبية الأحيان غير صائب يلزم التحذير بشأنه، فالإنسان لم يمر قط بمرحلة «الدم المنعقد» وأن المفهوم الأول للعلقة أي «الشيء

---

١ ـ انظر: علم الجنين الطبي، ص ٥٥ ـ ٥٧ وعلم الجنين الطبي لانجلمان ومن علم الطب القرآني، ص ٥١ ومع الطب في القرآن، ص ٨١ وكذلك التمهيد، المجلد ٦، ص ٨٣.

٢ ـ انظر: الاسس النفسية للنمو، ص ٩١ والقرآن واعجازه العلمي، ص ١٠٧ وكذلك علم الجنين الطبي، ص ٨٧.

المتعلق» ينسجم تماماً مع الواقع الذي أثبته العلم الحديث[1].

أما نسخ الترجمة الانجليزية للقرآن الكريم فإنها هي الأخرىٰ تعتمد معنى الدم المنعقد للنطفة (Clot)[2].

وتفسر بعض الروايات أيضاً «العلق» بمعنى «الدم المنعقد» وإن كانت أغلبية الأحاديث المروية حول هذه الآيات تذكر لفظة «العلق» نفسها، ولكن هنالك أحاديث تفسر «العلقة» بأنها الدم الجامد المنعقد كما في الحديث: النطفة تكون بيضاء مثل النخامة الغليظة فتمكث في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوماً ثم تصير إلى علقة. قال: وهي علقة كعلقة دم المحجمة الجامدة تمكث في الرحم بعد تحويلها من النطفة أربعين يوماً ثم تصير مضغة...»[3].

ولصدور هذه الأحاديث عن شخصيات متصلة بالعلم الالهي تنعم بنبع العلم الالهي الأزلي اللامتناهي قد تكون جميع هذه المعاني صحيحة.

فلو كان الله تعالىٰ أراد تحديد معناها بالدم المنعقد لجاء بتعبير مثل «الدم المنقبض أو المتصل» ولكنه اختار كلمة «العلق» في أروع تعبير عن قطعة الدم المنعقدة والمتعلقة في ذات الوقت.

تحليل:

لتحليل موضوع الاعجاز الطبي في الآيات المتحدثة عن مرحلة العلقة نعود أولاً إلى التفاسير المتعددة. فن بين الاحتمالات الأربعة المذكورة في

---

١ ـ «العهدين، القرآن والعلم».

2_ Translation by Mohammd. M. pikthall, Volume I, Page 338, 349.

٣ ـ تفسير الصافي، المجلد ٣، ص ٣٦٣ وتفسير كنز الدقائق، المجلد ٩، ص ٤٥.

«الأمثل»، رجح صاحبها نفسه صواب التفسير الأول الذي يحظىٰ بتأييد العلم الحديث أيضاً. وهو مالم يكن بإمكان الناس في عهد نزول القرآن الكريم إدراكه أو التنبه له إلّا عن طريق الوحي فالجنين في هذا الطور من نموه يكون بدرجة من الصغر بحيث يتعذر رؤيته بالعين المجردة ولا يظهر لتعشيشه في التجويف الرحمي من آثار سوى ندبة صغيرة. ولا يتيسر الكشف عن هذا الأمر إلّا بالوسائل والمعدات الحديثة والمعقدة التي اخترعها الإنسان في القرون الأخيرة.

يرفض بعض الباحثين شمول هذه الآيات على الاعجاز العلمي حيث يرون أن بامكان الناس في صدر الاسلام فيما لو كانوا يبادرون لتتبع مراحل تطور النطفة عند النساء في بدء حملهن عن طريق التشريح، ان يتنبهوا إلى كون أحد أطوار نمو الجنين هو قطعة الدم المنعقدة المتعلقة بجدار الرحم، وإن لم يتم مثل هذا الأمر آنذاك[1].

وللرد علىٰ أصحاب هذا الرأي نقول: أن مثل هذا الأمر وكما نوهوا إليه بأنفسهم، أولاً لم يتم آنذاك، وثانياً يستلزم تنفيذه الاستمداد بوسائل وأجهزة متطورة لم يتيسر توفرها إلّا بمرور الزمن ومع تطور العلم. إننا وكما نعتبر تنبؤ القرآن بالأخبار الغيبية المستقبلية إعجازاً وإن كان مرور الزمن ووقوع الأحداث المترابطة المتسلسلة قد كشف لاحقاً عن بعضها واطّلع الناس عليها، فإن هذا الموضوع كذلك بشأنه أن يصنف ضمن أنواع الأخبار الغيبية في القرآن والتي كان من المتعذر على الناس في ذلك العهد الاطلاع عليه بالطرق المألوفة وهو دليل كاف لتعجيز الناس واعتبار

---

١ ـ دراسة حول الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ٢، ص ٤٨٧.

الآيات اعجازاً طبياً.

أما التفسير الثاني لكلمة «العلق» المبني علىٰ أن المقصود بـالعلق هـو الحيوان المنوي الشبيه بدودة العلقة فإننا لا نستصوبه لأن السورة تشير إلى العلق باعتبار الإنسان مخلوقاً منها ولم تذكر ما قبلها وما بعدها من مراحل بينما أشارت آيات أخرىٰ من السور: المـؤمنون والحـج والقـيامة وغـافر ، بوضوح إلى المرحلة السابقة للعلقة وهـي النـطفة وذكـرت الآيـات في السورتين: المؤمنون والحج مرحلة المضغة بأنها المرحلة التالية للعلقة.

إننا وإن غضضنا البصر عن الأدلة المـوجودة في هذه السـور وأذعـنّا بصحة التفسير الثاني لكلمة «العلق» في سورة «العلق» فسوف ننساق تارة أخرىٰ إلى القول بالاعجاز الطبي في القـرآن بـالنظر لتـعذر رؤيـة آلاف المخلوقات الدقيقة الشبيهة بدودة العلقة في حجم رأسهـا الكـبير وطـول جسمها نسبياً، المتميزة بتاجها الكبير نسـبياً وبحـركتها شـبه اللـولبية في السائل المحاط بها، على الناس في عهد نزول القرآن.

أما عن التفسيرين الثالث والرابع فإن مـفسر الأمـثل يـرى أن هـذا الموضوع خاص بسورة العلق دون غيره.

الظلمات الثلاث

قال تعالىٰ: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث...﴾[1].

من الحالات التي يتم تدارسها من قبل الباحثين باعتبارها نموذجاً من الاعجاز الطبي في القرآن الكريم هي إشارة الله تعالىٰ ضمن هذه الآية إلى الظلمات الثلاث التي يختبرها الجنين خلال مراحل نشوئه ونموه.

الظلمات الثلاث من وجهة نظر المفسرين:

يفسر أغلبية المفسرين[2] الظلمات الثلاث علىٰ أنها ظلمة بطن الأم والرحم والمشيمة[3].

أما الطبرسي فإنه إلى جانب ما ينقله في «مجمع البيان» عن الإمام الباقر عليه السلام، يدلي برأي آخر أيضاً مبني علىٰ أن الظلمات الثلاث هي ظلام

---

١ ـ سورة الزمر، الآية (٦).

٢ ـ ومنهم أصحاب التفاسير: روض الجنان وروح الجنان (المجلد ١٦، ص ٣٠٢)، والاثني عشر (المجلد ١١، ص ٢٢١)، و«كشف الحقائق عن نكت الآيات والدقائق» (المجلد ٣، ص ١٢٢) وتفسير الميزان (المجلد ١٧، ص ٢٣٩) و«مخزن العرفان» (المجلد ٧، ص ١٨٠) وكذلك تفسير العاملي (المجلد ٧، ص ٣٤٠) و...

٣ ـ وقيل أيضاً الكيس الذي يستقر فيه الجنين ويسمى «الكيس الأُمينوسي».

الليل أو ظلمة صلب الرجل وظلمة الرحم وظلمة البطن[1]. وهو ما يرفضه العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان[2].

ونرى الإمام الحسين عليه السلام يفسر هذه الظلمات في دعاء عرفة على أنها اللحم والجلد والدم حين يقول: «وابتدعت خلقي من مني يمنىٰ، ثم اسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم وجلد ودم، لم تشتهر بخلقي...»[3].

نستوحي من هذا الحديث الوضاء ابتعاد رأي المفسرين في مصداق أحد الظلمات الثلاث عما يذكره عليه السلام في كلامه عند إشاراتهم إلى ظلمة المشيمة بدلاً عن ظلمة الدم، فلو نعبر عن اللحم بحسب ما جاء في دعاء عرفة ببطن الأم وعن الجلد ببطانة الرحم، لا تبقَ هنالك ثمة إشكالية في مصداق الظلمة الثالثة وهي الدم فمنشأ كيس المشيمة هو أساساً دم الأم. وبهذا يمكن الجمع بين مفهومي ظلمة الدم وظلمة كيس المشيمة.

والعلامة المجلسي يذكر بدوره في كتاب «التوحيد»: (... فأول ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة...»)[4]، أي أنه يفسر الظلمات الثلاث بإنها ظلمة البطن والرحم والمشيمة، وكلها معان مقتبسة عن رأي أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم من تحدثوا إلى الناس في زمانهم علىٰ قدر عقولهم.

ولو رغبنا في استطلاع حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الشأن، فإننا نجده في الخطبة (١٦٣) من نهج البلاغة ينسب الظلمات الثلاث إلى

---

١ ـ تفسير مجمع البيان، الجلد ٨، ص ٤٨٩.
٢ ـ تفسير الميزان، الجلد ١٧، ص ٢٣٩.
٣ ـ مفاتيح الجنان.
٤ ـ بحار الأنوار، الجلد ٣، ص ٦٢.

ظلمات رحم الأمهات والأغشية المتداخلة التي تحيط ببعضها ويستقر الجنين في داخلها.

الظلمات الثلاث من الوجهة العلمية:

تكشف مصادر علم الجنين الطبي عن حقيقة إحاطة الجنين بأغشية متعددة هي: الغشاء الامينوسي (Aminotic membrane) والغشاء الكوريوني (Chorionic membrane) والغشاء اللقانق السقائي (Allantoic membrane) والغشاء الساقط (Disdua membrane)[1] بينما يحددها بعض الباحثين بأغشية ثلاثة هي الغشاء الامينوسي والغشاء الكوريوني والغشاء اللقانق (السجقي)[2] وفريق آخر بأنها الغشاء الامينوسي والغشاء الكوريوني والغشاء الساقط[3].

فالغشاء والامينوسي يحيط بالجوف الأمينوسي المملوء بسائل ذي تركيب بروتيني يسمىٰ السائل الأمينوسي والذي يعوم فيه الجنين بانطلاق، والغشاء الكوريوني هو مصدر الزغابات الكوريونية التي تنغرس في مخاطية الرحم. أما الغشاء الساقط فهو مخاطية الرحم السطحية بعد عملية التعشيش ونمو الجنين والذي يتحول لاحقاً إلى الحبل السري ويسمىٰ «الساقط» لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة، ويعتمد بعض الكتاب المعاصرين أيضاً ذات رأي المفسرين فيما يخص الظلمات الثلاث أي أنها

١ـ انظر علم الجنين الطبي، ص ١٣٢ وكذلك:
The Developing Human, Moore K.L .chapt. 7.1988.
٢ـ انظر: القرآن والطبيعة، ماضي العالم ومستقبله ومن عجائب الموضوعات القرآنية، ص ٩٥.
٣ـ انظر: الاعجاز الطبي في القرآن، ص ٥٩ ومع الطب في القرآن.

ظلمة البطن والرحم والمشيمة[1].

تحليل:

لو ارتأينا تفسير عبارة «الظلمات الثلاث» بأنها الأغشية المحيطة بالجنين خلال مراحل نشوئه ونموه في رحم الأم، فإننا نجد علم الجنين الحديث قد كشف أن الأغشية المحيطة بالجنين هي أكثر من ثلاثة إضافة إلى طبقة بطن الأم وطبقة الرحم والغشاء الأمينوسي المترادفة مع كيس المشيمة. كما أنه لا يتوفر لدينا أي دليل يبرهن على أن الظلمات الثلاث هي أغشية ثلاثة معينة من الأغشية المحيطة بالجنين إضافة إلى وجود تجاويف تتخلل هذه الأغشية، فقد يكون المقصود من الظلمات هي هذه التجاويف الظلماء وليست الأغشية.

وحتى في هذه الحالة لا نخرج من الآيات بدليل حاسم يؤكد هذا المعنى. فبالنظر لتعذر التوفيق بين مفهومي (الظلمات الثلاث) و(الأغشية الجنينية الثلاث) التي يتحدث عنها علم الجنين الحديث، ووجود احتمال صحة ما ذكره المفسرون من مصاديق للظلمات الثلاث، فإن هذه القضايا لم تكن أموراً يشق على الناس في عهد نزول القرآن التنبه لها أو يحتاج لوسائل متطورة لاثباتها. على هذا لا يمكن الاستناد إلى هذه الملاحظة للقول بدلالة هذه الآية المباركة على الاعجاز الطبي للقرآن.

---

١ ـ انظر: الايمان بين الوحي والعقل، ص ٢٢٤ والقرآن يتجلى في عصر العلم، ص ١٨١.

مراحل تخلق الإنسان

المضغة في القرآن:

يطلق القرآن الكريم وهو يعرض مراحل تخلق الإنسان اصطلاح «المضغة» على المرحلة التالية للعلقة حيث تذكر ثلاث مرات خلال آيتين من آيات الذكر الحكيم.

١ـ ﴿فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً﴾.[١]

٢ـ ﴿.. ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم﴾[٢].

من ألفاظ هاتين الآيتين التي قد تقع محل البحث والدراسة هي: المضغة، ومخلقة وغير مخلقة.

المضغة لغوياً:

المضغة هي الطعام الممضوغ واللحم الممضوغ. فالمضغة، إذاً، عبارة عن قطعة لحم كاللحم الممضوغ[٣].

١ـ سورة المؤمنون، الآية (١٤).

٢ـ سورة الحج، الآية (٥).

٣ـ انظر: مفردات الراغب الاصفهاني، والتحقيق في كلمات القرآن الكريم، المجلد ١١، ص (١٢٤ ـ ١٢٥)، مادة «مضغ».

والمخلقة: اي التخليق، وتأتي للمبالغة في الخلق هو ايجاد شيء على كيفية خاصة، ويلاحظ فيه النسبة إلى المفعول ولا ينحصر مبدئية المضغة على كونها مخلقة بل قد تكون غير مخلقة أما رأساً وبالجملة أو في الجملة أو في مرتبة بعد مرتبة كونها مضغة[1].

المضغة من وجهة نظر المفسرين:

يتفق جميع المفسرين في القول بأن المضغة مشتقة من (مضغ)، والمضغة هي اللحم الممضوغ أو الطعام الممضوغ، إلّا أن ما يتطلب تقديم إيضاح أكبر حوله هو تعبير (مخلقة وغير مخلقة) حيث تختلف الآراء حول تفسيرهما.

يقول صاحب تفسير الأمثل:

ويتخذ الجنين بالتدريج مظهر اللحم الممضوغ دون أن تتميز فيه أعضاء الجسم المختلفة ولكن تتبلور فجأه تغييرات في أغشية الجنين فيطرأ تحول في شكل كل منها يكفيه لأداء وظيفته البيولوجية وبذلك تتمايز أعضاء الجسم شيئاً فشيئاً. أما الجنين الذي لا يبلغ هذه المرحلة من النمو ويبقى على وضعه السابق أولا تتواصل مراحل نموه الكامل فإنه يتعرض للإجهاض. وقد يكون المقصود من عبارة «مخلقة وغير مخلقة» في هذه المرحلة هو أنه كامل الخلقة وغير كامل الخلقة»[2].

ويقول العلامة الطباطبائي:

---

١ ـ انظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المجلد ١١، ص ١٢٦.

٢ ـ تفسير الأمثل، ذيل الآية (٥) من سورة الحج.

«المخلقة على ما قيل ـ تامة الخلقة وغير المخلقة غير تامتها. وينطبق على تصوير الجنين الملازم لنفخ الروح فيه»[1].

ويتبنى أكثرية المفسرين مفهوم الخلق التام للمخلقة والخلق الناقص لغير مخلقة[2] بينما يذكر العاملي الاحتمالات الأربعة التالية في تفسير هذه العبارة:

١ـ المخلقة تعني تامة الخلقة وغير المخلقة هي ناقصة الخلقة مما يوجب اختلاف الناس في مظهرهم وفي أحجامهم.

٢ـ المخلقة تعني المخلوقة وغير المخلقة اي لم تخبر مراحل التخلق مما يؤدي إلى إجهاضها وتلفها.

٣ـ المخلقة تعني المصورة (واضحة السيماء) وغير المخلقة أي قطعة لحم غير مصورة (أي معدومة الوجه والشكل).

٤ـ المخلقة: التي اجتازت مراحل الخلق المتتالية وغير المخلقة تمر بهذه المراحل المتتالية فتولد ناقصة الخلقة[3]

المضغة علمياً:

علمياً يسمى الجنين في مرحلة المضغة «التوتة» لتشابه شكلها الخارجي مع ثمرة التوت. وتبدأ هذه المرحلة تزامناً مع انغراس العلق تماماً في بطانة الرحم، أي بعد ثلاثة أسابيع من بدء الحمل وتمايز فيه التوته إلى

١ـ تفسير الميزان، المجلد ١٤، ص ٤٨٥.

٢ـ انظر: تفسير مخزن العرفان، المجلد ١٠، ص ٣٢٤، وتفسير كشف الحقائق، المجلد ٢، ص ٤٦٧، وتفسير مجمع البيان، وتفسير روض الجنان وروح الجنان، المجلد ١٣، ص ٢٩٨ و...

٣ـ تفسير العاملي، المجلد ٦، ص ١٩٧.

طبقتين، هما:

١ - الطبقة الخارجية وتكون المسؤولة عن الارتباط بخلايا الرحم والاتصال المباشر بالتجويف الدموي للرحم والاغتذاء منه.

٢ ـ الطبقة الداخلية ووظيفتها تكوين الجنين والأغشية الجنينية.

ينشطر عن خلايا الطبقة الداخلية طبقات جنينية مولدة ثلاث هي: الوريقة الخارجية أو ما تسمى الاكتوديرم[١]، والوريقة الوسطى أو المزوديرم[٢] والداخلية وهي الاندوديرم[٣].

يتخلق من الطبقة الخارجية النخاع والدماغ والأعصاب والجلد والبشرة والنسيج المخاطي للفم والأنف، ومن الطبقة الوسطى: القلب والعروق الدموية والدم والعظام والعضلات والجهاز البولي والطبقة الوسطى من الجلد (الأدمة) وبعض الغدد الصماء، ومن الطبقة الداخلية: الجهاز الهضمي وجهاز التنفس والغدد الدرقية وجارات الدرقية والكبد والبنكرياس[٤].

إننا لا نشهد أي اختلاف في آراء الباحثين حول تطابق مرحلة المضغة مع مرحلة التوتة، فاختلاف الآراء تتبلور فيما يخص عبارة (مخلقة وغير مخلقة). يكتب الدكتور محمد علي البار، مثلاً: إن مخلقة وغير مخلقة هي من

1_ Ectoderm.

2_ Mesoderm.

3_ Endoderm.

٤ ـ انظر: علم الجنين لانجلمن و«علم الجنين الطبي»، و«مع الطب في القرآن الكريم»، ص ٨١ و«خلق الإنسان بين الطب والقرآن»، ص ٢٠٨ ومجلة المسلم المعاصر، العدد ٤٨ من مطبوعات مؤسسة المسلم المعاصر، ص ١٣٨، مقال: نقد كتاب «تعاليم الاسلام الطبية في ضوء العلم الحديث» للدكتور أحمد شوقي الفنجري.

صفة المضغة... باختصار إن هناك طبقتين مخلقة وغير مخلقة.. فالطبقة الخارجية غير مخلقة قطعاً والداخلية مخلقة لأنه يخلق منها الجنين وأغشيته.

يرى الدكتور البار أن المراد من (غير مخلقة) هو الخلايا غير المتمايزة[1] ثم يعرض رأي الطبري بأن مخلقة وغير مخلقة هي من صفة النطفة لأن الإنسان خلق بادئاً من التراب ثم من النطفة، والنطفة مخلقة أي تم خلقها، وغير مخلقة هي النطفة المنسابة نحو الرحم ولكنها تتلف قبل بلوغ مرحلة التخلق[٢].

ويقول مؤلفا كتاب «مع الطب في القرآن الكريم»... يطرأ على اللوحة المضغية المؤلفة من الوريقات الثلاث جملة تغييرات نسيجية هادفة ومدهشة ابتداء من الاسبوع الخامس[٣]، وتسمى بعملية التمايز (Defferentiation)، أو كما أسماها القرآن «التخلق»، فكل زمرة من خلايا هذه الوريقات تأخذ على عاتقها تشكيل واحد من أجهزة الجسم أو أعضائها، وذلك في إطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة، وهي تنمو وتتطور، ليكون الإنسان في أحسن تقويم، وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريباً..»[٤].

ويرى البعض الآخر أن مخلقة وغير مخلقة هي بمعنى الخلايا المتجانسة والخلايا غير المتجانسة. أي أن الخلايا تكون بادئاً في مرحلة المضغة

---

1 _ Undiferrentated Cells.

٢ـ انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ٢٠٨.

٣ـ يطلق مؤلفو بعض المصادر الطبية اصطلاح «تكون المعيدة» على مرحلة تمايز الوريقات الثلاث، ويرون أنها تستأنف بدء من الاسبوع الثالث من الحمل (انظر كتاب علم الجنين لانجلمن). والمعيدة أي المويصلة الفوهية تمثل التخلق المضغي من الطور الجنيني.

٤ـ مع الطب في القرآن الكريم، ص ٨٢

متماثلة ومتجانسة ثم تتكون الخلايا غير المتجانسة وغير المخلقة ويظهر تباينها بعد تكون الشبكة الوريدية فيما بين المكونات اللحمية[1].

ويعرض الدكتور «موريس بوكاي» ملاحظات علمية مدهشة حول الآية (٥) من سورة الحج والآية (١٤) من سورة المؤمنون، فيرىٰ ان التمييز بين اللحم الممضوغ (وهو المضغة) واللحم الطازج (وهو اللحم العادي) أمر جدير بالذكر. فالجنين يكون بادئاً جرماً صغيراً يظهر كقطعة لحم ممضوغة يمكن رؤيتها بالعين المجردة في مرحلة من مراحل النمو..

تبدو بعض الأجزاء في مراحل نمو الجنين غير متناسبة أو منسجمة لما تتمظهر به لاحقاً، وبعضها الآخر يتسم بمثل هذا الانسجام منذ البدء. فهل يكون في ذلك معنى غير ما تنطوي عليه كلمة «مخلقة» (أي المخلوقة باتزان)، وقد جاء في الآية (٥) من سورة الحج ما معناه (قطع اللحم المتكيفة وقطع اللحم غير المتكيفة) للدلالة علىٰ هذا المفهوم بالذات[2].

ويذكر السيد رضائي الأصفهاني في تفسير عبارة «غير مخلقة» احتمالين:

أول: أن يقصد بها مضغة لم تختلق أساساً (غير مخلوقة).

والثاني: أن يراد بها مضغة خلقت دون أن تتحدد مقدراتها وخصائصها ولا يتفق الاحتمال الأول مع سياق الآية لأنها تتحدث في هذه العبارة عن مرحلة التخلق الفعلي بعد بلوغ مرحلة المضغة، وفي آخر عبارة من الآية عن خروج الطفل. إن تفسير الآية بحسب الاحتمال الأول المبني علىٰ تكون مضغة مخلوقة من جزئين (مخلقة وغير مخلقة أو هالكة) يفرض الإذعان

---

١ ـ انظر أول جامعة علمية وآخر نبي مرسل، المجلد ١، ص ٢٦٧.

٢ ـ العهدين، «القرآن والعلم»، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

لتعارض صدر الآية مع ذيلها، وهذا ما لا يجوز.

أما الاحتمال الثاني فإنه يبدو صائباً أي أن مخلقة وغير مخلقة هي صفة للمضغة أي أن هذه اللحمة الممضوغة تتكون من جزئين تحددت مقدرات جزء منها ولم تتحدد في الجزء الثاني...»[1].

تحليل:

يؤكد البعض شمول هذه الآية المباركة علىٰ حقيقة علمية مدهشة تبين الاعجاز الطبي للقرآن وهي إشارتها اللطيفة التي تضمنها التعبير القرآني الرائع «مضغة مخلقة وغير مخلقة»، المنسجمة مع الثوابت العلمية الحديثة، إلى تمايز الأغشية الجنينية في عهد وعصر لم يشهد فيه علم الجنين أدنىٰ تطور.

ورغم اختلاف رأي المفسرين والباحثين حول مفهوم مخلقة وغير مخلقة وأكثرها تستند إلى خصائص الجنين في هذه المرحلة. إلّا أن لفظة «المضغة» الدالة علىٰ مجموعة من الخلايا غير المتجانسة تتسم بدرجة من الروعة والدقة توحي بعلم المتحدث عنها وبصيرته الكاملة بماهية هذا المخلوق وكيفيته لاسيما في زمان انعدمت فيه الوسائل الضرورية لمتابعة هذه المرحلة ودراستها بشكل دقيق ولا يتضح من خلال مشاهدة الجنين في هذه المرحلة العين المجردة إلّا نسيج في غاية الصغر من الخلايا غير المتجانسة. وبهذا يعتبر اطلاق هذا التعبير علىٰ هذه المرحلة الجنينية بحد ذاته أمراً عجيباً ومدهشاً.

---

١ ـ دراسة حول الاعجاز العلمي للقرآن، المجلد ٢، ص ٤٩٩ ـ ٥٠٠.

مرحلة تكون العظام ونمو اللحم

العظام واكتساؤه في القرآن:

يشير القرآن الكريم بعد مرحلة المضغة إلى مرحلة تكون «العظام» وبعدها مباشرة إلى مرحلة اكتساء العظام باللحم في قوله تعالىٰ: ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾[1].

ولغوياً: العظام هي جمع «عظم».

تكون العظام والمفسرون:

يدور رأي جميع المفسرين تقريباً حول محور واحد وهو تكون العظام في هذه المرحلة ونمو اللحم فوقه، إلّا أن سيد قطب يذكر ملاحظة أخرىٰ أيضاً، فيقول: «وهنا ما يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلّا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي. ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم. وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلّا بعد ظهور خلايا العظام، وتمام الهيكل العظمي للجنين،

---

١ ـ سورة المؤمنون، الآية (١٤).

وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني...»[1].

تكون العظام والرأي العلمي:

يرىٰ بعض الباحثين بشأن الحقيقة العلمية المعروضة في هذه الآية الشريفة أن جميع خلايا الجنين تتحول، بعد اجتياز مرحلتي العلقة والمضغة، إلى خلايا عظمية أي أن تخلق الجنين يبدأ بتكون العظام ثم تظهر الانسجة اللحمية لتتخذ تدريجياً شكل عضلات ولحم تلتف حول العظام وكأنها كساؤها[2].

أما مصادر علم الأجنة الحديثة فإنها تتناول موضوع تكون العظام واللحم بالقول: «تبدأ مرحلة المَعيدة (gastrulation) خلال الأسبوع الثالث من نمو الجنين بتمايز أغشية جنينية مولدة ثلاثة وهي الاكتوديرم والمزوديرم والاندوديرم في الجنين والتي تتولىٰ كل منها مهمة بناء بعض أجزاء الجسم المختلفة، فيتخلق من الوريقة الوسطى (المزوديرم): الجهاز البولي والتناسلي، والطحال، والغدد الكظرية، والجهاز الدموي، والمنميات الجسدية المولدة للقطاع الغضروفي العظمي وقطاع النسيج العضلي وكذلك النسيج الأدمي (الجلدي). فالعظام، إذاً، تتكون من الوريقة الوسطى الواقعة بين الوريقتين الخارجية والداخلية. فخلايا القطاع الغضروفي العظمي تولد الغضروف والعظام بدء من الاسبوع الرابع

---

١ ـ تفسير «في ظلال القرآن»، المجلد ٤، ص ٢٤٥٩.

٢ ـ انظر: «مع الطب في القرآن الكريم»، ص ٨٢، وكذلك من روائع الموضوعات القرآنية، ص ٨٨ واعجاز القرآن من وجهة نظر العلم الحديث، ص ٢٩ ومن علم الطب القرآني، ص ٥٩ والتمهيد، المجلد ٦، ص ٨٤.

من بدء الحمل و...»[1].

تحليل:

يتبنى بعض الباحثين آراء تختلف عن كشوفات علم الطب الحديث كما في قولهم بتحول جميع الخلايا إلى عظام ثم تكتسي بالعضلات واللحم، بينما يصرح الأخصائيون في علم الجنين بأن الجنين الأولي للإنسان ينقسم إلى ثلاث طبقات تتكون العظام من الطبقة (الوريقة) الوسطى منها فقط دون الوريقتين الاخريتين..

ولابتعاد رأي هؤلاء الباحثين، حول هذه الآية التي أكدوا شمولها على نموذج من نماذج الاعجاز العلمي للقرآن، عن منطق العلم لا يمكن اعتبار هذه الحقيقة اعجازاً طبياً للقران.

أما الملاحظة الجديرة بالاهتمام من وجهة نظر علم الأجنة والتي يمكن الاذعان لكونها اعجازاً طبياً في هذه الآية فهي إشارتها إلى نمو الخلايا المولدة للعظام أسرع من الخلايا المولدة للعضلات أي أن النسيج الأولي المسؤول عن تكون العظام يسبق النسيج المولد للعضلات في نموه، لا أن يتحول النسيج اللحمي في الجنين كله في مرحلة المضغة إلى العظام ثم تظهر عضلات نامية تواً فتكسوها، حيث لا تلاحظ أية مرحلة من مراحل النمو والتطور الجنيني يكون الجنين فيها عظمي التكوين تماماً.

---

١ ـ انظر كتابي علم الجنين لانجلمن وعلم الجنين الطبي و
The Developing Human. Moore K.L. chapt.4, 1988.

مرحلة خلق الروح

يعرج الله تعالىٰ في آيات عديدة من القرآن الكريم على موضوع الخلق الجديد ونفخ الروح في الجنين الإنساني فيقول:

﴿فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾[1].

قال أيضاً:

﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾[2].

ملاحظات تفسيرية:

يفسر أغلبية المفسرين عبارة نفخ الروح في الآية الشريفة بأنها للدلالة على حلول الروح في الجسم الإنساني[3]. وهو وجه تمايز الإنسان مع الحيوانات الأخرىٰ حيث يشبه الجنين الإنساني في هذه المرحلة جنين الحيوانات بفارق تمايزه عنها بتمتعه بخلق آخر. فبهذا الضرب من التخلق يشهد جنين الإنسان تحولاً يؤهله للارتقاء والتكامل[4]. فبهذه النفخة

---

١ ـ سورة المؤمنون، الآية (١٤).

٢ ـ سورة السجدة، الآية (٩).

٣ ـ انظر تفسير «الأمثل»، ذيل الآية (٩) من سورة السجدة.

٤ ـ انظر تفسير «في ظلال القرآن» ذيل الآية (١٤) من سورة المؤمنون.

الالهية تتحول سلالة من الطين إلى الانسان الواقعي بينما يلبث جنين الحيوان في مرتبة حيوانيته دون أي ارتقاء وتكامل.

ففي موضوع «آخر مرحلة من مراحل تكامل جنين الإنسان في الرحم» نقرأ في تفسير الأمثل: «مما يلفت النظر استخدام الآيات السابقة لمراحل الجنين الخمسة تعبير «الخلق» لكنها استخدمت كلمة «الإنشاء» لآخر مرحلة، وكما ذكر اللغويون فإن كلمة «الإنشاء» تعني (خلق الشيء مع تربيته). وهذا التعبير يدل على اختلاف هذه المرحلة عن المراحل السابقة (مرحلة النطفة والعلقة والمضغة واللحم والعظام) اختلافاً بيناً، وهي مرحلة ذكرها القرآن في عبارة موجزة: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ وبعقب ذلك مباشرة بالقول: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، فما هو مدعاة خطوة هذه المرحلة بمثل هذه الأهمية؟! إنها مرحلة ارتقاء الجنين إلى شأن الحياة الإنسانية، يكون له إحساس وحركة، وبتعبير الأحاديث الإسلامية «نفخ الروح»»[1].

خلق الروح من وجهة النظر العلمية:

البحث حول الروح ومفهوم نفخ الروح الإلهية في جسم الإنسان موضوع في غاية الدقة والتفصيل لا يسعه مجالنا في هذا الكتاب. علىٰ هذا نكتفي بالإشارة إلى أمور يتناولها الباحثون بشأن التحول الذي يشهده الجنين الإنساني في هذه المرحلة من نموه.

جاء في كتاب «مع الطب في القرآن الكريم»:

---

١ ـ تفسير الأمثل، المجلد ١٠، ص ٣٨٦.

«.. فإن أهم ما يطرأ على الجنين بعد الشهر الثالث هو: الحركة، ونبضان القلب، واستقلال إفراز المشيمة الغدي، والنمو المتسارع في حجم الجنين وتكامل شكله الخارجي..

أما الحركة فتبدأ في آخر الشهر الثالث وابتداء الرابع حيث تتم عملية إتصال الجهاز العصبي بالأجهزة، والعضلات، وتشعر الحامل بحركات جنينها الفاعلة في الشهر الرابع.. أما نبضات القلب فتبدأ بعد بداية الشهر الرابع ويمكن سماعها أيضاً وتكون واضحة في الشهر الخامس..»[1].

ثم يجهد مؤلفا الكتاب لاثبات تطابق هذه المرحلة مع مرحلة نفخ الروح التي يعبر عنها القرآن الكريم في العبارة ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾.

ويؤكد آخر من أصحاب الرأي أن مرحلة نفخ الروح هي مرحلة يحدث فيها الله سبحانه وتعالىٰ تحول مدهش في الجنين يمنح خلاله الحياة للجنين الميت[2].

ويستند الشهيد باكنجاد إلى تأكيد الإمام الصادق عليه السلام في حديث له على أن الحياة تمنح للطفل متىٰ ما بلغ الشهر الرابع من حياته الجنينية. فيرىٰ بدوره أن النطفة كذلك كائن حي يتمتع بالحياة إلّا أنه من جهة أخرىٰ تظهر لديه مؤشرات حياتية خاصة في الشهر الرابع وهذا مالم يستهد علم الأحياء بعد إلى تحليله حول هذه الفترة أي فترة ما بين بدء مرحلة الحياة والمرحلة السابقة، فربما يكون المقصود من بدء الحياة في هذا الطور هو بدء مرحلة التنسيق بين الأعضاء والمتزامنة مع بلوغ الشهر الرابع من الطور

---

١ ـ مع الطب في القرآن الكريم، ص ٨٣.
٢ ـ ماضي العالم ومستقبله، ص ٦٦.

الجنيني[1].

تحليل:

إن التعبير القرآني حول الخلق الآخر: نفخ الروح، هو تعبير دقيق وهام. ولكننا لا نؤيد رأي بعض الباحثين في تفسير هذه العبارة بأنها تعني انطلاقة الحركة ونشاط القلب وتعصيب الأعضاء، فليس هنالك ثمة دليل علمي يثبت ذلك. كما أنهم من جهة أخرىٰ غفلوا عن أنهم استندوا إلى ظاهرتين منفصلتين تتبلوران في موعدين مختلفين.

فنفخ الروح المنسجمة مع عبارة «خلقاً آخر» هي مرحلة يكتسب فيها الشخص القابلية على التكامل وعلىٰ تحمل مسؤوليته باعتباره كائناً أميناً. على هذا يعظم الله عز وجل شأنه بعد هذه العبارة مباشرة، بالقول: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، وتتزامن مع بلوغ الجنين الشهر الرابع.

ويختلف علماء الجنين حول الموعد الذي يكتسب فيه نمو الجهاز العصبي المحيطي والمركزي سرعة متميزة فيحددها بعضهم بحوالي الأسبوع السادس عشر أي ما بين الشهر الثالث والرابع، وتذهب حتى بعض المصادر الطبية الموثوق فيها إلى أنه يتم في الشهر الخامس من عمر الجنين، فنمو الجنين الإنساني يتماثل حتى هذه المرحلة مع نمو جنين أي من الحيوانات حيث يشهد النسيج العصبي والدماغي لدى جنين الإنسان ازدياد مباغت في سرعة النمو ويتزامن ذلك مع بداية نشاط القلب وتعصيب الأعضاء وانطلاقة الحركة لدى الجنين. وبما أننا لم نستبين حقيقة

---

١ ـ انظر: أول جامعة علمية وآخر نبي مرسل، المجلد ١، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥.

نفخ الروح والخلق الآخر ولانعدام الدقة في تحديد الشهر الرابع بشكل دقيق باعتباره موعد بداية النشاط القلبي وحركة الجنين، يتعذر القول بتطابق هاتين الظاهرتين وإن اختلف العلماء في آرائهم حول هذا الموضوع.

أما القول بشمول الآيات محل البحث على اعجاز طبي فإنه موضوع آخر. إن انسجام وتوافق مفهوم «خلقاً آخر» مع كل من هاتين النظريتين، أي نفخ الروح في الجنين الإنساني أو نمو الجهاز العصبي لدى الجنين وانطلاقة حركته، موضوع ينطوي على حقيقة مدهشة ينبئنا عنها الله تعالى في القرآن الكريم. فبإذعاننا لصحة النظرية الأولىٰ المبنية على قضية معقدة لا يتيسر التصريح بها إلّا لربنا العالم الخبير، ننساق تلقائياً لاعتبار هذه الآيات نموذجاً من نماذج الاعجاز العلمي للقرآن وإن تبنينا النظرية الثانية حتى دون تحديد تزامنهامع مرحلة نفخ الروح نستوحي من الآيات كونها مؤشراً للاعجاز العلمي للقرآن الكريم بالنظر لتعذر التوصل إلى مثل هذه الحقائق إلّا بعد التزود بالوسائل العلمية والأجهزة المتطورة.

الاستنتاج

الإعجاز أمر خارق يأتي به مدعي النبوة بمشيئة الله وباذن منه ويكون الحجة على صدق مدعاه، فالمعجزة تخرق حدود «مألوف» ولا تخرج «قانون العلة والمعلول». فالاعجاز كأي أداء آخر تابع لأسباب وأسس أطلع عليها صاحب المعجزة. كما أن الاعجاز بعيد عن الطفرات والوثبات، فلبلوغ النهاية لابد من التدرج بين المراحل الوسطية ما بين البداية والنهاية. وهو ما قد ينجز بأمر من الله في أمد قصير وبما يخرج عن حدود المألوف.

ومن براهين الاعجاز استناده إلى العقل فدلالة الإعجاز على الوحي أمر عقلي.

إلّا أن المؤشر العام للإعجاز هو «التحدي» بمعنى إثارة روح المواجهة ودعوة منكري النبوة للإتيان بمثل المعجزة ولم يتحدد ذلك في الإعجاز القرآني بل اشتملت معجزات جميع الانبياء كذلك على التحدي.

وللإعجاز القرآني أوجه عديدة منها: الاعجاز البياني للقرآن، الأسلوب والتعبير البلاغي الخاص، الحقائق والثوابت القرآنية غير المتعرضة للطعن، انسجام جميع ما جاء بين دفتيه، التنبؤات الغيبية للقرآن

وكشف القرآن عن أسرار الخلق وهو مانطلق عليه اصطلاح «الاعجاز العلمي».

والإعجاز العلمي هو شمول القرآن على علوم ومعارف لم يلم بها أي من الأعراب وحتى رسول الله ﷺ والعلماء قبل بزوغ فجر الاسلام. ومما يضفي عليه الأهمية هو دوره في الايمان بوحدانية الله وفي فهم المفهوم الدقيق للآيات القرآنية المتحدثة عن بعض الحقائق العلمية وفي إفحام رأي القائلين بتعارض الدين والعلم.

والإعجاز العلمي موضوع تابع للتفسير العلمي بمعنى انسجام وتوافق مضامين القرآن الكريم مع العلوم التجريبية. يعود تاريخ التفسير العلمي للقرآن إلى عهد فتوحات المسلمين العظيمة في القرن الهجري الأول وانضمام بلاد حديثة إلى امبراطوريتهم واطلاعهم المتزايد على الأفكار الحديثة والأديان الأخرىٰ مما وفر فرصة التبادل الثقافي بين المسلمين واتباع الأديان الأخرىٰ والحضارات الايرانية والرومية واليونانية ومكنهم من ترجمة مؤلفات بقية الشعوب في العهد العباسي. آلت ترجمة المؤلفات العلمية عن غير المسلمين إلى تبلور حالة التعارض بين العلوم الحديثة والمفهوم الظاهر لبعض آيات القرآن، فجهد المسلمون للتوفيق بين آيات القرآن والعلوم التجريبية لليونان لإثبات حقانية القرآن وصحة حقائقه العلمية وبالتالي اثبات الاعجاز العلمي للقرآن.

ولنظرية التفسير العلمي للقرآن مؤيدوه ومناهضوه يأتي كل منهم بأدلته وبراهينه علىٰ صدق ما يذهب إليه.

ومن أهم أدلة المؤيدين للتفسير العلمي:

أ ـ إنطواء الآيات والروايات على مدلولات تبرهن على شمـول القرآن على كل شيء ومنها جميع العلوم.

ب ـ بعد فساد اللغة العربية وفقدان المعايير البلاغية التي كان الأعراب يعتزون بها في عهد نزول القرآن أصبح الاعجاز العلمي أبرز دليل عـلى نزول القرآن من قبل الله العليم الخبير.

ج ـ التفسير العلمي يقينا التأويل الخاطئ لبعض الظواهر الطبيعية.

أما المناهضون للتفسير العلمي فإنهم يستندون إلى أدلة نذكر بعضها:

١ ـ إن كتاب الله كتاب هداية وإرشاد لا دليل للعلوم التجريبية.

٢ ـ افتقاد النظريات العلمية الكونية لحـالة الثبات والدوام، واحـتمال تعرض بعضها بين فينة وأخرىٰ للبطلان.

٣ ـ لا يدل انسجام وتوافق الآيات الكونية مع الثوابت العلمية الحديثة على الاعجاز العلمي للقرآن بل على كونه منزل من قبل الله تعالىٰ وليس كل ما أنزل من قبل الله يكون بالضرورة معجزة مثل الانجـيل والتـوراة والكتب السماوية الأخرىٰ.

٤ ـ التفسير العلمي يحث مؤيديه لتأويل القرآن، بما يتنافى مع الإعجاز القرآني، ويدفعهم لفرض العلم على الآيات واخضاع مضامين القـرآن في خدمة العلم.

أما النظرية المعتدلة التي يمكن تـبنيها في خـصوص التـفسير العـلمي والاعجاز العلمي للقرآن فإنها تنسب الخطأ إلى من يجهد عشوائياً لربـط كل نظرية صائبة أو خاطئة بالقرآن وكذلك من يرفض رفضا تاماً توظيف الحقائق العلمية لبيان الحقائق القرآنية. وأفضل السبل هو اتباع قاعدة «لا

إفراط ولا تفريط» فلم يهدف القرآن من بيان الحقائق العلمية إلى إيضاح هذه الحقائق بل إلى تحقيق هدف أسمى هو الاعلان عن حقيقة الالوهية فيعرض حقائق عالم الخلق بشكل عابر طلباً لموعظة العباد واتعاظهم.

ومن تشعبات الاعجاز العلمي هو الاعجاز الطبي حيث تشتمل بعض الآيات القرآنية على موضوعات وارشادات طبية لم يطلع عليها الناس في عهد انغماسهم في غياهب الجهل والتخلف إبان نزول القرآن. وقد حفزت هذه النداءات القرآنية والتعليمات الاسلامية التي وجهها رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام إلى المسلمين لحثهم نحو اكتساب العلوم ولاسيما العلوم الطبية.

فبدراسة الآيات القرآنية التي تدفع الانسان نحو اكتساب مختلف العلوم الطبية وكذلك الأحاديث المروية عن أهل بيت رسول الله ﷺ التي تتناول بدقة أموراً علمية عديدة نتنبه للدافع الأساس لاهتمام المسلمين بعلم الطب وتطورهم السريع فيها.

فتاريخ الاعجاز الطبي للقرآن المتفرع عن الاعجاز العلمي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ التفسير العلمي للقرآن. وقد انبثقت براعم هذا البحث منذ اوائل القرن الأول الهجري تزامناً مع تبلور مسيرة التفسير العلمي، فامسك العلماء السنة من العرب بقصب السبق في اندفاعهم نحو هذا التفسير. ويمكن التنبه إلى ملامح نظرية الاعجاز الطبي للقرآن في تفاسيرهم للآيات ذات الصلة بالمعالم الكونية أو القضايا الصحية. وقد أطلقوا إضافة إلى هذه التفاسير العنان لأقلامهم في سياق تأليف كتب عديدة حول الاعجاز العلمي للقرآن بشكل عام والاعجاز الطبي على نحو خاص. ثم

سادت مثل هذه النزعة بين المسلمين في ايران وعلماء الشيعة، فراح فريق من المفسرين ينوه للاعجاز العلمي والطبي في بعض الآيات عند تفسيرهم لها، بينما كلل باحثون آخرون اهتمامهم بهذاالموضوع بتأليف كتب مستقلة.

يفسر البعض الاعجاز الطبي للقرآن بأنه يتمثل في قدرته العلاجية مستندين في ذلك إلى الآية: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**، وأن الشفاء القرآني مطلق لا يتحدد بشفاء الأمراض الروحية والنفسية بل الأمراض الجسمية أيضاً. وهذا ما تؤيده دراسة مفهوم الشفاء المستوحى من كتب التفاسير والروايات وكذلك التعريف المحدد للصحة والشفاء من وجهة نظر العلم الحديث.

ويمكن دراسة الدور العلاجي للقرآن في حياة المجتمع الإنساني تاريخياً وطبياً. فدوره العلاجي في المجتمع الإنساني تاريخياً يتجلىٰ من خلال دراسة وضع الاعراب في العهد الجاهلي ومقارنته مع وضع من نشأ في كنف القرآن وتعاليم رسول الله ﷺ في صدر الإسلام.

وأما طبياً فقد بذلت جهود وموررست نشاطات تجريبية للمرة الأولىٰ في ايران لتدارس دوره في حقل العلوم الطبية حيث تم التوصل إلى نتائج إيجابية تقريباً. وقد وضعت مؤلفات عديدة حول الاعجاز الطبي بمعنى شمول بعض آيات القرآن الكريم على حقائق ذات صلة بالعلوم الطبية جهلها الناس جميعاً في عهد نزول القرآن، فذهب مؤلفوها إلى تجلي الاعجاز الطبي في كل آية تشمل موضوعاً يرتبط بجسم الإنسان حتى بلغ بعضهم درجة المغالاة والإفراط، فراحوا يحسبون كل آية تتضمن اشارة علمية نموذجاً من نماذج الاعجاز الطبي.

ولتحليل مثل هذه الآراء نقول: بالعودة إلى تعريف الاعجاز بأنه «فعل يعجز الآخرون عن الاتيان به يظهره النبي بإذن الله لاثبات نبوته»، لابد أن تتسم مثل هذه الإشارات العلمية بوضوح ليكون بالامكان إدخالها في إطار هذا التعريف دون تكلف في استخراجها من هذه الآيات وأن يتم التوثق من جهل الناس في عهد نزول القرآن وما قبل ذلك إزاء هذه الحقائق العلمية وأنه لم يكن بمقدورهم التوصل إليها بالنظر لمحدودية الإمكانات المتوفرة لديهم بحسب المستوى العلمي السائد في ذلك العصر.

وبما أن الدين الإسلامي دين أبدي خالد لابد أن تكون معجزة رسول الله ﷺ أيضاً خالدة أبدية لتتواصل حجتها على جميع الناس وفي جميع العصور، فاعجاز القرآن الكريم موجه لجميع الشرائح الإنسانية وفي كل زمان ومكان وشتى الأحوال. فرغم ايحاء ظاهر القرآن الكريم بأن اعجازه اعجاز بياني بلاغي وتوافق ذلك مع ما برع فيه الأعراب في صدر الإسلام من الفنون والحذاقة الأدبية» ولكن مع اتساع دائرة الخطاب العام للقرآن وتوجيهه إلى سائر الشعوب الإنسانية في المراحل اللاحقة تفرعت انشعابات التحدي القرآني في جميع الاتجاهات ولم تقتصر على الجانب البلاغي والبياني منه، وصار ضرورياً الإذعان للاعجاز العلمي باعتباره أحد أوجه إعجاز القرآن. ولمدى وعي الناس في ذلك العهد إزاء الحقائق العلمية أهمية قصوى في هذا السياق مما يتطلب اجراء دراسات تاريخية واسعة في مجال المنجزات والكشوفات العلمية والتجريبية في ذلك العهد.

ويعود انكار نظرية الاعجاز الطبي، بمفهومها الكامل، من قبل بعض الباحثين لتصورهم بعدم إمكانية التوثق من جهل الناس في ذلك العهد إزاء

الحقائق العلمية المشار إليها في ذلك العصر وأن هذه الحقائق قد تم اكتشافها من قبل العلماء قبل ظهور الاسلام مما يحول دون اعتبارها اعجازاً لخروجها عن دائرة التعريف المحدد للاعجاز بل تمثل اشارة القرآن الكريم إلى مثل هذه الحقائق أحد أسرار وبدائع القرآن لا غير.

على هذا نجد أن مناهضي نظرية الاعجاز الطبي أيضاً قد أذعنوا لاحتواء القرآن الكريم على مثل هذه الإشارات دون أن يعتبرونها اعجازاً رغم أن دراسة بعض الآيات لاسيا تلك التي تشير منها لأطوار نمو الجنين، تؤكد تعذر توصل الإنسان في ذلك العهد إلى الحقائق العلمية التي عرضها الله تعالىٰ في القرآن الكريم، مما يفرض الإذعان بكون هذه الإشارات اعجازاً طبياً للقرآن.

وأخيراً نرىٰ أن الأسلوب الأمثل لفض الخلاف حول نظرية الاعجاز الطبي للقرآن هو إطلاق اصطلاح «أسرار وبدائع القرآن» على هذه الآيات بدلاً عن «الاعجاز الطبي» درء لانشغالنا بذلك عن الهدف الأساس للقرآن وهو هداية بني الإنسان وتنشئتهم والأخذ بالحسبان بأن القرآن ليس دليلاً للعلوم المختلفة بل ينطوي أحياناً وبشكل استطرادي وهامشي على إشارات علمية لا يهدف من ورائها تعليم العلوم بل تمهيد السبيل لمعرفة الله والإقرار بوحدانية وتحقيق ذلك من خلال حث الناس للتفكير والتأمل في خلق السماوات والأرض والبحار والكائنات الحية بذكر بعض النماذج والأمثلة العلمية وتنبيه عقولهم للقوى الخفية الكامنة في الطبيعة وبالتالي الوقوف على حقيقة إلوهية خالق عالم الوجود بما يتسم به من عظمة ورصانة باستثارة حب الاستطلاع لديهم وإمعانهم في عجائب الخلق.

مصادر الكتاب العربية والفارسية

١ـ القرآن الكريم.
٢ـ الآداب الطبية في الإسلام، جعفر مرتضى العاملي، طبعة الحوزة العلمية بمدينة قم، ١٩٨٣.
٣ـ آموزش ومعارف قرآن (التعليم ومعارف القرآن)، مصباح يزدي، مؤسسه في سبيل الحق، قم، ١٩٨٣.
٤ـ اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، عفت الشرقاوي، مطبعة الكيلاني، القاهرة، ١٩٧٢.
٥ـ الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.
٦ـ أثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية، أحمد علي الملاّ، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨١ م.
٧ـ اختلالات ما قبل الدورة الشهرية، د. نيلزلارس، ايلين استوكين، ١٩٨١.
٨ـ استعانت از قرآن در شفاى جسمانى (دور القرآن الكريم في شفاء الجسم السقيم)، عليرضا نيكبخت نصر آبادي، ١٩٩٩.
٩ـ اسرار الكون في القرآن، د. داود سلمان السعدي، دار الحرف العربي.

١٠ـالأسس النفسية للنمو، السيد فـؤاد البهـي، دار الفكـر العـربي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥ م.

١١ ـ الاسلام يتحدىٰ، وحيد الدين خان، دار البحوث العلمية، الطبعة السادس، ١٩٨١.

١٢ ـ الإسلام في عصر العلم، محمد أحمـد الغـمراوي، الطـبعة الأولىٰ، ١٩٩٤.

١٣ ـ الإسلام ملاذ كل المجتمعات الانسانية، د. محمد سـعيد رمـضان البوطي، دار الفكر، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٤.

١٤ ـ الاسلام والوقاية من الأمراض، د. عز الدين فـرّاح، دار الرائـد العربي، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

١٥ ـ الأصول من الكافي، محمد يعقوب الكليني، مكتب نـشر الثـقافة الإسلامية، ١٩٨٢.

١٦ ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الجنكي الشنقيطي، الرياض ١٩٨٣.

١٧ ـ الإعجاز الإلهي في أجهزة المناعة والمقاومة في جسم الإنسان، د. محمد السيد ارناؤوط، دار الفضيلة.

١٨ ـ الإعجاز العلمي في القرآن، د. محـمد السـيد ارنـاؤوط، مكـتبة المدبولي، القاهرة.

١٩ ـالإعجاز العلمي في القـرآن الكـريم، د. زكـريا هـميمي، مكـتبة المدبولي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٢.

٢٠ ـ الإعجاز الطـبي في القـرآن، د. السـيد الجـميلي، مـنشورات دار

النصر، ١٩٨٢.

٢١ـ إعجاز القرآن واسماء الله الحسنى، د. غسان حمدون، دار الفكر المعاصر، صنعاء، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٩.

٢٢ـ الاعجاز القرآني والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٣ـ أقرب الموارد، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني.

٢٥ـ الأمراض النسائية، (الترجمة الفارسية)، كيستنر.

٢٦ـ اول جامعة علمية وآخر نبي مرسل، الشهيد الدكتور رضا باكنجاد، منشورات ياسر، ايران، ١٩٨٤.

٢٧ـ الايمان بين الوحي والعقل، رفيق شاكر النتشه، شركة دار العقل، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٢.

٢٨ـ بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، لبنان.

٢٩ـ البحث عن الحقيقة الكبرىٰ، المهندس محمد عصام القصاب، دار الفكر، دمشق ١٩٩٩.

٣٠ـ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، الطبعة الأولىٰ ١٩٥٧.

٣١ـ بهداشت تغذيه در روزه (صحة التغذية إبان الصوم)، د. محمد مهدي الاصفهاني، مؤسسة «جهان رايانه كوثر» الثقافية، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١.

٣٢ـ البيان في علوم القرآن، آية الله الخوئي، منشورات «كعبه»، ايران

الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٥.

٣٣ـ البيان القرآني، د. محمد رجب البيومي، مجمع البحوث الاسلامية، ١٩٧١.

٣٤ـ پژوهشی در اعجاز علمی قرآن (دراسة حول الاعجاز العلمي للقرآن)، د. محمد علي رضائي الإصفهاني، منشورات «الكتاب المبين»، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١.

٣٥ـ پیشگوئیهای علمی قرآن (التنبؤات العلمية في القرآن)، مصطفى زماني منشورات «نداء الاسلام»، قم، ١٩٧١.

٣٦ـ تاريخ الحضارة الاسلامية، جرجي زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣٧ـ تاريخ الطب في ايران، نجم آبادي.

٣٨ـ تاريخ وعلوم القرآن، أبو الفضل مير محمدي، مكتب المطبوعات الاسلامية، ايران، ١٩٨٤.

٣٩ـ التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٠ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

٤١ـ التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٩.

٤٢ـ التعاليم الصحية في الإسلام، د. صفدر صانعي، مكتب التأليف التابع للدائرة العامة للثقافة والفن بإصفهان، الطبعة الرابعة.

٤٣ـ تفسير ابن باديس، عبد الحميد بن باديس، طبعة الكيلاني الصغير، ١٩٦٤.

٤٤ـ تفسير ابن كثير، اسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي، مطبوعات دار الاندلس، بيروت ـ لبنان.

٤٥ـ تفسير الاثني عشر، حسن بن احمد الحسيني عبد العظيمي، مطبوعات «ميقات»، ايران، الطبعة الأولىٰ.

٤٦ـ تفسير أحسن الحديث، علي أكبر القرشي، مؤسسة «البعثة»، ايران، ١٩٨٧.

٤٧ـ تفسير «أنوار درخشان» (الأنوار الساطعة)، محمد حسين الهمداني، مكتبة «لطفي»، ايران.

٤٨ـ تفسير البصائر، يعسوب الدين رستجار جويباري، مطبعة «الاسلامية»، قم، ١٤١٣ هـ.ق.

٤٩ـ تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، مطبوعات «دار المرتضىٰ»، الطبعة الأولىٰ.

٥٠ـ التفسير العلمي للآيات الكونية، حنفي أحمد، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولىٰ.

٥١ـ التفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد أبو حجر، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١.

٥٢ـ تفسير العاملي، ابراهيم العاملي، مكتبة «صدوق»، ايران، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٤.

٥٣ـ تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير، دار

إحياء الكتب العربية.

٥٤ـ تـفسير القـرآن الكـريم، الشـيخ محـمود شـلتوت، دار الشروق الخامسة، ١٩٧٣.

٥٥ـ تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.

٥٦ـ التفسير الكبير، الفخر الرازي، الطبعة الثالثة.

٥٧ـ تفسير «نمونه» (الأمثل)، ناصر مكـارم الشـيرازي، دار الكـتب الاسلامية، طهران، الطبعة السادسة والعشرين، ١٩٩٤.

٥٨ـ التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، الطبعة السادسة، ١٤١٦ هـ.ق.

٥٩ـ التفسير والمفسرون في ثـوبه القشـيب، محـمد هـادي مـعرفت، مطبوعات الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية.

٦٠ـ التفسير، معالم حياته ومنهجه اليوم، أمين الخولي، طـبعة جمـاعة الكتاب، ١٩٤٤.

٦١ـ التمريض في الليل (الترجمة الفارسية)، ريتشاردمك ماهان.

٦٢ـ التمهيد في علوم القرآن، آية الله معرفت، مؤسسة «نشر اسلامي»، قم، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١ هـ.ق.

٦٣ـ تنبيه العقول الإنسانية، محمد بخت المـطيعي، طـبعة «السـعادة»، ١٩٤٨.

٦٤ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

٦٥ـ جنين شناسى پزشكى (علم الجنين الطبي) د. جعفر سليماني راد، مطبوعات «ستودة»، ايران الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

٦٦ـ جوامع الجامع، أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، جامعة طهران، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ.ق.

٦٧ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الطنطاوي جوهري، دار الفكر.

٦٨ـ حجة التفاسير وبلاغ الأكاسير، سيد عبد الحجة بلاغي، قم، ١٩٦٦.

٦٩ـ حقيقة الإسلام، عبد الهادي بوطالب، افريقيا الشرق.

٧٠ـ خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، الدار السعودية الطبعة الحادية عشرة، ١٩٩٩.

٧١ـ دائرة معارف التشيع، بإشراف من احمد صدر حاج سيد جوادي وكامراني فاني وبهاء الدين خرمشاهي، منظمة دائرة معارف التشيع، ١٩٨٩.

٧٢ـ دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة، د. عمر سليمان الأشقر ود. محمد عثمان بشير ود. عبد الناصر ابو البصل ود. عارف علي ود. عباس أحمد محمد الباز، دار النفاس، الاردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١.

٧٣ـ «درآمدى بر تفسير علمى» (مدخل إلى التفسير العلمي)، د. محمد علي رضائي الإصفهاني، مطبوعات «أسوة»، الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

٧٤ـ الدروس الدينية، تفسير محمد مصطفى مراغي.

٧٥ـ الدعوة والدعاة، علي سرور الزنكلوني، مكتبة «وهبة»، الطبعة الأولى، ١٩٧٩.

٧٦ـ دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٩.

٧٧ـ دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩.

٧٨ـ دورة الارحام، د. محمد علي البار، الدار السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٨.

٧٩ـ رحلة الايمان في جسم الإنسان، د. حامد أحمد حامد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١.

٨٠ـ رحلة الكتاب العربي إلى ديار الغرب فكراً ومادة. محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة.

٨١ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، محمود الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥.

٨٢ـ روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن، أبو الفتح الرازي، مؤسسة الدراسات الاسلامية، الروضة الرضوية المقدسة، ١٩٩٥.

٨٣ـ شرح المواقف (ايجي)، علي بن محمد الجرجاني، مطبوعات الشريف الرضي، قم.

٨٤ـ ضحى الاسلام، أحمد أمين، النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٤.

٨٥ـ طب الائمة عليهم السلام عبد الله شبّر، مطبوعات «الاعتصام»، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٠.

٨٦ـ طب الإمام الصادق، محمد الخليلي، دار الكتاب الإسلامي،

بيروت، ١٩٧٩.
٨٧ـ الطب الشرعي، د. حسين علي شحرور، بيروت ـ لبنان.
٨٨ـ الطب في القرآن، د. محمد جميل الحبّال ود. مويض رمزي العمري، دار النفائس، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧.
٨٩ـ علم التفسير، د. عبد المنعم النمر، دار الكتب الإسلامية.
٩٠ـ علم الجنين لانجلمن (الترجمة الفارسية).
٩١ـ العلم والايمان في بناء المجتمعات، عبد الغني عوض الرجحي، طبعة مجمع البحوث الإسلامية.
٩٢ـ علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ.ق.
٩٣ـ علي في التزام الحق، ضياء الدين زين الدين، الطبعة الأولىٰ.
٩٤ـ «العهدين، القرآن والعلم»، موريس بوكاي، مطبوعات «سلمان»، ايران، ١٩٧٨.
٩٥ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي اصيبعه.
٩٦ـ الفكر الديني في مواجهة العصر، د. عفت محمد الشرقاوي، دار العودة بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩.
٩٧ـ الفلسفة القرآنية، عباس محمود العقاد.
٩٨ـ في ظلال القرآن، سيد قطب، مطبوعات دار الشرق.
٩٩ـ الفيزيولوجية الطبية، (الترجمة الفارسية) البروفيسور آرتور غايتون.
١٠٠ـ القاموس المحيط، الفيروزي آبادي.

١٠١ـ القرآن العظيم، هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٠٢ـ القرآن في القرآن، آية الله الجوادي الآملي، دار «إسراء» للنشر، ١٩٩٩.

١٠٣ـ القرآن والطب الحديث، د. صادق عبد الرضا علي، دار «المؤرخ العربي»، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩١.

١٠٤ـ القرآن والعلم، محمد جمال الدين الفندي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٦٨.

١٠٥ـ القرآن والطبيعة، ماضي العالم ومستقبله، بيآزار شيرازي، دار «بعثة»، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.

١٠٦ـ القرآن وعلم النفس، د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣.

١٠٧ـ القرآن يتجلىٰ في عصر العلم، الشيخ نزيه القميحا، دار الهادي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٧.

١٠٨ـ «كارنامه پزشكى تمدن اسلامى» (الوثيقة الطبية للحضارة الإسلامية)، د. ايرج نبيبور، مديرية الأبحاث في جامعة «بوشهر» للعلوم الطبية والخدمات العلاجية، الطبعة الأولىٰ.

١٠٩ـ الكامل في التاريخ، ابن اثير، الطبعة الأولىٰ، ١٩٢٢.

١١٠ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عبد الله جار الله الزمخشري.

١١١ـ كشف الحقائق عن نكت الآيات والدقائق، محمد كريم العلوي الحسيني، طهران، الطبعة الثالثة، ١٣٩٦ هـ.ق.

١١٢ـكشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الشيخ الطوسي والعلامة الحلي، مطبوعات المكتبة الاسلامية، إيران، الطبعة الثالثة.

١١٣ـكنز الدقائق، الشيخ محمد رضا القمي المشهدي، منظمة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولىٰ.

١١٤ـماضي العالم ومستقبله، عبد الكريم بيآزار شيرازي، مطبوعات «طباطبائي»، قم، الطبعة الثانية، ١٩٧٠.

١١٥ـلسان العرب، ابن منظور.

١١٦ـمباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.

١١٧ـالمبادئ العامة في الفيزيولوجية الطبية (الترجمة الفارسية)، البروفيسور ويليام. اف، جانونغ.

١١٨ـمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مقالة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وأثرها في تعميق الايمان، د. عبد الكريم نوخان عبيدات، العدد (٣٥)، مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.

١١٩ـمجلة المسلم المعاصر، مقالة نقد كتاب «تعاليم الاسلام الطبية في ضوء الحديث»، د. أحمد شوقي الفنجري، العدد (٤٨)، مؤسسة المسلم المعاصر، بيروت، لبنان.

١٢٠ـمجلة «عالم الفكر»، مقالة «الأسس النظرية للطب الإسلامي»، بول غليونجي، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، ١٩٨٥ ومقالة «الطب العربي»، سليمان قطانة، المجلد العاشر، العدد الثاني، ١٩٧٩، وزارة الإعلام في الكويت.

١٢١ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المكتبة الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٣٩٥ هـ.ق.
١٢٢ـ محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، طبعة عيسى الحلبي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٥٧.
١٢٣ـ مخزن العرفان، السيدة إصفهاني، حركة النساء المسلمات، ايران ١٩٨٢.
١٢٤ـ مدخل إلى الدراسات القرآنية، د. محمد بلتاجي، مكتبة الشباب، الطبعة الثانية، ٢٠٠١.
١٢٥ـ مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبدالله دراز، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧١.
١٢٦ـ مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٣.
١٢٧ـ مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، د. عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٢.
١٢٨ـ مصباح اللغة، الفيومي.
١٢٩ـ «مطالب شگفت انگيز قرآن» (من عجائب الموضوعات القرآنية)، گودرز نجفي، دار «سبحان»، الطبعة الأولىٰ، ١٩٨٨.
١٣٠ـ المطهرات في الإسلام، مهدي بارزكان، الطبعة الثانية، ١٩٥٤.
١٣١ـ مع الطب في القرآن الكريم، د. عبد الحميد دياب ود. أحمد قرقوز، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.
١٣٢ـ معاني القرآن، أبو زكريا الفداء، الدار المصرية.

١٣٣ـ معجزة القرآن، الشيخ محمد متولي الشعراوي، المختار الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٨.
١٣٤ـ مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، الطبعة الأولىٰ.
١٣٥ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة، أحمد بن مصطفى.
١٣٦ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني.
١٣٧ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، أسعد علي.
١٣٨ـ مقاييس اللغة، ابن فارس.
١٣٩ـ من علم الطب القرآني، د. عدنان الشريف، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٢.
١٤٠ـ المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت. الطبعة الثانية.
١٤١ـ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار إحياء التراث العربي.
١٤٢ـ منهج الصادقين في الزام المخالفين، التفسير الكبير للملا فتح الله الكاشاني، مطبوعات «المكتبة الإسلامية»، الطبعة الثانية.
١٤٣ـ الموافقات في أصول الأحكام، ابو اسحاق ابراهيم الغرناطي.
١٤٤ـ مواهب الرحمن في تفسير القرآن، آية الله عبد الاعلى الموسوي السبزواري.
١٤٥ـ المواهب العلية، كمال الدنى حسيني واعظ الكاشفي.
١٤٦ـ الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، د. محمد عبد الرحمن مرحبا، دار الكتاب اللبناني.
١٤٧ـ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد الشلبي،

مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٤.

١٤٨ـ الموسوعة الطبية الفقهية، د. أحمد محمد كنعان، دار النفائس، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٠.

١٤٩ـ الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية.

١٥٠ـ ميزان الحكمة، محمد محمدي ري شهري، مكتب «الاعلام الإسلامي»، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.

١٥١ـ النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٩٧٠.

١٥٢ـ نظرات جديدة في القرآن المعجز، محمد عادل القلقيلي، مطبوعات دار عمار.

١٥٣ـ نظرات في القرآن، محمد الغزالي، دار الكتاب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٢.

١٥٤ـ نظرية الاعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، د. احمد سيد محمد عمار، مطبوعات دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨.

١٥٥ـ نفحات من الاعجاز الطبي في القرآن الكريم، د. جليل علي لفته، الطبعة الأولىٰ، ١٩٩٠.

١٥٦ـ نفحات الإعجاز، العلوي الخوئي، مطبعة مهر، قم، ١٤٠٩ هـ.ق.

١٥٧ـ «النوم، الأحلام، علاج الأرق» (الترجمة الفارسية)، بيرريال جوزيف ايون.

١٥٨ـ هاؤم اقرؤوا كتابيه، د. أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية،

الطبعة الأولى، ١٩٩٦.

١٥٩ـ هل هناك طب نبوي، د. محمد علي البار، الدار السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.

١٦٠ـ همدم بيار (أنيس المرضى)، د. محمد مهدي الاصفهاني، الطبعة الأولى.

المصادر الانجليزية

1_ Fundemental of nursing tylor.etal.2004.

2_ Holy QURAN (translated by M.H.Shakir).

3_ Holy QURAN (translated by Mohammad M.Pickthal).

4_ Langman's Medical embryology. T.W.Sadler Williams and Wilkins,1990.

5_ The Developing Human. K.L. Moore. W.B. Saunders company,1988.

مندرجات الكتاب